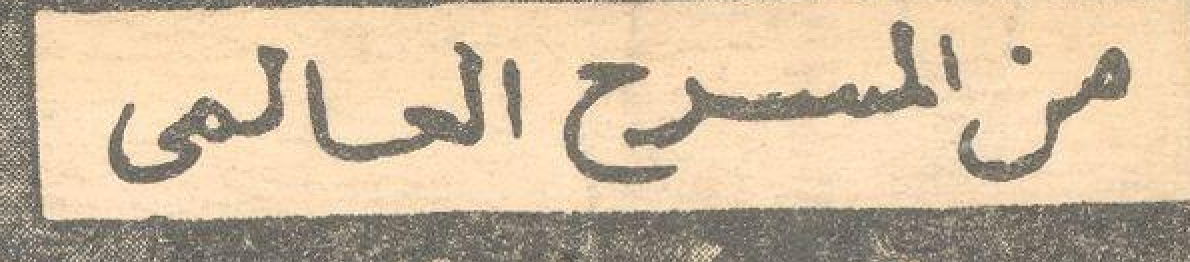


من الأعمال المختارة

جبرييل مارسل - ٢

- روما لم تعد فى روما
- المحراب المضيىء أو (مصباح النعش)

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل
مراجعة : محمد اسماعيل محمد

مسلسلة

من

المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. عادل سلامه

أستاذ الأدب الإنجليزي المساعد بجامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب. ١٩٣



من الأعمال المختارة

جبرييل مارسل - ٢

- روما لم تعد في روما
- المحراب المضيء أو (مصباح النعش)

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

مراجعة : محمد اسماعيل محمد

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم المترجم

لمسرحية روما لم تعد في روما

كتب جبريل مارسل هذه المسرحية عام ١٩٥٠ ، وعُرضت على المسرح في العام التالي . وقد أثارت حين صدورها ضجة كبيرة بين نقاد المسرح ، وبين المثقفين بوجه عام ، اذ تتعرض لأزمة الضمير التى كان يعانيها المثقفون الفرنسيون في مرحلة من أدق مراحل التاريخ الفرنسي .

وتستمد المسرحية عنوانها من فقرة وردت في مسرحية مغمورة من مسرحيات كورني هي مسرحية « سرتوريوس » Sertorius . و « سرتوريوس » هذا قائد رومانى انشق على يوليوس قيصر وأسس جمهورية في اسبانيا ، وحين فعل ذلك أخذ يبرر لنفسه تمرده على سلطان روما ، فقال هذه الابيات :

« لم أعد أسمّي روما أرضا تحوطها الاسوار ،

تملوءها العادات بالمآثم ،

فهذه الاسوار التى كانت أبدع ما تكون فى الماضي ..

لم تعد سوى السجن ، أو بالاحرى القبر :

ولكن ، لكى تبعث من جديد في قوتها الاولى ،

انفصلت تمام الانفصال عن الرومان المزيفين ،

ولما كنت أملك الآن كل دعائمها الحقيقية ،

فان روما لم تعد في روما ، انما تكون كلها حيثما أكون » .

وهذه الابيات يستشهد بها بطل المسرحية « بسكال لوميير » ليمارضها في الختام .

و « بسكل لوميير » أستاذ الادب بالكوليج دى فرانس ، تصطرع في نفسه أزمة ضمير حادة . ففي أثناء الحرب العالمية الاخيرة هاجر عدد من المثقفين الفرنسين من موطنهم دون رغبة في العودة ، تدفعهم الى ذلك مبررات وجيهة أحيانا ، غير وجيهة أحيانا أخرى . وأيا كان الحال ، فقد كانت هذه المشكلة من مشكلات الساعة الحارقة بالنسبة للمفكرين الفرنسين .

وقد اختار « جبرييل مارسل » « بسكال لوميير » مفكرا أمينا مخلصا لنفسه حتى يقلب الراى في هذه المشكلة على وجوهه جميعا . أما زوجته « رينيه » ، التى ينقصها الاخلاص والعمق ، فلم تكن جديرة بزوجها ، وحين احست بالخطر الذى يتهدد فرنسا ـ وهو في الحق خطر موهوم مُبَالغ فيه ـ اتخذت من تعرّض طفليها لهذا الخطر ذريعة تضغط بها على زوجها للهجرة من فرنسا الى البرازيل . والواقع انها لم تكن تفكر الا فى أن تجعل نفسها بمأمن من ذلك الخطر ، وان تلحق بعشيق لها في البرازيل يدعى « كارلوس » .

ومن ثم فقد ناشدت هذا العشيق ـ دون علم زوجها ـ أن يجد لبسكال منصبا في احدى جامعات البرازيل . وفعلا تبدأ المسرحية بوصول رسالة من « كارلوس » تتضمن خبر توفيقه في العثور على هذا المنصب . ونفهم أيضا في الفصل الاول من المسرحية أن « رينية » تشك في قيام علاقة غرامية بين زوجها وأختها غير الشقيقة « استير » . ولهذه الاخت ابن هو « مارك ــ اندريه » ، ويمثل هذا الابن ماكان يعانيه الشباب الفرنسى فى تلك الآونة من ضياع وانحلال وفساد وافتقار الى الهدف ، فلم يكن ثمة ما يدافع عنه ، أو على حد تعبيره ـ انه لم يكن يريد أن يموت من أجل لاشيء . ومع ذلك ، بل من أجل ذلك ـ نشعر بكثير من التعاطف مع هذا الشاب الذى يعد ضحية يمكن علاجها أكثر من أن يكون مذنبا لا سبيل الى التكفير عن خطيئته .

وفي المسرحية شخصية أخرى هى شخصية « روبير » شقيق « استير » ، وهو ماركسى متمسك بعقيدته، يرى أنه من الممكن قيام شيوعية فرنسية تستطيع الحيلولة دون أى غزو أجنبى لفرنسا . وهو يأخذ على « بسكال » من مناقشة حامية بينهما ـ

« ضميره البورجوازى المنحل » الذى لايستطيع الاختيار ، واعتناق قضية او رسالة يكرس لها حياته ، ويدفعه الى تقدير العواقب الوخيمة التى تترتب على هربه من فرنسا في مرحلة حرجة من تاريخها ، ويقول روبير في معرض هذه المناقشة :

« ... انك اذا كنت قد ملكت من الجراة ماجعلك تعامل فرنسا على أنها جثة وتدعى ادعاءً عجيبا أنك تصحب روحها نحو الشواطىء البرازيلية ، فانني انا واصدقائي قد تعهدنا بالمحافظة على فرنسا حقيقة ، وليست ميتة ، فرنسا الثورية التى لم يسمح لك ضميرك السيء ، ضميرك البورجوازى المرهون — أن تعترف بوجودها

الفصل الثالث ، المنظر الاول

غير أن « يسكال » لا يقتنع بحجج « روبير » ، بل يخضع في نهاية الآمر لالحاح زوجته ، ولكن بعد أن يقنع « أستير » بأن تصحبهما هى وابنها « مارك — آندريه » الى البرازيل .

وفى البرازيل ، يتعرض «يسكال» لضغوط من نوع آخر. ففي تلك البلاد المتمسكة بالكاثوليكية ، الحريصة على التقاليد ، ينبغى على الاستاذ الجامعى أن يحترم « الرأى العام » أو على الآقل أن يتظاهر بهذا الاحترام ، وهذا التظاهر شيء شديد الوطأة على نفس متحررة ، مخلصة لنفسها كنفس « يسكال لومير » . وهنا تنفجر « ازمة الضمير » من جديد بصورة أعنف ، وخاصة حين يعلم بسكال ان « كارلوس » مضيفه — وعشيق زوجته فى نفس الوقت — قد تعهَّد للجامعة بأن يضمن « تصرفاته » اى باحترامه للتقاليد وأدائه للشعائر الدينية .... الخ .

وهكذا تتبدد أوهام « يسكال » الذى كان يتوقع حياة حرة في وطنه الجديد — شـيئا فشـيئا ويتدخـل . ـ فى حياته — احد رجال الدين هو « الآب ريكاردو » تدخلا اشبه بتدخل رجال محاكم التفتيش ، فيكون هو القشة التي قصمت ظهر البعير . يقول له « الآب ريكاردو » :

« ... ان ماتسميه تفتحا للعقل يمكن أن يكـون ثغرة تفذ منها كثير مـن الأخطاء . فهناك فى هذه البلاد القائمة على الجانب الآخر من الاطلنطى ، نرى أن مهمتنا هي تحصين العقول ضدَّ هذه الاخطاء التي أدينت حديثا جدا ، وتعاليم الادب

التى أرشدت اليها بتوصية أشخاص من الصفوة مثل كارلوس مارتينيز ـ هذه التعاليم قُدِّرَ لها في تفكيرنا أن تكون بمثابة معقل ضد تلك الأخطاء البغيضة التى قادت أوروبا الى حتفها »

(الفصل الرابع ـ المنظر السابع) .

ويطالبه رجل الدين البرازيلى بصراحة أن يكشف في محاضراته عن الأخطاء وألوان التجديف التى تحفل بها كتابات الأدباء الفرنسيين المتحررين من أمثال « جيد » و « بروست » ـ فيقول :

« ... ينبغى أن نقوم بمراجعة للأحكام على ضوء الاحداث المعاصرة . كما ينبغى أن نتخلص من ذلك التساهل المجرم الذى أبداه الناس نحو أولئك الذين حطموا الايمان ، وفتحوا الطريق المؤدية الى الفوضى . وقد أكدوا لى أنك تنوى محاضرة طلابك عن « جيد » و « بروست » ، وممن لاأدرى ؟ .. وعلى فرض أنهم خولوك هذا الحق ، وهذا ما كلفت بابلاغك به صراحة ، فسوف يكون ذلك بشرط رسمى : وهو أن تكشف عن الأخطاء ، وعن الفظائع التى تحفل بها كتاباتهم .... »

(الفصل الرابع المنظر السابع) .

وحين تتكاثر الهموم على » بسكال « ، نراه يعود الى راى « روبير » الذى نعلم أنه قتل في فرنسا على يد خصومه السياسيين . فقد أحس « بسكال » بشيء من التقدير لهذه الاستشهاد من أجل العقيدة ، ومن ثم فانه يناشد مواطنيه في رسالة اذاعية يبعث بها من البرازيل أن يبقوا في أماكنهم بعد أن يذكر الأبيات التى قالها سرتوريوس في مأساة كورنى والتي أوردناها في مستهل هذه المقدمة ، ويقول تعقيبا على هذه الأبيات :

« ياأصدقائي ، هذه الفكرة باطلة ، وهذا ماأريد أن استصرخكم اياه اليوم . لقد كنا مخطئين حين رحلنا : بل كان ينبغي البقاء ، والنضال في أماكننا . والوهم القائل بأننا نستطيع أن نحمل الوطن معنا لا يمكن أن يولد الا من الغرور ، ومن أحمق أنواع الاعتداد بالنفس . وأنتم يا من تترددون حيال خطر الغد ، استحلفكم بالله أن تمكثوا ، واذا كنتم لاتشعرون بالقوة ... اذا كنتم لاتملكون القوة ... »

(الفصل الخامس ـ المنظر الأخير) .

وكما انتهت مسرحية « الظمأ » بايمان « أميديه شارتران » تنتهي هذه المسرحية أيضا بالتلميح الى اهتداء « بسكال لوميير » الى الايمان . ففي حوار بينه وبين « استير » يقص عليها أنه استمع الى نداء خفي يطلب منه الا يخون نفسه ، ويضيف قائلا :

« ... والاغرب من ذلك ، انه في نفس ذلك الصباح الذي اعتقدت فيه أنني أستمع الى هذا النداء ، صادفت مقابلة غير متوقعة ، هي مقابلة راهب شاب حركت هيئته الجديرة بالاعجاب اعمق أعماق نفسي . ومع أنه ليس من عادتي مخاطبة الغرباء ، الا أنني لم استطع أن أمنع نفسي من أن أقول له بضع كلمات .. ولن تتخيلي صفاء الابتسامة التي أضاءت وجهه النحيل ... لقد كانت ابتسامة المسيح .

« الفصل الخامس . المنظر الاخير »

وفي ختام المسرحية ، حين لايجد « بسكال » القدرة على انهاء رسالته الاذاعية الى مواطنيه في فرنسا ، ويترنح ، ويتهاوى على الأرض ، تندفع « استير » نحوه ، وفى هذه اللحظة يظهر الراهب الشاب الذي تشبه ابتسامته ابتسامة المسيح ، ويتقدم نحو بسكال ، فاذا هموا باعتراض طريقه ، قال في رفق :

« سيدتي ، دعيني أذهب اليه . أنا أعلم انه ينتظرني »

وهذه المسرحية التي كتبها جبرييل مارسل في أوج نضجه الفني والفلسفي تؤكد على معنى الواجب ، دون أن تنسى أن لهذا الواجب تفسيرات متباينة وفق استعدادات الأفراد العقلية ، بل والعضوية أيضا . ولكن على الانسان الا يتخذ سوى الموقف الذي يعتقد انه قادر على التمسك به الى النهاية . فنحن نلمس كل ما كان يفتقر اليه « بسكال » لمقاومة زوجته . وهذا الافتقار يعرضه المؤلف ببراعة جديرة بالاعجاب في حوار « بسكال » و « مارك آندريه » في مشهد رئيسي من مشاهد الفصل الثالث :

بسكال : كلا لم ينعقد عزمي بعد ، فمازلت مع شكوكي وهواجسي . ولكنني في الوقت نفسه — ، لكي أكون مخلصا تمام الاخلاص — ألاحظ أن شيئا في نفسي ، في سبيله الى اتخاذ قرار نيابة عني .

مارك ـ آندريه : أهذا صحيح ؟

بسكال : تقول هذا مسرورا ! على حين انه شنيع .. أشعر بأن الانحلال الذى أصاب بلادى قد أصبح الآن فى نفسي ، وانه فى سبيله الى بلوغ غايته ، وانني أشارك فيه . ياطفلى المسكين ، أنت تنظر الى بعينين مذعورتين ، بعينين تستجديان .. لن اتخلى عنك ياصغيرى مارك آندريه . ينبغى الاعتقاد ـ ان كان لهذه العبارة معنى وانا أجهله ـ بأنني مسئول عن حياتك ، وبأنني لا أستطيع أن آخذ على عاتقى تعريضك لليأس والانتحار . ليتك جئت لترانى ذلك المساء الآخر ، أنت يامن أراك نادرا ... أجل ، أعتقد أن هذا نوع من العلاقة . الا اذا لم أكن اتعلق بهذه الفكرة كذريعة لمحاولة ان أبرئ ازاء عينى مالايقبل التبرير .. ولكننى ، لست أدرى .. قلتُ كلمة « مظلم » حين تحدثتُ عن أولئك الفتيان ، الذئاب الذين ينتمون الى عالم آخر لااتصال بيننا وبينه ... وأنا أقول ظلمات ... ظلمات ... ظلمات ... هذا هو العنصر الذى أغوص فيه .

مارك ـ آندريه : اذن ، فأنت تريد أن تقول ياعمى ، انه قد كان من الاشجع ؟ ..

بسكال : (فى حزن عميق) لم أعد أعرف اطلاقا فى أى جانب توجد الشجاعة . ولعل هذا هو أسوا ما اجتازه الآن ...

يابنى ، اقسم لك ، ان افتقارى الى الايمان لم أحسه قط بمثل هذه القسوة ، فلو أننى كنت مرتبطا ، مرتبطا بالمسيح ، فلعل شيئا من النور يوهب لى ، وانا لا ابصر شيئا ..

(الفصل الثالث ـ المنظر الثالث)

والمسرحية تتناول موضوعات شتى ، بيد أن محورها الأساسى الذى يدور عليه كل شيء فيها وبؤرتها المركزية التى تضيء كل شيء فيها هي ضمير « بسكال لومبير » . ومن الواضح أن الأزمة الحقيقية التى يعانيها هذا الضمير هى عجزه عن التحرر من ضرب من الهَوَس الفلسفى الذى ينأى به عن الفطرة الصحية السليمة .

روما لم تعد فى روما

مسرحية من خمسة فصول

تأليف : جبرييل مارسل

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

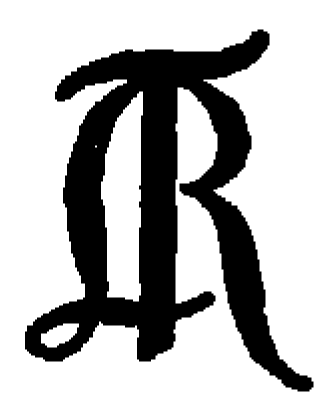
مراجعة : محمد اسماعيل محمد

العنوان الاصلى للمسرحية

GABRIEL MARCEL

ROME N'EST PLUS DANS ROME

Pièce en cinq actes



LA TABLE RONDE
8 RUE GARANCIÈRE 6ᵉ
PARIS

إهداء

إلى جاك هيبيرتو مع عرفان الودى بجميله

شخصيات المسرحية

بسكال لوميير	Pascal Laumiere
مارك ـ آندريه	Marc André
روبير فيلار	Robert Velars
اولريش شتاينبوك	Ulrich Steinbock
كارلوس	Carlos
الأب ريكاردو	Padre Ricardo
شفرمون	Chevremont
رينيه لوميير	Renée Laumiere
استير بيرول	Esther Peyrolle
اينيس	Ines

عرضت « روما لم تعد فى روما » لاول مرة فى ١٩ ابريل ١٩٥١ على مسرح هيبيرتو ، اخراج چـان فرنييـه Jean Vernier ، وديكـور مونكوربييه Moncorlier .

الفصل الأول

في منزل آل لوميير ، خلال شتاء ١٩٥١ . داخل المنزل ينم عن مثقف ميسور الحال ، فثمة كتب كثيرة ، وبعض النسخ الملونة من لوحات حديثة .

المنظر الاول

رينيه ، إستير ، أولريش

أولريش : (مخاطبا إستير في شيء من الحدة) ولكن ، ياله من خطأ ، ياسيدتى ! ياله من خطأ ! — أستطيع أن أؤكد لك أن الحياة في برلين كانت في تلك الآونة ، ممتعة تماما .. أعنى قبل وصول الخنزير — كما هو مفهوم ، بكل أدواته الهتلرية .

إستير : أما أنا ، فأعتقد أنه حتى في تلك الفترة التى تتحدث عنها ، كانت الأحداث السياسية مثيرة للانزعاج فعلا . .

أولريش : كلا ، ياسيدتى ، كان السفهاء وحدهم هم الذين يهتمون بالسياسة .

إستير : ألم يكن ذلك من سوء الحظ ؟

أولريش : وكيف يكون من سوء الحظ ؟ وفي فرنسا يهتم الناس جميعا بالسياسة .

وها أنت ترين النتيجة ! المسارح ياسيدتى ، والموسيقى ،بوجه خاص. .وعلب الليل التى تحدثوا عنها عندكم ، في غير إنصاف . أما نحن ، فقد كنا نقطن حياً كل مافيه أشياء منتقاة .

رينيه : لعله حى « وانسى » ؟

أولريش : (مبتهجا) أتعرفين وانسى يا سيدتى ؟ كلا . لم يكن هو بالضبط ، بل أبعد منه كثيرا . وكانت هناك أيضا بحيرة صغيرة ، تتألق وراء أشجار الصنوبر ، وعليها يستقل الناس — الزوارق في الموسم الجميل . . . وفي أيام الآحاد ، كان أصدقاؤنا يأتون لزيارتنا ، وهناك — تدور مناقشات خرافية ، حول كل الموضوعات الجمالية على الأخص . . هذا شيء لن يعود —

يا سيدتى — لاهنا ولا في أى مكان آخر . كونى من ذلك على يقين . .

إســتير : كل هذه الثقافة التى تزهو بها ، لم تمنع وقوع الكارثة ، ألم تكن سطحية إذن ؟

أولريش : انى ارتاب ارتيابا شديدا بكل ماهو عميق ، يا سيدتى . وربما كان العمق خاصية المانية ، خاصية تعسة إلى أبعد حد .

رينيــه : لست أدرى لماذا تسمح أختى لنفسها بأن — تناقضك على هذا النحو .
(إلى إستير) إنك لم تعيشى قط في برلين ؛ أو حتى في ألمانيا .

أولريش : من سوء حظك يا سيدتى ، بكل تأكيد .

إســتير : هذا شىء ما أيسر عزائى عنه .

رينيــه : ماذا جرى لك يا إستير ! . .

أولريش : (ناهضا) لاأريد أن أطيل — ياسيدتى — هذه الزيارة الــتى ربمــا لم تكن مستحبة . ولنعد إلى الموضوع الذى حملنى إليكم اليوم . . .

رينيــه : أجل ، سأسأل زوجى عند عودته ، إن كان

يعرف أحدا في الرباط ، أو في الـــدار البيضا

أولريش : من المفهوم ، أنها ليست سوى خطوة . . فأن لاأضع في حسبانى أن أقيم إلى الأبد في مراكشر وهناك — وهذا شيء بيننا — طبقة مـــز البروليتاريا ستكون مرتعا خصبا للمهيجين — الشيوعين ، ولهذا لاأحب أن أكون في مكاد الاوربيين في تلك البلاد حين يحدث الانفجار

إستير : أجل ، من المفهوم أنك لاتشغل بالك . . .

أولريش : أوه ! كلا ، ياسيدتى ، فلست مطية ، وهذ أمر أعلنه لك ، صراحة .

إســـتير : كنا مقتنعين بذلك .

رينيـــه : ومادخل « المطية » في هذا الموضوع ؟ مز البديهى أن يتخذ المرء احتياطاته في الوقت — المناسب ، إذا أتيحت له الامكانية . أنت على صواب تام ، يا سيدى .

إســـتير : أعترف أن المسألة بالنسبة للمستأصلين . . .

ألريش : نحن جميعا مستأصلون ، وأنتم أيضا مستأصلون ، انتم يا من تؤلفون الطبقة البورجوازية في باريس

إستير : إطلاقا ، يا سيدى ، نحن هنا بين أهلنا ، ووسط إخوتنـا .

أولريش : ومن هم إخوتك !

إستير : الفرنسيون ، بكل بساطة .

أولريش : وأين هى ، فرنسا ؟ لا أحد يدرى على وجه الدقة . . ثم ، لو سمحت لى بأن أبْدى هذه الملاحظـة ، وهى أنني لا أراك من ذلك الطراز . أأنت شقيقة السيدة لومير ؟ لا يكاد المرء يقطع بذلك .

إستير : كانت امى أنا يهودية بولندية .

أولريش : إليك مصداق قولى .

إستير : واغتال قومك زوجى ، وأنا آمرك بالخروج .

رينيـه : ولكنك ، لست في بيتك ، يا إستير ! أتفق معك في أن السيد قد تجاوز حدود اللياقة ، ولكن ينبغى القول بأنك من جانبك . . .

أولريش : ليس من عادتى أن افرض نفسى . كل ما أطلبه منك هو أن أذكّرك . .

إستير : سيعلم زو أختى من تكون ، وأتعهد بأن أوضح له .

أولريش : أما هو ، فليس يهوديا ، على ما أعلم . . . وداع
يا سيدتى . (يخرج)

المنظر الثاني

رينيــه ، إســتير

إســتير : ياله من شخص وضيع ! أتفتحين بابك لأمثال
هؤلاء الناس ؟

رينيــه : أنا ، لا أعرفه ، لقد ترجم لمجلة المانية مقالا
لبسكال عن « سانت - إكزبيرى » .

إســتير : هذه الشخصية الدنسة تكتب عن سانت اكس

رينيــه : ما علينا ، ما علينا . . أنت تبالغين ، إنك أنت
التى فقدت هدوء أعصابك .

إســتير : لنتحدث عن شيء آخر ، أتسمحين ؟ متى يعو
بسكال ؟ لدىّ بضع كلمات أودّ أن أقولها له .

رينيــه : لست أدرى . لا بد أنه في « نادى بن » . أهـ
أمر عاجل ؟

إســتير : أجل . إنه يتعلق بمارك - آندريه .

رينيــه : الواقع أن مارك - آندريه طلب الحضور لمحاد
بسكال عقب العشاء .

إستير : واريد رؤية بسكال بالضرورة قبل ذلك .

رينيه : كل هذا يكتنفه الغموض . (صمت)

إستير : سيطلعك بسكال على كل شيء، ان رأى ذلك ، ولكنني أعترف بأن هذا سيكون مثار دهشتي .

رينيه : انت غريبة الأطوار يا إستير ، أتعرفين . . ؟

إستير : غريبة الأطوار ؟ في أى شيء ؟

رينيه : لابد أنك أخذت ذلك عن والدتك . . . فلم يكن أبي قط على هذا النحو . تظهر عليه علامات الشيخوخة بكثرة في هذه الأيام الأخيرة ، ألا ترين ذلك ؟

إستير : لا أستطيع ان أفكر فيه على خلاف ما كنت أفكر في الماضي . لقد فقدناه فعلا .

رينيه : لا أرى ذلك . فلكي نفقده ، لا بد أن نكون قد ملكناه .

إستير : يا لها من كلمة بشعة !

رينيه : إنه لم يكن قط جزءًا من حياتي . أما بالنسبة لأمي ، فنعم ، الأمر يختلف . . وتعرفين أنها ما زالت تستطيع أن تكون مسلية على التليفون !

إستير : إنها تقضى حياتها عليه .

رينيه : ضعى نفسك مكانها ، إن التهابها الرئوى المزمن سمرها في المنزل ، والقراءة ترهق عينيها ولا نستطيع أن نطلب منها في الوقت نفسه أن تضع نظارة .

إستير : لماذا ؟ في الحقيقة لاحظت أننى سأنسى اعطاءك هذا الخطاب ، ناولتنى إياه البوابة حين مررت على غرفتها . . خطاب بالبريد الجوى .

رينيه : (في لهفة محمومة) هاته . . يا إلهى ، إنه من كارلوس !

(تفض الخطاب ، تقرؤه ، ثم تنفجر باكية .)

إستير : ولكن ، ماذا أصابك يارينيه ؟ خبر سيء ؟

رينيه : على العكس ، شيء مقطوع الرجاء . . إنه . . آه ! ولكن الله تولانا برحمته .

إستير : والخلاصة ، ماذا جرى لكم ؟

رينيه : (وهى تناولها الخطاب) تستطيعين قراءته . . الخلاص ، ياإلهى ، الخلاص . . .

إستير : (تقرأ) ـ سان فيليب . . جامعة جديدة . . ماهذا ؟

رينيــه : ولكننى لاأعرف عنها شيئا ، ماذا يمكن أن يصنع ذلك بى ؟ كرسى الادب الفرنسى . . . على بعد ١٥٠٠ كيلو متر من ريو . . — أتفهمين معنى ذلك ؟

إســتير : أأنت التى كتبت إلى أصدقائك ؟

رينيــه : بكل تأكيد . . أتذكرين ، منذ ثلاثة أشهر تلقى بسكال خطابا غفلا من التوقيع .

« الشيوعيون قادمون . وأنت في قائمة أولئك الذين ينبغى ترحيلهم . اتخذ احتياطاتك » .

إســتير : غير أن بسكال لم يأخذ ذلك مأخــذ الجــد . ولا أنا أيضا . . مجرد مزاح . . سخيف ، هذا ما أوافقك عليه . .

رينيــه : مزاح ! ماذا تعرفين عن هذا الأمر ؟ وتقولين إن بسكال لم يأخذه مأخذ الجد . . . أما أنــا فأستطيع أن اؤكد لك انه أمضى عدة ليال — مسهدا . . واستهلك أنبوبتين من « السونيريل » في أسبوع واحد . . هكذا ! . . كل ما في الأمر أنه أخذ يتظاهر أثناء الحديث بأن المسألة مجرد هزل . وجاز عليك تظاهره .

إســتير : هل علم أنك تكاتبين أصدقاءك هناك ؟

رينيــه : كلا . . وإلا ، لكان قادرا على المعارضة . من قبيل (الاعتزاز بالنفس) . . وحتى لايبدو في مظهر الخوف .

إســتير : هل أنت مقتنعة بأنه سيفوّت هذا العرض ؟

رينيــه : من الواضح أنه لن يفعل ذلك،لن يفوته . ولكنه سيجد وسيلة يرغم بها يده على التوقيع . أولا ، فيما يتعلق بى أنا ، المسألة غاية في البساطة ، فأنا لم أعد أطيق هذا الجو الذى نعيش فيه منذ شهور . . قراءة الصحف ، الأحاديث . . .

إســتير : لست مرغمة على قراءة الصحف

رينيــه : لاأستطيع المخاطرة بأن أبدو بلهاء أمام أصدقائى

إســتير : لاأهمية لرأى الناس .

رينيــه : ولكن ، أى إستير المسكينة ، إنك تعيشين — حبيسة ذكرياتك وكتبك ، ولاترين أحدا . . سوى مارك — آندريه .

إســتير : (في صوت متهدج) ، فلندع مارك — أندريه جانبا ، من فضلك ؟

رينيـــه : لماذا ؟ ها هو السر الذى يبدأ من جديد !

إســـتير : أزعم انى أعرف بسكال جيدا بقدر ما تعرفينه بل أفضل مما تعرفينه من بعض الوجوه . ولست واثقة على الاطلاق أنه سيرضى بان يرغم على قبول ذلك الاقتراح .

رينيـــه : ليس من ذلك بد .

إســـتير : كيف ؟

رينيـــه : ليس من ذلك بد . ولن يكون له الخيار .

إســـتير : لك طريقتك الخاصة في النظر الى التزاماتك .

رينيـــه : أية التزامات ؟ صمم بسكال دون أن يطلب منه أحد وضد تعهده الصريح لى على كتابة سلسلة من المقالات عن التطهير في مجلة أسبوعيةللقانون مما جعله العدو رقم واحد في نظر الشيوعيين .

إســـتير : العدو رقم واحد ! أنت تغالين .

رينيـــه : كانت حماقة . لان هذا التصرف لم ينقذ رأسا واحدا ، ولم يؤخر ما حدث يوما واحدا . . كان ذلك لكى يرضى نفسه فحسب . أجل ، هـذا ترف منحه لنفسه . جميل ! واليوم ، عليه أن يدفع الثمن .

إستير : تتحدثين كما يتحدث خصومه .

رينيه : لا يوجد سوانا ، والأطفال قبل كل شيء . ألا تفهمين ؟

إستير : أوه ! بلى . . تمام الفهم .

رينيه : أما أنت ، فقد احتفظت بعقلية زوجك المسكين أثناء الاحتلال . وحين يفكر المرء في أن إيمانويل كان يستطيع أن يبقى هادئا معكم في الجزائر ، بل . كان ينبغي أن يضطلع بمهمة ، لا يعلم علمها الا الله .

إستير : كفى ، يارينيه .

رينيه : هذا ضرب من المرض ! مرض عقلي . ينبغي أن أتحدث عنه إلى الأستاذ تيرسلييه . Tiercelier إنه نابغة . وعلى التحليل النفسي أن يقول كلمته أيضا عن هذه الاختلالات . . حسن ألا يكفيك أن كان لك زوج مات في المنفى . . مات من أجل لا شيء، أقول من أجل لا شيء . لأننا نرى الآن جيدا أن كل هذا لم تكن له أدنى فائدة ، بل مهد الطريق للشيوعيين . . والحقيقة ، انني أريد أن أقول لك . . إنك لا تتحملين ــ على سبيل الحسد

والحقد ــ أن أُفْلت من هذا المصير ، على حين أنك لم تفلتى منه . . هذا شىء لا اسم له

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ، بسكال

بسكال : ماذا يجرى هنا ؟

إستير : موضوع المناقشة الأبدى يُطْرح من جديد على بساط البحث . ورينيه تعود إلى هجومها المعتاد على المقاومة .

بسكال : ليست هذه هى اللحظة المناسبة حقا . وأنت يا عزيزتى رينيه ــ لم يكن لديك قط أى إحساس بالانتهازية .

رينيه : وبمناسبة الانتهازية ، أنصحك أن تتكلم !

إستير : ماذا جرى في « نادى بن » ؟

بسكال : كانوا يستقبلون روائيا من إستونيا لا يتحدث الفرنسية ، ولم يكن أحد قد قرأ له سطرا واحدا ، فكان مشهدا مثيرا !

إستير : حقيقةً .

بســكال : كان الرجل يبدو جذابا إلى أبعد حد . وأعطـانى ترجمة ألمانية لكتاب من كتبه الرئيسية :

رينيــه : خيل إليه أن لديك وقتا تضيعه !

بســكال : ومن أنبأك أنه سيكون وقتا ضائعا ؟ قرأت مقالات نقدية ممتازة في المجلات السويسرية ـ الالمانية .

رينيــه : على أنها مراجع !

بســكال : (بغلظة) بأيّة صفة تحكمين عليها ؟

رينيــه : أوثر الانصراف . سأحضر الأطفال الذيــن ذهبوا لتناول شيء من الطعام عند مــارى ـ بلانش (بصوت خافت إلى إستير) لاتشيرى بكلمة ـ على وجه الخصوص ـ إلى الخطاب . إلى اللقاء .

(تخــرج)

المنظر الرابع

بســكال ، إســتير

بســكال : إن رينيه تشغل بالى في هذه الأيام الأخيرة . كانت دائما بعيدة عن الاستقرار ، وهذا ما تعلمينه جيدا ، ولكنها منذ بضعة أيام ، عند

مالا يثيرها انفعال شديد ، تجتاز لحظات من الكآبة ، تخيفني . ربما كان من واجبي ألا أبقيها في باريس . ساءلت نفسي ، ألا ينبغي أن أجعلها تستقر في الجنوب مع الأولاد . أجل بكل تأكيد ، هناك دراساتهم . . ولكـــن ، كلما رأيت الوقت الذى يضيعونه على هؤلاء الأطفال المساكين . أتظنين أن روجيه يعمـــل كل الأمسيات حتى الساعة الحادية عشرة ؟ وهو قد بلغ الثانية عشرة منذ قليل . إنه متقدم على سنه هذا مفهوم ، ولكنه في النهاية ، أول فصله . إن تعليمنا الثانوى بشع .

إســـتير : أعرف ذلك جيدا . ولهذا السبب ألحقت مارك آندريه في الأعوام الأخيرة بمعهد « روش » ولم يتعلم هناك شيئا عظيما ، ولكن ، على الرغم من هيئته الهزيلة نوعا ما ، إلا أن صحته جيدة .

بســـكال : طلب الحضور ليتحدث معى هذا المساء .

إســـتير : أعلم ذلك . . . وهذا هو السبب الذى احرص من أجله على رؤيتك ، يابسكال . خـــرج هذا

الولد منذ بضعة أسابيع عن طوره بمعنى الكلمة .

بســكال : ماذا تعنين ؟

إســتير : أنت تعرفه ، إنه انسان لطيف ، عاطفى . وكان معى دائما غاية في الرقة . وحين تناهى الينا خبر وفاة والده ، لن تستطيع أن تتصور الرعاية التى أغدقها علىّ ، كان يقوم كل ليلة مرتين أو ثلاث مرات ليتأكد من أننى نائمة ، وحين التحق بمعهد « روش » ، كان يغالب نفسه لكى يمتنع عن الكتابة إلىّ يوميا .

بســكال : والآن ؟

إســتير : عندما يقضى السهرة في المنزل مصادفة يمكث أحيانا ساعة كاملة دون أن يوجه إلىّ كلاما . وإذا احدث أن نظر إلىّ ، كانت نظرته مليئة بالحقد ، بل بالعداء .. بسكال هذا فظيع .

بســكال : ماذا يأخذ عليك ؟

إســتير : انى هناك .. انى موجودة . وقد يخطر لى أن أتمنى الموت لأخلّصه منى .

بســكال : لست أفهم .

إســتير : وأنا لست واثقة من الفهم بابسكال ، ولكن يبدو أنني أمثل في نظره ماضيا يريد أن يقطع به كل صلة ، لكي يلقى بنفسه كليّة في ذلك — الضرب من المغامرة الهائلة المخيفة التى ابتلعت كل أصدقائه الواحد وراء الآخــر . — « برتراند كان »،« جاك فيل »،« أوليفييــــه موريزو » . إنهم جميعا شيوعيون يقوم أوليفيه بتوزيع « الأومانيتيه » يوم الأحد على بوابة ضاحية فانف . (١)

بســكال : أتعتقدين أن مارك آندريه يحسدهم ؟

إســتير : ليست المسألة بهذه البساطة . فكل هذا يفزعه ، ولكنه يؤمن به ، وهو على ثقة من أن هذا — سيحدث قريبا ، وأننا سنبتلع ، وسيلتهمنـــا ذلك الضرب من العاصفة . وهو لايحتمل فكرة أنه سيكون ضحية ، ويرفضها ، ولكن ، في الوقت نفسه ، ربما لأنني موجودة ، بكل ما أمثله في عينيه ، فانه لايحس بامكانية الانتقال إلى المعسكر الآخر . هو لايعترف بحقه في ذلك

(١) ضاحية في الجنوب الغربى من باريس .

أو لعله لايملك القوة . . . وإنى على يقين بأنه يضنى نفسه حين يتصور حانقا ما أفكر فيه ، وما أتمناه ، وما أشعر به . وهذا النوع من التعهد الذى وصفته منذ لحظة — أى بسكال — يخلو من كل معنى . . ولو أننى اختفيت مصادفة . . .

بسكال : تقولين مصادفة ؟

إستير : أوه ، أجل ، مصادفة ! . . لن يكون ذلك خلاصا بالنسبة له . . بل سيعذبه تأنيب الضمير وليست لدى القدرة على أن أقيده وأنا ميتة ، كما أقيّده وأنا حية .

بسكال : إذن ؟

إستير : إنه يختنق ، وأنا أيضا أختنق .

بسكال : (بصوت خفيض) أليست المسألة ببساطة أنه خائف مثل رينيه ؟ آه لو تعلمين كم هى أيضا !

إستير : رينيه . . . ولكن الامر مختلف .

بسكال : أما أنا ، فاعتقد — ياإستير — انه في الحالتين

واحد بالضبط . إنه أشبه بدرجة الحرارة ،
أو بضغط شديد جدا : حينئذ تنفجر الأوعية .

إستير : وعلى هذا ، لاتستطيع الارادة أن تفعل شيئا ؟

بسكال : أشك – في الواقع – أن يكون لها على النقوس – الضعيفة أدنى تحكّم .. ولكن ، لماذا يحرص مارك – آندريه على التحدث إليّ ؟

إستير : لست أدرى بالضبط ، انه يكن لك الحب والاحترام .

بسكال : الاحترام ! يا لها من كلمة سنة ١٩٥١ !

إستير : أنت الرجل الوحيد في الأسرة . ومع روبير . . .

بسكال : (متألما) أجل ، روبير . . .

إستير : أساء إليه روبير كثيرا .

بسكال : اخوك مخلوق خطِر ، يا إستير . أدركت ذلك منذ أمد بعيد . وبمنّة غير مفهومة من القدر وجد نفسه موضوعا في ظروف يُمْكِنها أن تنمى قدرته الشريرة خير تنمية .

إستير : تنطق كلمات رهيبة ، يا بسكال .

بسكال : أتدركين ماذا تعنى عودته من المنفى . . . بالنسبة لروبير وبالنسبة لمكانته ؟

إستير : أجل ، أعرف .

بسكال : إنه غريب كل الغرابة ... ذلك المسكين إيمانويل...

إستير : انه هو الذى فكّرت فيه .

بسكال : لو أن زوجك قد عاد ، فنحن نعرف جيدا ، أنا وأنت ، أنه لن يحمل معه سوى السلام ، نوعا من العزاء الغريب . . .

إستير : (في صوت خفيض) ـ أجل .

بسكال : أعدت قراءة شهادة زملائه في نوينجام عشر مرات . عاش هناك مثلما يحيا القديس ؛ ومات كما يموت القديس .

إستير : لماذا لا يرجع في الغالب الا الآخرون . . أولئك الذين لم يتعلموا سوى الحقد ؛ ولم يجمعوا سوى الحقد ! أمن الممكن تفسير هذا ؟

بسكال : ليس من الممكن تفسيره ، يا إستير ؛ ولكن ربما كان من الممكن فهمه . فيما وراء الكلمات :

إستير : أهذا صحيح ؟ . . كلا ، أنا لم أفهم جيدا . . :

لعلك تضع نفسك على مستوى صوفي ؟

بسكال : هذه كلمة كبيرة حقا . وأستطيع أن أؤكد لك أنى لم أدخل قط في أية تجربة مباشرة مع الله. بل لست واثقا أنى مؤمن به . . ولكننى على يقين من أن هناك ميتات مشمولة بالرحمة . . ميتات من قبيل اللطف الإلهى .

إستير : أليس لكل انسان الحق في موته ؟

بسكال : إستير يا مسكينة ليس لأحد الحق في أى شيء.

(صمت)

إستير : (في حزن عميق) ربما قد لا نتحدث بعد زمن قصير نفس اللغة . . بسكال ، آه لو تعلم كم يتولانى الشعور بالوحدة !

بسكال : اعلمى ، ان كان في هذا ما يعزيك — اننى وحيد أشد الوحدة ، أنا أيضا .

إستير : هذا لايعزّينى ، بل على العكس ، إنه هَمّ جديد يضاف إلى همومى (صمت)

بسكال : لنعد إلى مارك — آندريه ، أتعتقدين أن لأخيك تأثيرا عليه ؟

إستير : إنه يبعث في نفسه القلق ، هذا مؤكد . ومارك آندريه لا يحبه ، ولكنه يخشى من سخريته ، ومن ابتساماته المزدرية ، ومن توكيداته التي لا تقبل المراجعة . بسكال ، لو اسطعت على الأقل — لست أدرى — أن تحصنه ضد . .

بسكال : إنني لم أكن منفيا ، ولست شيوعيا ، وليست السخرية من مواهبي . . الديك أية فكرة عما يمكن أن يطلبه مني ؟

إستير : التوجيه ، بكل بساطة . . وما أطلبه منك قبل كل شيء هو أن تترفق به . . إنه طفل تعس كل التعاسة ، ولا سيما منذ أن امتنع عن مكاشفتي باسراره . . . وسأدهشك يا صديقي . . انني نادمة لأنه لم يتخذ له عشيقة . .

بسكال : وهل يمكن أن تكوني واثقه من ذلك ؟

إستير : إني مقتنعة بذلك . فقد عذبتني طويلا فكرة أن أتقاسمه مع غيري ، ولكنني أقسم لك بأن هذه الفكرة الأنانية قد فارقتني . . وأنا على ثقة من أن العفة بالنسبة لشخص مثله — تعد شرا . . . ولكن ، ماذا أستطيع أن أفعل ؟

بسكال : أى إستير المسكينة ، لن تطاى منى أن أعطيه بعض العناوين ؟ . . معذرة فلن أفعل ذلك ، ولكن لو تعرفين كيف أشعر بعجزى عن توجيه كائن من كان ! أتراني أستطيع توجيه نفسى فحسب؟

إستير : إن حياتك منظمة يابسكال ، وإذا كانت على هذه الحال ، فذلك لأنك لم تكف عن أن تريدها كذلك .

بسكال : قد تأتى لحظة ، نبدأ فيها نقاسى من هذا النظام، لأننا لم نعد نبدعه . . فمن الممكن أن تتخذ العبودية أشكالا كثيرة ! . فمنها ما هو محترم شديد الزخرف والزينة . . والحقيقة ياعزيزتى إستير ، هى إننى حزين إلى درجة الموت . . وأنا لاأحب نفسى ، بل أنفر منها . . .

إستير : (صائحة) ولكن إذا أنت أحببت نفسك يا بسكال أكنت أنا قد . . . ؟

بسكال : ماذا تريدين قوله ؟

إستير : لاشىء لم تعلمه أنت دائما . . (بنبرة مختلفة ، تصطنع التعقل .) دعك من هذا لاتتظاهر بالدهشة ! لقد أضمرت لك دائما كثيرا من العاطفة ، فلا تتظاهر بأنك تكتشف ذلك لأول

مرة . وأنت ، من جانبك ، تحبنى
ولقد برهنت لى على ذلك بما فيه الكفاية ! وهذا
كله طبيعى جدا . فنحن أناس أسوياء تماما ،
ليست بينهم غير علاقات سوية .

بسكال : (مرتبكا ارتباكا عميقا) . بكل تأكيد .

إستير : ثم ان الاسم الذى يخلعه الناس على مشاعرهم ،
لاأهميه له ، ذلك لأنهم كثيرا ما يخطئون في
البطاقة التى يضعونها .

بسكال : أجل .

إستير : إن ما يشغلنى ، هو ما سوف تقوله لمارك —
آندريه .

بسكال : ينبغى أن أسمعه أولا .

إستير : ربما أحس بكثير من الرهبة .

بسكال : أنت تمزحين ! فهو نفسه الذى طلب هذا —
الحوار .

إستير : أتوسل إليك ، ألاتدع تلك الدوامة من الشكوك
وضروب القلق التى يصارعها تستولى عليك .
فهو في حاجة إلى من يحدثه في ثقة ، في حزم .
هذا ما ينتظره منك .

بســـكال : أجل ، ولكن ، من جانبي ، يا إستير . . .

إســـتير : أني أسمع صوت رينيه عائدة مع الأطفال . ولن تكون شديدة السرور إن وجدتني مازلت هنا ، فنحن نعرفها .

بســـكال : طلبت مني أن أكون عطوفا بابنك ، ولكن ، هل عطفت أنت ياإستير ، على رينيه ؟

إســـتير : (في صلابة) — كلا ، بكل تأكيد ، لن أعطف عليها أدنى عطف . إن رينيه من اسعد من عرفت من النساء ومن اكثرهن حظوة في الحياة . فهي تملك كل ما يمكن أن تملكه المرأة : زوجا لاعيب فيه ، طفلين جميلين ، وهـــي جميلة ، وتملك دائما كثيرا من المال ، وهذا في نظرها شيء لايستهان به .

بســـكال : إن حساباتك ليست مضبوطة تماما ياإستير .

إســـتير : وماوجه الخطأ فيها ؟

بســـكال : راجعيها بعناية ، فربما اكتشفت أين يكمـــن خطؤك .

المنظر الخامس

نفس الأشـــخاص، رينيه

رينيـــه : لم أتوقع أن أراك مازلت هنا . أوه ! ليس هذا ملاما . أمكثى للعشاء ، إن كان هذا — يروقك .

إســـتير : شكرا ، يارينيه . مارك —آندريه ينتظرنى في المنزل .

رينيـــه : اتصلى به تليفونيا ليحضر إلى هنا هو أيضـــا ، مادمنا ننتظره للسهرة .

إســـتير : كلا . . أشكرك . لا أحب قط هذه اللقـــاءات المرتجلة . إلى اللقاء . . أرجو عفوك يا بسكال عن كل ما اضعته من وقتك .

بســـكال : لا داعى لا عتذارك ، فقد كانت هذه المحادثة ضرورية . . إلى لقاء قريب ، يا إستير .

(تخرج إستير)

المنظر السادس

رينيــه ، بســكال

رينيــه : ماذا يمكن أن تكون كل هذه الأسرار ؟ أوه ! اطمئن ،فلن اسألك عن شيء .

بســكال : لا وجود لأدنى سر ، كانت أختك تتحــدث إلي عن ابنها .

رينيــه : ولماذا في غير حضوري ؟

بســكال : تستطيعين الظن بأنه من الأيسر أن يكون الحديث حميما بين اثنين لا بين ثلاثة .

رينيــه : الفت نظرك الى أننا قضينا وقتا طويلا على انفراد قبل وصولك .

بســكال : لا أعلم ان كان بينكما قط شيء من تلك الصلــة الحميمة .

رينيــه : نتيجة لخطئها .

بســكال : المسألة ليست هنا . ولا أدرى حقا لماذا أنت شديدة العصبية ، هذه المساء .

رينيـــه : هذا أقل ما ينبغي . . ولكن ، كلا ، لست عصبية . . وإن كانت تعبيراتكما ، أنتما الاثنين حين دخلت . . كلا ، هذا شيء آخر .

بســـكال : (في جفاء) ماذا ؟

رينيـــه : كان هناك . . . كلا ، من الأفضل أن أنتظـــر لحظة أكثر مناسبة .

بســـكال : من أجل ؟

رينيـــه : لن نلعب ألعابا صغيرة . سأخبرك بذلك فيما بعد.

بســـكال : أذكرك بأنني ساخرج هذا المساء حوالى الساعـــة العاشرة والنصف ، وستكونين نائمة بلاشك حين عودتى . فليكن ذلك إذن صباح غد .

رينيـــه : كلا . . . سأذهب إلى القداس الكبير مع الطفلين. فالقسيس يلح على أن أصحبهما .عند عودتنا، اذن.

بســـكال : سأقضى النهار في متحف الفن مع كورتى .

رينيـــه : وسنتناول الغداء عند والدى (تنهيدة من بسكال) أنت لطيف . . .

بســـكال : أنا لم أقل شيئا . وفي هذه الظروف ، إذا تصادف وكان ما تريدين قوله شيء عاجل . . . .

رينيه : بالمناسبة حضر ذلك الشتاينبوك ليخبرك بأنه سيرحل إلى مراكش . ويسأل إن كنت تعرف هناك أحدا تستطيع أن توصيه عليه .

بسكال : كلا ، لا أعرف أحدا . وفضلا عن ذلك ، فان ذلك الشخص قد ترك في نفسى انطباعا سيئا . لابد أنه كان نازيا ، والأدهى من ذلك أنهليست لديه مجرد الأمانة التي تدفعه إلى الاعتراف . مما يثير اشمئزازى .

رينيه : يستوى عندى الأمر ، إن لم تفعل من أجله شيئا. . أنا مجرد ناقلة . . هذا كل ما في الأمر .

بسكال : ترى أى فساد يمكن أن يصنعه في مراكش ؟

رينيه : سيذهب إلى هناك انتظارا للرحيل إلى أمريكا .

بسكال : آه ! طيب ! هو أيضا ! الذعر يزيد حثيثا . فمنذ لحظة ، أنبأونى في « نادى بن » بأن اثنين من زملائى يحزمان حقائبهما : سيذهب أحدهما إلى جنوب افريقا ، والآخر إلى شيلى . وهذا كله مثير جدا .

رينيه : من أى وجه ؟

بســكال : عليّ أن اكتب خطابا أو خطا بين قبل العشـاء . فإلى اللقاء حالا .

رينيـه : مثير من أى وجـه ؟

بسـكال : ببساطة لأن الهروب في حد ذاته شعور وضيع .

رينيـه : لست أفهم .

بسـكال : إنه لشيءٌ محزن . وهذا يثبت أنك نشأت نشـأة سيئة جدا ، وهذا ما ظننته ، كما أنني من جانبي لم أكن قادرا على . . .

رينيـه : أكمِلْ جملتك .

بسـكال : لاأجد الكلمة المضبوطة .

رينيـه : إتمام تعليمى ؟

بسـكال : إذا شئت .

رينيـه : ماكان ذلك ليثنيني عن طبيعتى . . وأنت لاتتصف بأية صفة تجعلك تدعى هذا الحق . . وأنا أعني . . أية صفة .

بسـكال : هذا جائز جدا . غير أن المسألة ليست عـلى الاطلاق مسألة حق . والأرجع أن تكون .

ما علينا ، لم تتبق إلى غير بضع دقائق قبل العشاء . ولا أحب أن أضيعها في ثرثرة لا جدوى منها .

رينيه : معى أنا تضيع وقتك ؟

بسكال : أحيانا .

رينيه : هذا خسارة حقيقية ، لأننا في مستقبل قريب جدا لامفر من أن نكون معا على انفراد في أغلب الأحيان .

بسكال : (في شرود) ولماذا ؟ (صمت) لماذا يارينيه؟

رينيه : (في صوت مرتجف) عندما نكون هناك .

بسكال : أين سنكون ؟ لست أفهم شيئا على الاطلاق . (تناوله رينيه الخطاب) ما هذا الخطاب ؟ — (يتأمله) خطاب من كارلوس مارتينيز ! (يقرأ) إلام يشير ؟ هل كتبت إليه ؟

رينيه : أجل .

بسكال : لكى تطلبي منه أن يجد لى منصبا هناك ؟ دون علمى ! بأى حق ؟ وهذا الشخص الذى لاأكاد أعرفه ، سيتخيل أنك تكتبين اليه

بايعاز منى ، وسيعتقد أننى من الجبن بحيث لاأستطيع أن أفعل ذلك بنفسى !

رينيه : ما أكثر ما تستخرج من اشياء !

بسكال : كنت سأمنعك ، وأنت تعلمين ذلك ولأنك تعلمين كتبت في الخفاء . تصرفت كطفلة غريرة .

ولحسن الحظ ، حين أبرق هذه الليلة نفسها الى ذلك الرجل برفضى ، فسيرى جيدا أن هذا التصرف غير الملائم تم من وراء ظهرى .

رينيه : تقول إنك سترفض ؟

بسكال : كلا ، ولكن ، بكل جدية ، أيراودك أدنى شك في هذا الموضوع ؟

رينيه : حذار يا بسكال ، المسالة خطيرة .

بسكال : لاأظن أنك تلجأين إلى إرهابى بأية صورة كانت

رينيه : أنا ، لااعتبار لى ، هذا مفهوم . ولكن هناك الأولاد ، فهل تأخذ على نفسك مسئولية — تعريضهما للموت وللتعذيب ، وللنفى ؟

بســكال : ولأى شىء أيضا ؟ التدرج ليس ناجحا غاية النجــاح .

رينيــه : أتجد في هذا مادة للمزاح ؟

بســكال : إن طفلىّ فرنسيان صغيران ، وسيتبعان مصير ابويهما ، وهما أيضا فرنسيان .

رينيــه : هذه الفاظ لاتؤثر علىّ . وعلى حد تعبير ذلك الألمانى الذى قال منذ لحظة : أين هى فرنسا ؟

بســكال : إن بقاءها يتوقف علينا نحن . وأنت من أولئك الذين يغتالونها ، أنت يا من تتخذين من رجل المانى استاذا للتفكير .

رينيــه : هل أصبحت وطنيا في الوقت الحالى ؟

بســكال : إنك لاتعرفين حتى معنى الكلمات .

رينيــه : إن مفتش المالية الشاب الذى تعشّينا معه ذلك المساء قالها بحق : منذ حرب إسبانيا ، لم تعد ثمة أوطان .

بســكال : ولكن ، لسوء الحظ ، إنه شيوعى سرى ، مفتشك ذاك ، هذا ان لم يكن عضوا في احدى الخــلايا .

رينيــه : سيان عندى . انه فتى غاية في الذكاء ، وأذكــر بين قوسين ، أنه سلك سلوكا رائعا جدا أثنــاء الحرب ، على حين أن بعض الفرنسين الأصــلاء ممن أعرفهم كانوا يضطجعون في بواخر عابــرة للقــارات على مسند صغير مأخــوذ من الهضبة الوسطى .

بســكال : تأخذين عليّ الآن أنني رضخت لالحاحاتك حين رفضت الالتحاق بالجيش السرى؟ لا ، وتضيفين إلى ذلك ، أنني سيّء الطوية . كان من الممكن أن تذهب توسلاتك سدى ، لو لم أقدّر أن واجــبي كان شيئا آخر .

رينيــه : واجب أقل مشقة .

بســكال : وأنني لم أكن أتمتع بأية صفة من الصفات المطلوبة للحرب السرية .

رينيــه : لم تكن فرنسا تبدو قط ذات وزن كبير في نظرك في ذلك الوقت . أوه ! أجل ، لعلها فرنســا الخالدة ، ولكن فرنسا باختصار . . كنت تؤثر أن تبيض خمسمائه صفحة عن جوبير . لم يكن في ذلك ما يعرضك للخطر . ولن تمنعني من أن أقول

انك تتصف بوطنية في حالة كسوف . أما أنا ، فالأمر عندى أبسط من ذلك ، اذ أعلن بكل صراحة أن هذه الكلمة لا معنى لها .

بسكال : اسكتي !

رينيه : لا معنى لها على الاطلاق !

بسكال : وعلى هذا ينبغي على المرء ألا يفكر إلا في انقاذ جلده .

رينيه : حياة أطفاله ، بكل تأكيد .

بسكال : وإذن ، لولم يكن لديك روجيه وايزابيل ، لما فكرت في الهجرة عن وطنك ؟

رينيه : لست أدرى . . . هذه الـ . لو لا تهمنى .

بسكال : أما أنا ، فازعم أن طفليك مجرد ذريعة ، وأنك خائفة خوفا شنيعا ، خوفا من العذاب ، ومن الجوع ، ومن الجراح والتعذيب . . .

رينيه بالطبع ، أشعر بالخوف . وأنت أيضا . ليتك أبصرت نفسك حين فضضت الخطاب غير الممهور .

بسكال : وهكذا تتهميننى في وقت واحد بأننى خائف

وبأنني أتصرف كرجل لا يخاف شيئا .

رينيه : بالضبط . وهذا التناقض هو الذى يثير نى، ويقززنى والحقيقة هى أنك تكذب على نفسك ، وأنت تسعى إلى اقناع نفسك بأنك لست خائفا، على حين أنك تشعر أحيانا بالقلق .

بسكال : أنت لا تفهمين شيئا . فمن المؤكد أن ثمة لحظات من القلق الجثمانى تعتريني حين تخطر لى فكرة ماقد يفرض عليّ من سوء المعاملة ، وأنا لا أفكر في إنكار ذلك لحظة واحدة ، سواء أمامك أو أمام نفسى . كل ما في الأمر أننى عقدت عزمى على ألا أحسب لذلك حسابا ، وأن أتصرف كما لو كان هذا الخوف غريبا عنى .

رينيه : ولماذا اخترت هذا الموقف ، من فضلك ؟

بسكال : إنها مسألة شرف .

رينيه : بل قل إنها مسألة جمالية . إنك ترعى روحك الجميلة كما ترعى المرأة الجميلة حسنها . وفي سبيل هذا الاهتمام الشخصى ، التافه ، تنوى تضحية زوجتك وطفليك ! هذا شيء غاية في البشاعة . وأنت الآن تعنى بما سيكتب عنك بعد

موتك . أما أنا ، فأريد أن أعيش.

بســكال : في الوقت المناسب ، ها نحن أولاد .

رينيـه : أولا ، لمن أضَحّي ؟ ومن المستفيد من وجودنا هنا ؟ أما كتبك ، إذا كانت لها قيمة — وهذا ما أجهله — فيمكنك أن تكتبها في أى مكان ، بل ربما كان أى مكان خيرا من هنا . وما فائدة أمثالك حين تنسحق باريس تحت القنابل، أو حين تُسلّم لمجانين الضاحية الحمراء ؟

بســكال : ما هكذا يكون التفكير السليم . ولن أضرب بنفسي مثلا على الجبن ، ولن اسهم في أن أعرض على كائن من كان صورة لفرنسا ناكرة لنفسها في الذعر والعار . . والآن ، هيا إلى العشاء .

رينيـه : العشاء ! يتصور أننى سأتناول العشاء !

بســكال : أما أنا ، فساتظاهر ، على كل حال ، من أجل الأولاد فحسب ، تعالى ●

***

الفصل الثانى

نفس المساء ، عقب العشـــاء

المنظر الاول

بســـكال ، مارك ــ آندريه

(الذى دخل من توه ، ولم يخلع معطفه بعد)

بســـكال : مساء الخير ، يابنى .. عليك أولا ، أن ــ تتخلص من هـــذا المعطف . (مارك ــ آندريه يخلع معطفه ، ويضعه على مسند أحد المقاعد.) سعيد برؤيتك . لماذا لاتدعو نفسك بدون تكيف للغداء أحيانا ؟

مارك آندريه : أكاد أقضى النهار كله تقريبا فى الحى اللاتينى . وأنتم تسكنون بعيدا .. ثم انى لاأحب أن أشعر بالتطفل .

بســـكال : ولكن أنت مجنون ... لشدّ ماعانى مـــن افتقارى إلى كل اتصال بالفتيان من سنك. وهذه فرصة لاستئناف هذا الاتصال .. فمرحبا بها .

مارك ــ آندريه : أعتقد أنك ترانا جميعا مخيبين للآمال ، وأنا أولهم :

بسكال : مخيبين للآمال ؟ وأسفاه . ألسنا نحن ، أعنى الأشخاص من جيلي ـــ ألسنا نحن الذين خيبنا املكم ، نحن الذين تركنا هذا العالم ينحدر صوب الرعب والجنون ؟ أعلم جيدا ، أننا لانتحكم تحكما مباشرا في الأحداث ، ولكن هل كانت رؤيتنا واضحة بما فيه الكفاية ؟ وهل عرف أولئك الذين يملكون منا وسائل التعبير اطلاق التحذيرات الضرورية في الوقت المناسب؟

مارك ــ آندريه : ماكان أحد سيفهمهم .

بسكال : وكيف نستطيع أن نعرف ذلك ؟ من المريح حقا أن يُطَمْئِن الانسان نفسه على هذا النحو . ولا ينبغى أن نكون قدريين بالنسبة للمستقبل . ولكن ، علينا في الوقت نفسه أن نعترف بأن الأخطاء كان يمكن تحاشيها ، كان أمامنا الاختيار ، ولكننا اخترنا الطريق الخطأ ، ولو أننا قضينا على الهتلرية في مهدها . . . ألا تعتقد ذلك

مارك ــ آندريه : أنا لاأعرف شيئا عن هذه الأمور ، ولا أهتم

كثيرا بالتاريخ . يكفيني الحاضر . .إنه يكفيني لو أن المرء يستطيع ان يجد فيه متنفساً .

بســـكال : اذن فأنت تبحث عن مهرب ؟

مارك ــ آندريه : لو كنت شاعرا أوموسيقيا ، فاعتقد أنني كنت أستطيع قبول كل شيء . . . ولكني حرمـــت هذه المواهب كما حرمت المواهب الأخرى ــ جميعها .
وهذا شيء ألمسه حين أقارن نفسي بزملائي . . لست أملك أية موهبة . حتى حواسي التي لم تستيقظ . .

بســـكال : (محرجا) يا بني . . .

مارك ــ آندريه : هذا شيء غريب ، فأنا لاأشعر بأى حرج حين أفضى إليك بذلك ، بل على العكس ، أشعر بأن هذا يزيح عبئا عن صدرى . لابد أن هذا راجع إلى مقال لك قرأته حديثا عن آمييل ، وصعوباته الحميمة . . وقد حاولت . . مـــع بعض البنات . . وأيضا مع صبي ، وخاصة مع صبي . هل أصدمك ؟

بســـكال : كلا ، يا صغيرى .

مارك – آندريه : إنه يبعث الاشمئزاز في نفسي ، بل إنه ترك
عندي ما يتركه ضرب من الشغل الفظيع . . .
ولا أعتقد أن المرء يمكن أن يسمى هذا ندما .
ثم لماذا كان ذلك شرا ؟ أتعتقد أنه شر يا عمي
أن يتحابَّ الأولاد ؟

بسكال : لاأستطيع أن أجيبك ، فقد تلقيت تراثا مسيحيا
ربما أكون قد اسرفت في إنفاقه . وهذا الميراث
ينطوى على عدد من النواهي لم أتجشم أدنى عناء
في مراعاتها فلو كنت في مثل سنك وجاء صبي
ليعرض علي أن. . لطردته بعدة ركلات من قدمي .

مارك – آندريه : طبعا . . . ولكن حين يبلغ روجيه السادسة
عشرة أو السابعه عشرة ، ماذا تقول له عندئذ ؟
أستكون من أولئك الآباء الذين يحجمون عن
مناقشة موضوعات معينه بصراحة مع أبنائهم؟

بسكال : إن روجيه وإيزابيل يذهبان الى القداس ، كما
أنهما أديا تناولهما الأول ، بل لقد أدياه في
حماس . وآمل أن يعمر الايمان قلبيهما فالحق
أنه في سنهما . .

مارك – آندريه : أنت ترجو أن يعمر الايمان قلبيهما . فهل أنت

على يقين تام من أنه مازالت لهذه العبارات أيـــة دلالة ؟

بســـكال : مازالت ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

مارك ــ آندريه : أنت تعرف ، أن أمي تمنت أن أكون بروتستانتيا أوه . على مذهب بروتستانتى متحـــرر بقـــدر الامكان . وانضممت إلى مدرسة الأحد، واستمعت طيلة عامين إلى مواعظ الراعي بروسيون . وانتهى بى الأمر إلى أن استاذنت منه في توجيه بعـــض الاسئلة إليه . وفي خلال تلك المحادثة اكتشفت أن ذلك الراعـــى لا يؤمن ببعث المســـيح . وإنى لأتذكر الكلمات التى استخدمها . قال لى هذا في غاية من البساطة . فكان ذلك ضربة لازب . إذ ينبغى أن نفهم البعث بمعنى رمزى . . رمزى بحت

بســـكال : يا بنىّ المسكين .

مارك ــ آندريه : ومنذ تلك اللحظة ، أخذت أنفر من البروتستانت؛

بســـكال : إنهم لا يفكرون جميعا على هذا النحو . . بـــل أبعد من ذلك كثيرا . . . . . والكاثوليك . . .

مارك ــ آندريه : هؤلاء ، لأنهم يمنعونهم عن ذلك .

بسكال : لا أعتقد أن المسألة بهذه البساطة ، ثم إنى أظن أخيرا أنك لم تطلب التحدث معى لكى تكلمنى عن الدين،أو لتطلب منى رأيي في الحب الاغريق.

مارك ـ آندريه : كلا ، بكل تأكيد . ولكن المسائل جميعا مترابطة ، على ما يبدو لى .

بسكال : وكيف هذا ؟

مارك ـ آندريه : أتتصور الجو الذى أعيش فيه يا عمى ؟

بسكال : أولا ، أن لك أما لا تحيا إلا من أجلك .

مارك ـ آندريه : سنتحدث عن أمى حالا . ولكن ما مستقبلى ؟

بسكال : المستقبل مجهول بالنسبة لنا جميعا ، وأتفق معك في انه مشحون بالخطر .

مارك ـ آندريه : (منتعشا) عشتَ ، وانا لا أعلم جيدا كيف كانت حياتك ، ولكنك على كل حال ، كتبت ، وأحْبَبْتَ ، وآمنتَ بأشياء . . . وإن كنت لا أعلم بما آمنت . وفي مثل هذه الظروف لا تتخذ كلمة المستقبل نفس المعنى الذى تتخذه بالنسبة لنا نحن الآخرين . فلا بد أنك تشعر على الاقل بأنك حققت رسالة معنية .

بســـكال : هذه كلمة كبيرة ، وأنت ترغمنى على أن أقوم بفحص ضميرى .

مارك ــ آندريه : (في رفق بالغ) عمى بسكال ، من أنت ؟

(صمت)

بســـكال : (في صوت متغير) انت تفهم يا مارك ــ آندريه عشتُ في فترة لم نكن مرغمين فيها على وضـــع مثل هذه الأسئلة ، كنا محصورين في إطـــار ، ومحمولين أيضا .

مارك ــ آندريه : ولكن ، اليوم ؟

بســـكال : تداعت الصروح . ، هذا حق ، ولم تبق إلا الكنيسة

مارك ــ آندريه : ولكن بالنسبة لمن ليس لديه . . . فلنقل إذا شئت سعادة الاعتقاد ، بالنسبة لى ، او بالنسبة لك أنت ، أليس كذلك ؟ ما الكنيسة ؟ أناس في أســـبانيـــا وايطاليا وكندا يعقدون اتفاقات مع الرجعيـــه ، ويقدمون ذريعة للماركسيين .

بســـكال : ليس ماتقوله باطلا تمام البطلان ، ولكنك تردد ما حفظته في هذه اللحظة . . ومالا أفهمه جيـــدا هو : لماذا لم تكن شيوعيا . ؟

مارك ــ آندريه : كلا ، ففي رأيي أن ذلك ليس حلا .

بسكال : هذا أفضل .

مارك ــ آندريه : تقول هذا أفضل . ولكن ربما كان أسوأ .

بسكال : (في مودة) أفضل بالنسبة لي ، ما دمنا نستطيع الاستمرار في التفاهم .

مارك ــ آندريه : أهذا على تلك الدرجة من الاهمية ؟أهذا هو ما يساعدني على أن أحيا ؟ لقد تحدثت لتوك عن أمي ، وعن حبها لي . بكل تاكيد . ولكنه حب ثقيل في تحمله ، إن كنت تعلم . آه . لو كان لي إخوة وأخوات. أما الشعور بأنك كل شيء بالنسبة لمخلوق ما ، فهذا شيء لا يحتمل ، بل هذا يحول دون الوجود . وليس من شك أنها على استعداد لبذل كل التضحيات في سبيلي ، ولا أريد أن أقول إنها تجعل هذه التضحيات تُثْقل علي . كلا ، إنها لا تتعمد ذلك ، بكل تأكيد . . . بيد أن نكران الذات نفسه ، شيءٌ مُعَذِب . ولو أن أبي عاد من المنفى ــ يا عمي بسكال ــ أو لو أن هناك أحدا غيري في حياة أمي . . . (يسدد إليه النظر . . .) أحدا تحبه .

بسكال : (منزعجا انزعاجا عميقا) ولكن ، أين يذهب بك الخيال ؟ وفضلا عن ذلك ، أنا لا أفهم . أتريد أن تقول . . . ؟ أبسببها لا تستطيع أن تنضم إلى الشيوعية ، بسبب ماقد يبعثه ذلك من حزن في نفسها ؟

مارك ــ آندريه : ولكن كلا ، ليست هذه هي المسألة . وربما تخيلت هي ذلك ، ولكن ليس هذا صحيحا . وعلى الرغم من كل النفور الذى تثيره الشيوعية في نفسها ، فربما احست بشيء من الارتياح ، أن أحدا غيرها يتولى أمرى ، أو تبنانى إن شئت .

بسكال : لا أعتقد ذلك .

مارك ــ آندريه : ولكن ثمة سؤال مباشر يوجه إلىّ . وبهذا أصل أخيرا إلى الغرض الحقيقى من زيارتى . . لقد عزمت على مغادرة فرنسا .

بسكال : آه !

مارك ــ آندريه : إن رفيقا يرتبط أبوه بعمل ضخم في افريقيا الاستوائية عرض علىّ أن يصحبنى معه . ولكنى ، لا أفكر قطعاً في أن والدتى تستطيع مرافقتى . أولا ، لأنها لن تحتمل الطقس ، ثم انها على كل حال . .

بســكال : (في شيء من الجفاء) ولكن، إذا كنت أفهــم جيدا ، واضعــا في اعتبارى كل شيء ، فــان مشكلتك الشخصية لا تبدو لى شديده التعقيــد ، فأنت مثل آلاف الشبان الفرنسيين في هذهالآونة ، إن كان لى أن اعتقد فيما يقال . وأنت تخشى مما قد يحدث هنا ، وهذه فرصة رائعة تلوح لكلكى تجعل نفسك بمأمن من كل شيء ... ولكـــن يا للعجب . أنت لا تجهل الحـــزن الذى سيسببه رحيلك لأمك ، وها أنت تأتى لتستجدينى ضماناً لا أعرف نوعه . سأتحدث إليك بكل صراحة ، يا صغيرى. . إن أمك إنسانة هشة،وأنا مقتنع أنها لن تعيش طويلابعد انفصال يحتمل ان يكون نهائيا.

مارك ــ آندريه : إنك تتحدث إلىّ بغتة في قسوة بالغة ،يا عمــاه. والطريقة التى قلتَ بها « لكى تجعل نفســـك بمأمن . . . » أمن الاجرام ألا يريد المرء أنيموت . . أن يموت من أجل لا شيء؟

بســكال : وكيف ، من أجل لا شيء! لعلك تنسى منقبيل المصادفة ؟ . . . .

مارك ــ آندريه : كلا ، أتوسل إليك ، ألا تحدثني عن المدنية الغربية . أين هى ، تلك المدنية ؟ ماذا صنعت بنفسها ؟ وأية فرصة تملكها للبقاء ؟ وأنا الذى لم أعرف منها سوى السقوط والانحلال ، لماذا ينبغى أن أكون من شهدائها ؟ أولا شهيد . . معناها أن أكون شاهدا . ولكننى لا أستطيع أن أشهد في صفّها . ربما استطعت انت ، هذا ما أعترف به . وانى لأقولها لك مرة أخرى ، إننى أجهل من تكون . ومعرفتى بهذا الآن أقل من أى وقت مضى .

بسكال : (بصوت متهدج) ماذا جئت تطلب منى ؟

مارك ــ آندريه : سأحاول ، في لحظة . . وإن كان ذلك عسيرا علىّ ، بل لا أدرى إن كان لى الحق فيه . ولكن ، دعنى أقل لك أولا ، إن هذا الأمر لا يتعلق بى ، بكل تأكيد ، وربما كنت لا أفهم شيئا . ولكننى لأأدرك لماذا تحكم بمثل هذه القسوة على من يرحلون . . وهل تستطيع أن تتأكد في الأيام الرهيبة ــ من أنك أنت نفسك لن تندم على عنادك ؟ . . أنا لا أتحدث عن خالتى رينيه ، وعن الأطفال . . ولكن أنت . . أنت !

بســكال : (بصوت متغير) هذه مخاطرة . ولا أدرى مـا سأفكر فيه حينذاك . أعترف لك بأنني لا أستطيع أن أتخيل تلك اللحظة .

مارك ــ آندريه : إن والد زميلى دنيس مورى ــ وهو مؤمـن صادق ، بل ربما كان المؤمن الوحيد الذى ــ التقيت به ــ يعمل مهندسا ، وقدرفض منصبا عرضوه عليه في المكسيك . وقال لابنه : ــ « أنت تفهم ، أننى لاأعلم اطلاقا ما يصنعه هذا الحدث بى ، ربما جعل منى رخوا أشل . أنا لاأبالغ في الثقة بقواى ، ولكنى أومن بالله ، وأحسب أنه لن يتخلى عنى ، وأنه سيجنبنى السقوط التام وأنه إما أن يستردنى ، أو أن يمنحنى القوة لاحتمال التعذيب . » هذه كلمات وجدت في نفسى صدى ، وان يكن مثل هذا الايمان يكاد يكون غير مفهوم عندى . ولكن أنت يا عماه . اتستطيع بكل ماتملك من وعى أن تضعه فيــ حسابك ؟

بســكال : (في تواضع ، بعد فترة من الصمت) كلا . بكل أمانة ، لا أستطيع أن أفعل ذلك .

مارك ـ آندريه : ولكن ، ماذا إذن ؟ . .

بسـكال : (دون أن يجيب) أثناء محادثة مضنية جدا دارت بيني وبين خالتك منذ لحظة قلت لها : هناك شرفي كمواطن فرنسي .

مارك ـ آندريه : (مندهشا) شرفي كمواطن فرنسي ؟

بسـكال : (في قلق) اتخلو هذه الكلمات بالنسبة لك من كل معنى ؟

مارك ـ آندريه : ياعمي بسكال ، فلتعترف بأنه باسم الشرف إدّعى الناس خلال أربعة أعوام تبرير أنواع متعارضة من السلوك . وينبغي الاعتقاد بان هذه الفكرة ليست شديدة الوضوح .

بسـكال : ولكن اليوم . . .

مارك ـ آندريه : أنا لاأرى لماذا يقف الشرف في صف الانتحار ، ثم إن الشيء المؤكد هو أن الأبناء لم يُستَشاروا ألهم ، هم أيضا شرف ، على سبيل التفويض ؟

بسـكال : ومن الذى أخبرك بانني لاأنوى وضعهما بمأمن؟

مارك ـ آندريه : وحدهما ؟

بسـكال : (في عصبية) : وأمهما معهما ، هذا شيء

مفهوم . . ولكنى لم أفهم الى الآن ماتنتظره
منى . ماذا هناك ؟ لماذا انزعجت هكذا بغتة ؟

مارك ــ آندريه : لست أدرى ان كان من حقى أن أقول لك . . .

بسكال : الحق ؟ اليس من المستحسن بالنسبة للحفريات
من أمثالى أن ينشغلوا به ؟

مارك ــ أندريه : أنت لاتفهم . إنى اهيئ نفسى لافشاء سر .
فليكن . . عندما قلت لك منذ لحظة إن أمى لم
تحب سواى . . لم اذكر الـ . . . على كل
حال ، لعلها تعتقد ذلك . أما أنا ، فعلى يقين
من أن هذه ليست الحقيقة .

بسكال : حذار !

مارك ــ آندريه : كلا . . فات الأوان ، ولم أعد أستطيع ــ
التراجع ، وفضلا عن ذلك ، فانى أقرأ في
عينيك . انك تعرف فعلا ما أتأهب لقوله لك .
وأنت تظن انها لم تبح إلى بأى سر . ولكن في
كل مرة ينتقدونك على مرأى ومسمع منها ،
تنبرى للدفاع عنك في حماس وحرارة . وحين
تكون قد التقت بك في معرض أو حفلة
موسقية ، فأنها تردد ماقلته كلمة كلمة . .
فاذا رحلت أنا ، لم يبق غيرك لكى يربطها

بالحياة .. عماه ، فلتقسم لى بأنك لن تتخلى عنها .

بسكال : (دون أن يجيبه) وعلى هذا النحو ، اتخذت موقفك ؟

مارك ـ آندريه : وهل قلتَ كلمةً واحدة من شأنها أن تغير فكرى ؟ ولو أنك استطعت أن تخبرنى باخلاص مطلق : ان ارادة الله تقضى بأن تبقّى ، وأنك حين ترحل عن وطنك ، فانك تعصى الله .

بسكال : أكان هذا يُقْنعك ؟

مارك ـ آندريه : ربما لو حدث من خلال هذه الكلمات شيء يجعلنى أحب هذا الاله الذى يتطاب الكثير ، ولو أنه أصبح في لمح البصر إلهنا نحن الاثنين .

بسكال : (بصوت خافت) لم يكن ذلك في قدرتى .

مارك ـ آندريه : كم تبدو عليك التعاسة فجأة ، ياعماه .

بسكال : أما فيما يتعلق بوالدتك ، فلقد كان كل منا يكن دائما مودة للآخر . كيف يمكنك أن ـ تفترض لحظة واحدة أننا سنتخلى عنها ، خالتك وأنا ؟

مارك – آندريه : لاتقل « نحن » ، فان خالتى رينيه لاتدخل في حساب أمى ، وأمى لاتدخل في حساب خالتى رينيه . فلست أعمى . . ومادامت خالتى سترحل مع الأطفال . . . .

بسكال : ولماذا لا ترحل والدتك ، هى أيضا ؟

مارك – آندريه : أعرف – وأنت لا تجهل ذلك مثلى – أنها لن تتحرك إلا اذا سحبها أحد بالقوة . وهذا « الأحد » لا يمكن أن يكون إلاّك .

بسكال : يا بنى ، لا تستطيع أن تجعلنى مسئولا أيضا عن حياة والدتك .

مارك – آندريه : ولم لا ؟

بسكال : ليس لك أن تلقى على كتفى واجبا يُكَبِّلك ، أنت ابنُها .

مارك – آندريه : هذا باطل .

بسكال : إنها البينة الواضحة .

مارك – آندريه : قلت لك ، إنه باطل . لست مسئولا عنها . نحن لا ننتمى إلى نفس العالم . إنها تحيا مع أبى ومع أولئك الذين فقدتّهم وتحيا معك ، إنها تنتمى إلى

الماضى . أما أنا فأريد بكل قواى أن أحيا حياتى. .
اريد ان احيا حياتى . . . .

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ، رينيــه

رينيــه : صباح الخير يا مارك ــ آندريه . (إلى بسكال) الساعة بعد العاشرة والنصف ، وقد اعتقدت أنك تنوى الخروج .

بســكال : ليس الموعد على درجة كبيرة من الاهمية (تشعر بارتباكة .) آه ! سأتصل بالتليفون لأقول لهــم ألا يعتمداو عليّ . (إلى مارك ــ آندريه) لاتذهب فثمة كلمة أريد أن أقولها لك .

(يخرج . فترة صمت)

مارك ــ آندريه : (بلهجة مصطنعة) هل روجيه وايزابيل عــلى ما يرام ؟

رينيــه : إن صحتهما معتلة ، ولا سيما روجيه . الواقع أن الاطفال مفرطــو الحساسية للجــو المعنوى . اصطحبتهما ابنة عمى فويار في الايام الأخيرة إلى فيلم سخيف . وفي الجريدة السينمائية شاهــدوا

مناظر بشعة من الحرب الكورية . . .فعاد روجيه — وهو مرهف الحس إلى أبعد حد — مريضا تماما . فما كان مني إلا أن كتبت خطاباللاحتجاج فمن العار أن تُعْرض هذه الفظائع على الشاشة .

مارك — آندريه : ربما لم يكن من السوء أن يعلم الناس . . .

رينيه : من ، الناس ؟ خمدت الحساسية ، ولم يعد هناك من يتأثر ، سوى الاطفال وحدهم .

مارك — آندريه : ثم ! . . .

رينيه : إني أتحدث عن أطفال حقيقيين ، عن طفلينا . لم اعد أستطيع انتظار اللحظة التي انتزعهما فيها هما الاثنين من هذا العالم الملعون . ألم يخبرك عمك بشيء مما يحدث لنا ؟

مارك — آندريه : كلا .

رينيه : عرضوا عليه كرسيا في إحدى جامعات البرازيل.

مارك — آندريه : (في دهشه شديدة) أوتعتقدين أنه سيقْبل ؟

رينيه : انه يتظاهر بأنه عازم على الرفض . ولكني أؤكد لك أنه سيغير رأيه . ماذا بك ؟

مارك ــ آندريه : (بصوت خافت) أفكّر في المحادثة التي دارت بيني وبينه منذ لحظة .

بســكال : (عائدا) لقد ألغيت الموعد . ينبغى أن أنــشر مراسلاتى .

مارك ــ آندريه : أيكتبون إليك كثيرا ؟

بســكال : إنهم يجعلوننى أسْهِم في الاحاطه بكل ما يدور في العالم . . هل قرأت ماكتبه دوهاميل أخيرا ؟

مارك ــ آندريه : كلا .

بســكال : اقرأه . . فان ماكتبه صحيح ، وسيبقى من بعده.

مارك ــ آندريه : أتعتقد أن ثمة شيئا سيبقى فيما بعد ؟ . . أجــل ، ربما في أعماق مكتبة في سنتياجو عاصمة شيلى ، أو في كيبتاون . . ولكن ، هل سيكون ثمةقراء؟ أوجب استطلاع يبقى للعقل ؟

(رينيه تنفجر منتحبة)

بســكال : اسكت ، يا صغيرتى ، اسكت . اتركنا الآن أريد أن أذكرّك فحسب لتقول لوالدتك كى تتصل بى بالتلفون غداً مع السلامة

(يعانقه)

المنظر الثالث

بسكال ، رينيه

بسكال : اهدئي ، ياصديقتي المسكينة ، ينبغي ألاتعلقي أية أهمية على ما يقوله ذلك الطفل .

رينيه : (في نحيبها) أنت تعلم جيدا أنه على حق .

بسكال : كلا . إنه مجرد صدى لتنبؤات لامعنى لها . أيستطيع المرء أن يعرف ؟ . . هل يلجأ العالم إلى القنبلة الذرية ؟ أميل بقوة الى الاعتقاد بأنه لن يفعل .

وهذه المسألة مثل حرب الميكروبات . .

رينيه : ومن أدراك ؟

بسكال : أوه ! لست ناقما عليه . بل على العكس : اني أشعر نحوه بعطف عميق .

رينيه : (في شدة) ليس لديه ما يشكو منه أكثر من سواه .

بسكال : ربما كان لديه يارينيه — أكثر من غيره . لقد فقد أباه .

رينيه : ليس وحده في ذلك .

بســكال : إنى ألوم نفسى على تقصيرى في واجباتى حين لم أسهر عليه السهر الكافي .

رينيــه : أنت تعلم تمام العلم أن إستير كانت تتهمك بالتدخل في شئونها لواردت الاعتداء على حقوقها . .

بســكال : لا أظن ذلك حقا . ثم ، من الذى يتحدث عن حقوق ؟ كلا ، الواقع أن ما شعرت به خلال تلك المحادثة الطويلة هو أننى لاأملك وسيلة أساعد بها هذا الطفل ، وأشد من عزمه . — والأسرار التى أفضى بها إلى . . ياللبشاعة . . انه ينتمى إلى أفقر جيل ظهر على سطح الأرض إنه لم يعد يؤمن بشىء .

رينيــه : وأنت ؟ أتراك تؤمن بشىء ؟ أتصحبنا ولوحتى إلى القداس ؟

بســكال : (في كمد) . المسألة لاتتعلق بى في هذه اللحظة ، يا رينيه .

رينيــه : اعترفت بنفسك انك غير قادر على توجيهه ثم إن أمه . . يعلم الله أية أخلاق تلك . جميل والآن ، ها أنت ترى النتيجة .

بسكال : إن الأخلاق لاتُنقل من شخص إلى آخر .

رينيه : كفانا حديثا عن هذا الصبي الذى لانستطيع أن نفعل من أجله شيئا : لاأنا ولا أنت . هل — أمعنت الفكر ؟ وفضلا عن ذلك ، أتساءل — كيف ستجد الوقت . . . .

بسكال : محادثتي مع مارك —آندريه ، لم تصرفني عن المسألة التي تشغلك ، بل على العكس . إني أعتقد انه ليس من حقي معارضة رحيلك عن فرنسا .

رينيه : وكيف ؟

بسكال : أنت والطفلين .

رينيه : أنت مجنون تماما اتتصور أنك تستطيع فصل مصيرك عن مصيرنا ؟

بسكال : ولم لاأستطيع ، على الأقل ، موقتا ؟

رينيه : هذا الموقت نفاق خالص . وأنت تعرف مثلى أننا لو لم نرحل الآن ، فلن نستطيع الرحيل إطلاقا .

بسكال : أنا لاأعرف شيئا ، ولا أنت ايضا .

رينيه : وفي اليوم الذى ستجد فيه أن الوقت قد حان ، سيكون الأوان قد فات . ثم ، هل أنا ، وهل الطفلان ، هل نحن الذين وجهت لنا الدعوة ؟ انهم لن يقبلونا الا لأنك تعولنا ، فلا مكان لنا في سان فيليب — وحدنا بدونك .

بسكال : إن كارلوس وإينيس صديقاك .

رينيه : لن أذهب إلى هناك متطفّلة .

بسكال : هذا الذى تستسلمين إليه الآن ، نوع من الابتزاز .

رينيه : إننى أقتصر على عرض الوقائع . لن نرحل — بدونك لأن هذا مستحيل ، وكذلك لأنى لاأقبله

بسكال : لماذا ؟

رينيه : أأحتمل أن يقول الناس عنى : لقد تخلت عن زوجها ؟ . . أتعتقد حقا أننى أحتمل ذلك ؟

بسكال : آه حسن . اذن فأنا مُثَبّتٌ في مكانى . . الخوف مما يقوله الناس ، وتريدين أن انحنى أمام شعور بائس كهذا ؟ انظرى يارينيه ، لو أنك جئت تقولين لى : لن أعيش إذا علمت أنك في خطر على حين أننى بمأمن . .

رينيــه : بكل تأكيـــد .

بســكال : تقولين : بكل تأكيد . دائما مثل هذه الكلمات لاتنطقينها ، وربما كان هناك مايدعونى إلى الاعتراف بجميلك ، لأن ذلك يمكن أن يكون أكذوبة . . .

رينيــه : بسكال !

بســكال : أنا لا اقول أبدا إنه لن يسوءك أن تعلمى أننى تحت القنابل ، أو أننى في صراع مع مالا أدريه من « التشيكا » ــ أنا أعلم أن ذلك سيسوءك جدا . فأنت لست مسخا ، بل أنت طبيعية بفظاعة ، يا مسكينتى رينيه .

رينيــه : ماذا يعنى هذا : طبيعية بفظاعة ؟

بســكال : هذا معناه أنك لم تهيئى لمعاناة مشاعر مطلقة . . كلا ، كلا ، لاتقولى عكس ذلك .
أوه . بكل تــأكيد هناك طفـــلان ، ولكنك تحبينهما كما يحرص المرء على جلده . . كلا ، كلا ، كلا يارينيه ، المطلق لايدخل ضمن أوتارك .

رينيــه : ماذا يعنى هذا المطلق ؟

بســكال : الوفاء ، ولاشيء سواه .

رينيـــه : أتتهمنى بأننى قد خُنْتكُ ؟

بســكال : ليس ثمة ما هو أبعد عن فكرى وليس لدىأدنى دافع إلى افتراض أنك خنتنى كما تقولين ، وأضيف — عابرا — انك حتى لو سقطت— يوما بتأثير مفاجأة من مفاجئات الحواس ،فربما لم يكن الأمر خطيرا في عينى . . .

رينيـــه : عجيبة ! . .

بســكال : نحن لسنا في المسرح نشاهد مسرحية لهنرى — برنشتاين أو لبورتوريش . كلا .
الوفاء — يارينيه— ليس امتناعا . لقد رأيته يلمع — منذ ساعات ، في نظرة لم تكن من نظراتك .

رينيـــه : أية نظرة ؟ وأى وفاء ؟ انى أطالبك بأنتفصح عن نفسك .

بســكال : لست طوع أمرك . وليس لك أن تطالبى بشىء واذا كنت لاتفهمينى ، فأنا على العكس ، أقرأ نفسك كأنها كتاب مفتوح .

رينيـــه : هذا شىء غير موكد . . .

بســكال : إن ماله قيمة في نظرك هو أمْنُك ، وأمْنُ — طفليك . كل هذا طبيعى ، للمرة الثانية . . ولنضف أمنى أنا ، إذا كان ذلك يسرك ، لأن ثمة أسبابا تتعلق بالراحة وبــالاحترام — الانسانى ، ربما لم تجعلى من اليسير عليك في الواقع ، أن تفصلى مصيرى عــن مصيرك .

رينيــه : ثم ؟

بســكال : ثم ، إنى لم أعد أرى ، لقد أطبق علىّ الظلام .

(صمت)

رينيــه : (في ارتياح) أعتقد أنك لم تكن تتحدث على هذا النحو منذ ساعتين . .

بســكال : (في عنف) أراك تعتقدين فعلا أنك واثقة من الانتصار . ولكنك مخطئة ، يارينيه . فالشرف موجود ، رغم كل ماتقولونه عنه، أنت ومن على شاكلتك . وستبقى فرنسا ، مادمت أشعر أننى مازلت فرنسيا .

رينيــه : ومن طلب منك إنكارها ؟ ألست ببقائك —

تخاطر على العكس ، بأن تصبح مرتدا ؟ إنى لأذكر ماقلته لى ذات يوم أثناء وجود الجستابو. ألاتعرف إلام أشير ؟

بسكال : كلا .

رينيه : ما أسوأ ذاكرتك ياصديقى . عندما قضى رجل المضلات الانجليزى عندنا ليلة في ٤٣ شارع — لاروش . سان — هيريم ، وأراد أن ينقل اليك تعليمات سرية لاأعلمها ، مازلت أسمع صرختك : كلا ! صحت في وجهه ، كلا، لاأريد أن أعرف شيئا ، لاأريد أن أحمل سرا يمكن أن ينتزعه التعذيب منى . . . . »

بسكال : كنت على حق .

رينيه : بلا شك ، ولكن ، استخلص النتيجة .أنت لست شخصا قويا يا بسكال ، ولست واثقا من نفسك . وسأخبرك بشيء آخر لاحظته مرارا أنت تحب الترحيب ، حتى بالخصم ، بل على الأخص ، بالخصم . ولأنك تخاف من نفسك مما يسميه أصدقاؤنا بروح الضيافة ، لم تشأ — الرجوع إلى باريس وهى تحت الاحتلال مع أنك

لم تكن تخشى شيئا سوى نفسك . . وهذه ـ
حقيقة هى المقاومة الوحيدة التى تستطيع أن ـ
تزهو بها ولكن ، أيمكن أن نسمى هذا شجاعة
أيمكن أن يكون الخوف من الخوف شجاعة ؟

بسكال : (في قوة) أصغى إلىّ . ليس من اليسير غاية اليسر أن نجرد أفعالنا جميعا من صفاتها ـ فننسبها إلى الأنانية أو إلى الجبن . . ولكنى لا أعلم ماهو أدنأ من ذلك السرور الذى يجده المرء في تجريد انسان من صفاته ، ولا شئ أشد عمى للبصيرة . ولو كنت أخاف من الخوف كما تقولين ، لكنت قد رحلت .

رينيه : سترحل . . وسنرحل .

بسكال : لو كنت خائفا ، لما أقدمت على تلك المخاطرة التى تلوحين لى بها بذلك البريق الشرير في عينك ، مخاطرة أن أكون متواطئا ، وأن الوث شرفي .

رينيه : لم يعد ثمة شرف .

بسكال : لم يعد هناك إذن إلا اختيار العار الذى نفضله .

رينيه : لم يعد ثمة شرف .

بسكال : لماذا تتحدثين منذ خمس دقائق دقائق بهذه — السلطة ، وهذا العناد ؟

رينيه : ابحث .

بسكال : ماذا ؟

رينيه : هذه السلطة تأتى منك ، وصوتى ، هو صوتك إنه صوتك الصادر من الأعماق .
وهذه الكلمات التى تجرحك ، أنت الذى — توحى بها إلىّ . . إنها الكلمات التى لاتجدعندك الشجاعة بعد للاصغاء إليها من قرارة نفسك
(صمت . ثم بصوت متغير .) والواقع ، ما هذه النفس الوفية ، وتلك النظرة غير العادية

بسكال : (بعد هنيهة) زميل من الليسيه التقيت به مرة أخرى هذه الأيام الأخيرة . .إسرائيلى .

رينيه : أتعرفه إستير ؟

بسكال : جائز . أجل ، من الممكن أن تكون إستير قد التقت به .

الفصل الثالث

بعد انقضاء يومـــين

المنظر الاول

بســكال ، روبــير

روبير : لماذا تصر على الانكار ؟ لقد قَصَّت رينيه كل شيء على أمها ، وهذه سارعت بدورها إلى — ترديدها على مسامعي .

بســكال : أتتردد كثيرا على حموىّ ؟

روبير : إنى أذهب لرؤية الوالد من حين إلى آخر . أشغل نفسى أحيانا بقروضه ، وأنت تعلم ذلك تمام العلم .

بســكال : أنت ! إنى أرى ذلك رائعا .

روبير : أرجوك . .

بســكال : يبدو على والدك وزوج أبيك أنهما يقاومان هما الاثنان — ريح الذعر هذه .

روبير : إنها منفعلة انفعالا شديدا ، وهذا كله يسليها بجنون . أما هو فأشد همّاً ، ولكنه يقـــرأ ــ « لموند » ، ويرجو أن نبقى على الحياد . وهذه الفكرة لاتروق للوسيين التى تؤثر الحلـــول الواضحة . وهى تتظاهر بأنها لاتقرأ الصحف ولكنها ليست مع ذلك أقل معرفة بكل مايحدث بل بما سوف يحدث . ولست أدرى إن كانت تتردد على العرافات . . وقد كنت أعتقد أنهن لايتكرمن بالرحيل ، ولما كانت لوسيين لاتدس أنفها في الخارج . . .

بســـكال : وكيف كانت استجابتهما لنوايا رينيه ؟

روبير : أماهى فبألوان من النقيق ، وأما هو فبضروب من التنهيدات .

بســـكال : اتنوى رينيه أن تصحبهما إلى البرازيل ؟

روبير : لقد ألمحت إلى ذلك تلميحا غامضا أثار ألوانا جديدة من النقيق ، من الطرفين هذه المرة .. في سننا ! نحن اللذين لانحتمل السفينة ، ولا الطائرة ! أنت مجنونة ! وكانت تتوقع هـــذا كله . ويبدو أن لديهما كميات صغيرة مـــن

المُنَومّات حين يبتلعانها بجرعة مرتفعة ، ـــ تخلصهما من كل الهموم في اللحظة المناسبة . وبدت رينيه مغتبطة بهذا الحل . ولكن أنت ؟ يبدو أنها قالت إنها حوّلت تفكيرك إلى جانب مشروعاتها للهرب . أهذا صحيح ؟

بســكال : كيف تريد أن تقوم رينيه بتحويل شخص مــا إلى أية فكرة كانت ؟

روبير : إنك تتلاعب بالألفاظ وأنا أرى دون حاجة تدعوك إلى أن تقول لى ، ان رينيه قد انتصرت على هواجسك ، فانا اعرفك بما فيه الكفايــة لأعلم أنك تخفى انتصارها . ولكننى أفترض أن هذا قد نزع هاجسا . . .

بســكال : أنت تضع الأسئلة وتجيب عليها بنفسك .

روبير : إنك لاتتجاوز حدودك أبدا .

بســكال : أرجو أن توفرّ على مشقة الاجابة عليك . وإنما أحب أن أعرف فيم يخصك هذا ، أو ببساطة فيم يعنيك . . فأنت لاتحب رينيه ، ولاتحبنى .

روبير : إن بى نقطة ضعف نحو طفليك ، أو على الأقل نحو الولد . والبنت ايضا ضعيفة .

بســكال : أمهما على حق حين تريد إبعادهما . فباريس لاتصلح لهما . ولن يمكثا فيها على أى حال .

روبير : هل فكرت جيدا فيم لو أنك توليت تنشئتهما في أمريكا الجنوبية فمن المحتمل ألايستطيعا العودة هنا إلى الأبد . هل تأخذ على عاتقك هذه المسئولية ؟

بســكال : إن أحدا منا لايستطيع أن يعرف مايمكن أن يصير اليه هذا البلد . وحتّى لو احتفظت بوجود مادى ، فاننا نجهل إن كان سيستعمرها القرغيز أو التركمان . .

روبير : هذا عجيب .

بســكال : ما العجيب ؟

روبير : كنت أحسب أنك لاتردد على لسانك سوى الشرف الفرنسى .

بســكال : ترويّتُ كثيرا منذ يومين . ولم أعد واثقا من معرفتى أين تقف فرنسا . . فمنذ الحرب الأخيرة نعلم أنه ليس من اليسير دائما تحديد موقفها . . من الممكن قبل كل شيء . . أجل،

فمن الممكن أن تُدْعى إلى البقاء في أولئك الذين سيملكون الشجاعة لانتزاع انفسهم من أرض أصبحت نهبا لجشع البرابرة . إنني أمضي بعيدا ياروبير ، وهذه الفكرة التي تسلطت عليّ منذ أول أمس ، دون أن أعتنقها تماما ، تتخذ في حضورك صفة البينة . فليس الرجال من أمثالك هم الذين سيؤكدون . .

روبير : (بصوت أشبه بصوت الناى) . . الدوام — الفرنسي .

بسكال : لماذا تصطنع نبرات المهرج هذه ؟ إنك لا تفكر إلا في تسليم فرنسا بعد أن لم تعمل إلا لهزيمتها .

روبير : شكرا ، على كل حال !

بسكال : أوه ! أعلم جيدا ! انك تصرفت تصرف — الوطني خلال تلك السنوات المريعة — أو هذا على الأقل مااعتقدته ، ولم يكن ذلك يخلو من شك ، ومن قلق لم أستطع أن أتخلص منه قط. ذلك لأنك سررت في نهاية الأمر للهزيمة. أجل لأنك اعتقدت أنها تسمح لك ولاصدقائك بادانة طبقة بغيضة ، وكأن ضروب التخريب التي

نظمتموها في المصانع لم تُمهّد . . لكارثتنا . .
فأنت شريك في خدعة كبرى ، ولهذا السبب ،
لاشيء مما تفكر فيه يمكن أن يؤثر في اليوم . ومع
التسليم بأنني قررت أخيرا أن أصحب زوجتي
وأولادي الى البرازيل ، فلست في موقف يسمح
لك بتوجيه أي اتهام إلى مسلكي . أنا أعرف
الآن ، أنك لم تتصرف كوطني ، لحظة
واحدة .
كلا ، يا روبير ، بل تصرفت كمشايع مجرد
مشايع لاأكثر . .

روبير : (متمالكا نفسه) من ذا الذي يتحدث عن
اتهام ، أو عن حكم أخلاقي ؟ هذه أوهام ،
وأنت تعلم ذلك مثلي . ولكنني أريد أن تلاحظ
فحسب أنك اذا كنت قد ملكت من الجرأة ما
جعلك تعامل فرنسا على أنها جثة وتدعي إدعاء
عجيبا بأنك تصحب روحها نحو الشواطئ —
البرازيلية ، فانني أنا وأصدقائي قد تعهدنا —
بالمحافظة على فرنسا حقيقة ، وليست ميتة ،
فرنسا الثورية التي لم يسمح لك ضميرك السيء ،
ضمير البروجوازي المرهون — أن تعترف

بوجودها . وأنا أقرر بأنك قد تحدثت في كتبك أحيانا كثيرة ، عن الوفاء من جانبك أو من جانبنا ؟ يبدو لى أن الاجابة واضحة بما فيه الكفاية .

بسكال : أيا كانت الاتهامات التى يمكن أن توجهها إلى فرنسا الثورية ، فإنها كانت — على الأقل — مستقلة ، لم تكن تتلقى قانونها إلا من نفسها ، ومن رجال جنسها الذين اتخذتهم مرشدين لها ولم تكن في خدمة ، ورهن اشارة دولة آسيوية أجنبية عن كل تقاليدها...وأنا أقول عن كل تقاليدنا ، أيا كانت . . ولست أرى أن كلمة الحرية قد بعثت قط أى صدى عبر الأورال أو حتى هناك وحين يطلق القوقاز خيولهم ترعى في غابة بولونيا ، فسوف تستيقظ ذكرى ١٨١٥ البشعة في الضمائر الغافية .

روبير : (في حدة) كفى . إن الاحتلال الذى تؤرق صورته ليالى أمثالك ، أقول لك — أنا — انه لن يحدث . سنتدخل في الوقت المناسب —

للحيلولة دون وقوعه . لقد تلقينا تأكيدات رسمية . ولست في حل من أن أقول لك المزيد

بسكال : كلا ، ولكن ، أتعتقد فيما تقول ؟ أتعتقد أن الوعود تحتفظ بأى معنى في العالم المسكوفي؟

روبير : هذا يتوقف على الظروف . فعلى نفس الجانب من الحفرة يبقى الايمان المثبت بالقسم ، وسواء من هذا الجانب أوذاك ، يكون احتراقه من قبيل الخداع .

بسكال : ومع ذلك ينبغى أن نتظاهر أحيانا .

روبير : أحيانا ، في الواقع . مسألة تكتيك .

بسكال : أتعترف بذلك ؟

روبير : بل إنى أعلنه على الملأ .

بسكال : ولكن ألا تلاحظ أن التفكير على هذا النحو — معناه الوصول بتدمير الانسان إلى غايته ؟

روبير : الانسان ، أنا لا أعرفه . وحين تقال هذهالكلمة أخرج مسدسى .

بسكال : تكاد أن تكون هذه العبارة ياروبير مقطوعة من المحفوظات . وما يروعنى ليس فقط أنك —

مخلص ، ولكن، أن ما من شيء يهتز فيك حين تتفوه بهذه العبارات المدنسة . ألا تشك في أن التخلى عن الكلى ، هو بالنسبة لك ، وبالنسبة لى ، وبالنسبة لنا جميعا ، عزل لنا واعتزال، إن معناه أن نضحى بأنفسنا مقدما إلى إلـــــه من تلك الآلهة الجديدة التى ليست عبادتها سوى دعاية . أمن الممكن أن تكون مخدوعا الى حد الاشتراك في هذه المهانة ؟

روبير : لن أكلف نفسى عناء الرد عليك . والسقوط — على حد قولك — تسليم ، كتسليمك ، فأنت لم تعد تؤمن بشيء، ولم تعد تأمل في شيء، ولكنك تستمتع بترف السخط بثمن بخس . وأقول بثمن بخس ، لأن تلك الفورات الانتقامية لا تعرضك لأى عقاب ، أو على الأقل — هذا ما تعتقده ، فهى تساوى عندك تهليلات ضميرك المســكين، ضمير البورجوازى المنحل . وها أنذا أقول لك، وأكرر هذا القول عليك ، إننا نؤمن بكل قوانا بأن الشيوعية الفرنسية ممكنة ، بل بأنها حتمية ، لأن ما يجب أن يكون ، لا يمكن إلا أن يكون .

وربما كان لا بد للوصول إليها من اجتياز مرحلة صعبة، علينا أن نكبح فيها بعض القفزات، وهذا القول ينطبق علىّ ، كما ينطبق على غيرى . إنها مخاطرة : ونحن نقبلها بعيون مفتوحة ، وحتى إذا كان لابد من أن تسحق أشخاصنا ، فليكـــن . لأنك مهما قلت ، فان أشخاصنا لاقيمة لهـــا. نحن دروب تؤدى إلى ما هو أعلى منا . أما أنت فلست سوى طريق مسدود ، بل دعنى أقلها لك بالوعة . . . لاجدوى من الاحتجاج ، لأن اقتناعى قد استقر ، كما استقر اختيارك . . لأنك قـــد وفقت وأحسنت الاختيار .

بســكال : هذا باطـــل .

روبير : ان التأرجحات التى تنتزع منها ذريعة للادعـــاء بأنك حر ، لا قيمة لها أكثر من قيمة التذبذبات الأخيرة لمؤشر الميزان . ولست مندهشا من ذلك ، فأنا اعرف ما ينبغى أن أتمسك به منذ أن رأيتك تفضّل الامتناع عن اتخاذ أى التزام كان ــ لأن الالتزام كان خطرا ، طال الأجل ، أو قصر . وكنت على ثقة دائما أنه حين تحين اللحظة الحاسمة

ستجد وسيلة للفرار . وكنت أعتقد طبعا أنـــك ستعرف كيف تضمن هروبك في ظروف أكثر من ذلك تألقا . . .

بســـكال : عفوا . ماذا قلت ؟

روبير : أنت تفهمني جيـــدا .

بســـكال : أنا لا أدرى إلى أى شيء تشير .

روبير : ألم تشك مطلقا في أن ذلك الا « كارلوس مارتينيز » كان يواظب على مغازلة زوجتك منذ عامين في بياريتز ؟

بســـكال : هذا أول خبر . أتجهل أنني كنت في اسكانديناڤيا في تلك اللحظة . . ومع ذلك تلجأ إلى التلميح؟ . .

روبير : إطلاقا . أقـــول ، إن ما هو واضح للعيان ، أن طلب مثل هذه الخدمة ، في هذه الظروف شيء عجيب حقا ، ومن الممكن أن يُفْسح ذلك مجالا لافتراض تبييت النية لاسترداداها في الوقت المناسب

بســـكال : أنت وغد . وهذه الحكاية لاقيمة لها في نظرى . كل ما أستبقية هو الشعور الذى دفعك إلى مخاطبتى وتوجيه هذا الانذار . فهذا ، يكشف عن أشياء.

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ،مارك ـ آندريه

(الذى يبدو متهالكا ، ويتوقف عندما يــــرى روبــير)

بســكال : ماذا جرى ؟ ماذا حدث لك ؟ انك تبدو شاحبــا كالملاءة البيضاء .

مارك ـ آندريه : هناك . . أوه ! أستطيع ـ على كل حال ـ أن اقول ذلك أمامه . أوسعونى ضربا عند شــخص كان يتظاهـــر بأنه صديقى . أتدرى لماذا ؟ لانى رفضت ببساطة ـ توقيع نداء إلى الطلبة يدعوهم إلى الاضرا ب احتجاجا على إرسال قـــوات جديدة إلى الهند الصينية .

بســكال : أهنئك ،ولكننى لا أكاد أفهم . . .

مارك ـ آندريه : أنا لا اعبأ بالهند الصينية ، وأعتقد أن الاستعمار مشئوم ، وربما إجرامى، وأرى أنه كان ينبغى علينا الرحيل في ٤٥ . ولكننى تلقيت منذ بضعة أيام رسالة من صديق هناك في الجيش . زوّدنى بتفاصيل رهيبة عن الظروف التى يحارب فيهـــا

جنودنا : إنهم يعيشون على انتظار التعزيزات ، وربما كان مقتل صديقى ورفاقه متوقفا على . . . كلا ، هذا مالن أفعله .. . أنت لا تفهم ، يا خالى روبير ؟

روبير : أنا لا أحفل مثقال ذرة بصديقك وأمثاله . فلو أنه رفض الرحيل ، أو ألقى بسلاحه ، أو قتل رئيسه ، لما انتهى بهم الأمر إلى انتظار أن يأتى آخرون لمشاطرتهم عارهم وموتهم .

بسكال : كفى . . يكفينا هذا ! اذهب ، فلم أعد أريد رؤيتك.

روبير : فورة مؤثرة من وطنى يتأهب للرحيل إلى أمريكا الجنوبية . . . وعليك – فى الواقع – أن تأخذ احتياطاتك . فنحن عدد كبير هناك . وستعطى أوصافك .

بسكال : بواسطتك ؟

روبير : أو بواسطة غيرى . . وفيما يتعلق بالأمن ، كان ينبغى إيجاد مكان أفضل . . ربما كانت جرينلاند أو جزيرة أخرى عزيزة على « جوجان » . . وهناك تشرع فى الرسم . . وداعا . . .

(يخرج)

المنظر الثالث

بسكال ، مارك ــ آندريه

بســـكال : هل نظرت إلى وجهه أثناء حديثه ؟ إنه لم يكــن وجه كائن بشرى . كلا ، إنه هو وزمــلاؤه ، ممسوسون . . أعلن دوستويفسكى هذا كله . . . ولكن ، كيف تم هذا المس ؟ سأحرص خــلال السنوات التى ربما بقيت لى فى الحياة على أن أفهمه ولكن ، ربما كان هذا البحث بلا طائل ، وربما كان هذا كله يجرى خارج قدرة العقل عــــلى الادراك . . كأنه وباء . ولكن ، لماذا يظهــر؟ ما الذى يُعَطِى فجأة بعض الجراثيم التى كانت موجودة فعلا تلك القدرة الغامضة على الانطلاق بقوة ؟ أو لعلها لم تكن موجودة ؟ هذه أخطــر مشكلة يمكن أن تكون ، ولكن ، ربما لم نكــن مجهّزين لحلّها . يا بنى . . مدّ ذراعيك . . كنت شجاعا ، وأنا أحبك حبا جمّاً .

مارك ــ آندريه : لست ادرى إن كان هذا يمكن أن يُسَمى شجاعة هو بالأحرى ضرب من الطاعة ، شيء فى أعماق نفسى منعنى من توقيع ذلك النداء ، شيء صــدر

عن مكان آخر ، ربما من أعماق مانسمّيه بالموت
. . أنا لا أعتقد أنى أومن بالله ، ولكننى أفكر
باستمرار في الأموات . ربما لأنهم يجتذبوننى إليهم
طيلة الوقت ، أقاوم بهذا الاصرار ، وأريد البقاء
في لهفة شديدة . أنا مزدوج الشخصية — يا عمى
بسكال — مزدوج الشخصية ، ومع ذلك فأنا
نفسى دائما . ثم هناك شعور أحسست به — في
قوة — منذ لحظة عند موريزو ! قبح هؤلاء
المتعصبين . . . أوه ! أنا لا أقصد قبح الخلقة ،
فقد كان فيهم اثنان أو ثلاثة يتصفون — على
العكس ، بجمال ، كجمال الجنى ، وكان بعضهم
الآخر بشعا ، ومعظمهم لايكاد المرء يتذكر
ملامحهم . كالحال في كل مكان . . ولكنه قبح
غير مرئى ، كما أنه ليس أيضا قبح نغمة نشاز . إنه
قبح نتنفسه ، أو بالأحرى ، كلا ، إننا لانستطيع
أن نتنفسه . . . ثمة ألفاظ لم يعد من الممكن
استخدامها لأن الرومانتيكيين أفسدوها . ومع
ذلك ينبغى إخراجها من القبور : كلمة مظلم . .
مظلم . . . منذ لحظة كنت أوثر أن أُقتَل على
أن أوقّع . . . ولكن الآن ، بعد أن لم يعد أولئك

الفتيان أمامى ، فانهم يبعثون في نفسى رعبـــا شنيعا . ولم أعد أستطيع الانتظار حتى انتهى من هذا الكابوس . . . معذرة ، ياعماه ، فان كل ذلك يبدو خاليا من الاتساق . هذا الخليط . . . ولكنى ، لم أعد أستطيع الاحتمال . . ولو لم أجد وسيلة للرحيل ، فسأقتل نفسى .

بســكال : ولكنني كنت أعتقد أنك متأكد من قدرتك على الرحيل إلى إفريقيا الاستوائية . . .

مارك ــ آندريه : بالأمس بدا لى « لوقا » مراوغا . وأعتقــد أنه لم يكن جادا في حديثه ولم يعد واثقا على الاطلاق من أن والده سيكون متفقا معه عــلى اصطحابى . وقد حدث شيء فريد في بابــه . فاذا كنت عند « موريزو » منذ لحظة ، فربما كان ذلك لأن صوتا مخادعا في قرارة نفسى ، كان يوحى إلى بألا أحطّم الجسور . وحين وجدت نفسى في مواجهتهم ، انعكست الآية فكأن شيئا أقوى منى يرغمنى على تحدّيهم . . آه ، إننى متعب ياعماه ، لــو كان لك أن تعلم ! ثمة أنــا أخرى في نفسى تحب أن تموت أن تموت حقا . . . في الحال . دون اختناق

بطيء ... أو تسمم .. كلا ، اطلاقا ..
كل شيء مفضل على ذلك .
وأنت ؟ أجروٌ بالكاد على سؤالك .. هل
اتخذت قرارا ؟

بسكال : كلا ، لم ينعقد عزمى بعد ، فمازلت مع
شكوكى وهواجسى . ولكننى في الوقت نفسه
لكى اكون مخلصا تمام الاخلاص ، الاحظ ان
شيئا في نفسى في سبيله إلى اتخاذ قرار ، نيابة
عنى .

مارك ـ آندريه : أهذا صحيح ؟

بسكال : تقول هذا مسرورا ! على حين أنه شنيع ...
أشعر بأن الانحلال الذى أصاب بلادى قد
أصبح الآن في نفسى ، وأنه في سبيله إلى بلوغ
غايته ، وأننى أشارك فيه . ياطفلى المسكين ، أنت
تنظر إلىّ بعينين مذعورتين ، بعينين تستجديان ..
لن أتخلى عنك ياصغيرى مارك ـ آندريه . ينبغى
الاعتقاد ـ إن كان لهذه العبارة معنى ـ وأنا
أجهله ـ بأننى مسئول عن حياتك ، وبأننى
لاأستطيع أن آخذ على عاتقى تعريضك لليأس

والانتحار . وكونك جئت لتراني ذلك المساء الآخر، أنت يامن أراك نادرا . . أجل ، أعتقد أن هذا نوع من البرهان إلا إذا لم أكن أتعلق بهذه الفكرة كذريعة لمحاولة أن أبررّ إزاء عينيّ مالايقبل التبرير . . . ولكني ، لست أدرى .
. . قلت كلمة « مظلم » حين تحدثت عن أولئك « الفتيان ــ الذئاب » الذين ينتمون إلى عالم آخر لا اتصال بيننا وبينه ، وأنا أقول ظلمات ،.. ظلمات . . هذا هو العنصر الذى أغوص فيه .

مارك ــ آندريه : إذن ، فأنت تريد أن تقول ياعمى ، ربما يكون من الأشجع ؟ . . .

بسكال : (في حزن عميق) لم أعد أعرف اطلاقا في أى جانب توجد الشجاعة . .
ولعل هذا هو أسوأ ما أجتازه الآن . وحين استمعت إلى روبير منذ لحظة ــ بل لاأستطيع أن أقول حين استمعت ، فقد عانيت . . . . أحسست أنه من الخسة ، بل من العبث تماما أن أجرّد احتقاره من حدته بقولى . : حسن! سأبقى . فهذا الاحتقار ينبغى ألاتكون له قيمة عندى أكثر من صرير باب أو دوارة هواء .

ومع ذلك لو أننى قررت البقاء الآن ، لاقتنعت في قرارة نفسى بأن بقائى هذا راجع إلى أننى أحسب حسابا لذلك الاحتقار. وهذا الموقف، أخذت أقلّبه على جميع وجوهه . منذ يومين. وهناك لحظات ، وصلت فيها إلى النظر إليـــه من الخارج . وتساءلت إن كنت على استعداد. للهرب والمعركة دائرة . ولكن كلا ، ليست هذه إلا صورة لمعركة . . لقد انتهت اللعبة . أوه ! إنى أعرف جيدا ! إنى أناقض نفسى ، كم من مرة أعلنت مخلصا : القدرية جريمة ، ومازلت أعتقد أنها جريمة في الواقع . ولكن هل العمى الارادى جدير بالاحترام ؟ وقلت لنفسى ، مهما يكن من أمر ، لو أن الصراع ظل ممكنا ، فربما لم يكن كذلك إلا بشرط — انتزاع النفس مما لم يعد — وأسفاه — سوى ديكور نُحبه على سبيل الاعتقاد المزيــف ربما . . . وأقول ربما مادمت لم أعد أعرف أين الشجاعة . أو حـــتى أين التضحــية . أنت تفهم ، يامارك — آندريه ، أنا لاأعرف ماسيبقى منى بعد ذلك الابعاد هناك ، لن أعرفه

إلا فيما بعد ، وربما كان ذلك لادانة نفسى .
يابنىّ أقسم لك ، إن افتقارى إلى الايمان لـــم
أحسه قط بمثل هذه القسوة ، فلو أننى كنت مرتبطا
، مرتبطا بالمسيح ، فلعل شيئا من النور يوهب لى
وأنا لا أبصر شيئا .. ستأتى والدتك .. وهى
وحدها في هذا العالم التى يمكن أن تؤثر عـــلى
ما أجروء في مشقة على تسميته قرارا . وأنت
أيضا تبدو معتلا ، يابنى المسكين .. اذهب ،
فاستلق بضع دقائق في حجرة روجيه ، فلن
يعود من الليسيه الا في الساعة السادســـة .
اذهب ...

(يخرج مارك — آندريه)

المنظر الرابع

بسكال ، ثم إســـتير

بســـكال : (ذاهبا إلى الباب القائم في المؤخرة) صباح الخير ، يا إستير . لقد تأخرت في رؤيتك مرة أخرى ، وكان في إمكانى أن أزورك .

إســـتير : كنت في الحى ، فكان من اليسير على أن أمـــر . هل خرجتْ رينيه ؟

بسكال : إلى ما بعد الظهر . إنها تدور على المحلات ، وعلى وكالات السفر . . . أولا ، مارك ـ آندريه .
هل كلمك عن محادثتنا ؟

إستير : بضع كلمات فحسب . ولكنك أثرت عليه . وإنى لاشكرك من صميم قلبي .

بسكال : وا أسفاه ! بل الأحرى أنه هو الذى مسنى في الصميم . . أجل ، أماط عنى اللثام . . . فمنذ تلك المحادثة ، لم أعد كما كنت. هذا شيء لاسبيل إلى التعبير عنه . وفضلا عن ذلك ، كأنما تجمد الناس الذين كنت أراهم لكى يتحولوا ضدى. . حمواى أولا . . . بعض الكلمات التى نطقت بها ذلك اليوم ، حين استمعتها تخرج منهم ، وجدتها مضحكة ، منقولة ليعزفها أرغن الهمجية . . . انظرى ، إن واحدة من المزايا غير المرغوب فيها والتى يملكها شخص مثلى هى معرفة النفس والاستهزاء بها من خلال أنصاره . . ولكن ليس هذا هو كل شيء . وكم رأيت من أشخاص غير قابلين للتحول ، ولا يقسمون إلا بما تعرفينه . وهم يتغلبون على سوابق تاريخية وهمية ،

ويتحمسون للصيغ المتطرفة ، وهم لا يتحصنون على « الأدور(١) » أو على جبال البرانس، بل على النيجر (٢) الأعلى ، إن لم يكن على الأوبانجى (٣) . انهم عاجزون عن التفكير في الحدث ، بل يضعون في مكانه شبحا مستمدا من التاريخ الحربى .

إستير : ومع ذلك ، يا بسكال . . .

بسكال : أجل ، اتفق معك ، ربما كان من الضرورى أن تبقى هذه الأوهام حتى النهاية . وربما كان هذا هو الشكل الوحيد الذى يمكن أن تتخذه إرادة المقاومة عند أوساط الرجال . ثم إننى لست نبيا . وهناك احتمال واحد من ألف أن يرى هؤلاء الناس بوضوح ، كل ما في الأمر هو أننى لا أستطيع أن أرغم فكرى بحيث أصبح شريكا لهم . واعلمى يا إستير ، أن الأمر ليس هو أننى لم أقرر شيئا على الاطلاق . . فمازالت القطع

(١) الأدور : نهر يجرى في الجنوب الغربى من فرنسا، وينبع بالقرب من «تورماليه»

(٢) النيجر : نهر فى غرب افريقيا

(٣) الأوبانجى : نهر آخر فى افريقيا الاستوائية

هناك فوق رقعة الشطرنج ، ولم ألعب دورى بعد . . لم أقرر شيئا ، ولكننى أبحرت فعلا . . هذه تجربة غريبة ، لم أجربها قط . إنها تحيرنى ، وتخزينى . وأنا أشبه حقا بمسافر صعد إلى ظهر السفينة عدة ساعات قبل الرحيل . فربما استولى عليه النعاس ، أو استغرق في قراءة ، فلم يسمع اشارة الرحيل ، وفجأة ، شاهد الشاطئ يتحرك وعلم أنه قد رحل .

إستير : ما هذه السفينة ؟ أهى مصيرك ؟

بسكال : ربما ، غير أن تشبيهى ليس دقيقا تمام الدقة ، ذلك أنه يستطيع أن يهبط في المرفأ القادم ، إن لم يلحق به شخص آخر . . .

إستير : ورينيه . . .

بسكال : رينيه والطفلان موجودون فعلا في القمرة (الكابينة) ، فالأمر لا يتعلق بهم إذن .

إستير : ولكن ماذا ؟

بسكال : (في حنان) لن أغادر فرنسا بدونك . . لاتسارعى إلى الاعتراض . اخطرك بأن مارك ـ آندريه سيكون في هذه الرحلة .

سنتير : ماذا تقول ؟

بسكال : إنه لايستطيع البقاء هنا ، وهذا ماتعرفينه كما أعرفه — أما فيما يتعلق بمشروعه للذهاب إلى أفريقيا السوداء ، فيبدو أنه لن يتحقق . فلا أملك إلا أن آخذه معناه .

إستير : أتريد أن تقول لى إن هذا بسببه ؟ . .

بسكال : لن يكون ذلك صدقا . ومع ذلك فقد اكتشفت بيني وبينه تضامنا غامضا . . لست أدرى ماهو ولكنى أعرف أن من واجبى الاعتراف به . . وقبل أن أوجه إليك سؤالا خطيرا جدا يجب كل الاسئلة الأخرى ، أريد أن أسألك : — أتعلمين أن كارلوس كان يغازل زوجتى ؟

إستير : تتذكر أننى في ذلك العالم لم أمكث سوى بضعة أيام في بيارتيز ، ولكنى أعتقد أننى لاحظت..

بسكال : الآن . . . هذا الأمر خطير ياإستير . وأنت التى تعرفين رينيه دائما ، ألديك من الأسباب مايجعلك تفترضين أنها تستطيع . . .

إستير : يستحيل على أن أجيبك . وأنت تعلم جيدا أن

رينيه لم تجعلنى قط موضع ثقتها ، ولم أقع مصادفةعلى شيء ، فليس لدى من دليل .

بســكال : ألاحظ على الأقل أن أى احتجاج مباشر لــم يصعد إلى شفتيك .

إستــير : هذا شيء صبيانى . أنت تعلم جيدا مثلما أعلم ، أنه مامن شخص يستطيع أن يجيب نيابة عن شخص آخر .

بســكال : ومع ذلك ، يبدو أننى أستطيع أن أجيب عنك .

إســتير : آه ؛ ربما كنت على خطأ ، لأننى أعلم أننى . مذنبة ، وربما قلت لك يوما فيم كنت مذنبة ولكننا نشرد عن الموضوع . اعود وأطلب منك أن توجه إلى ذلك السؤال الخطير جدا

بســكال : المسائل جميعا مترابطة . اسألك أن تخبرينى من أعماق قلبك ، هل تعتقدين أننى سأكون مذنبا برحيلى . ؟

إســتير : (بصوت مرتعش) مذنب ! بسكال ، نحن جميعا مذنبون ، مهما فعلنا .

بســـكال : ولكن هذا الشعور بالذنب، ألا اضاعف حِدّتَه برحيلى ؟ ألايعدُّ البقاء تكفيرا ؟

إســـتير : أأنت واثق من قدرتك على إعطاء معنى لهذه الكلمة ؟ الم تنتقل إليك بالوراثة مع كثير غيرها مثل تلك السندات الأجنبية التى نعثر عليها في درج من الأدراج ، غير أن قيمتها قد هبطت إلى الصفر ؟

بســـكال : قيمتها ؟

إســـتير : قيمتها بالنسبة لنا ، يابسكال . إنها الشيء الوحيد الذى يدخل في الحساب ، إذا كنا غير مؤمنين.

بســـكال : أهذا شيء أكيد ؟ كثيرون سيوجهون إلى اللوم أعرف ذلك ، وتعرفينه أنت أيضا . هل أستطيع التظاهر بأن هذا الاستنكار خليق بالاهمال ؟

إســـتير : ربما كانت الشجاعة تتألف من الحكم عليه — في الواقع — على هذا النحو .

بســـكال : ولكن ، هذه الـ« ربما » مخيفة ! أما من وسيلة لمحوها ، ولأن نكون على يقين ؟

إســـتير : لاأظن . فهنا ، مثلما في أى شيء آخر ، لابد من المخاطرة.

بســـكال : لو استطعت على الأقل أن أكون واثقا من أنك أنت نفسك . .

إســـتير : ماذا ؟

بســـكال : لن تدينيني .

إســـتير : (في عمق) كيف أدينك مادمت أحبك ؟ — أجل ، لقد كنت جبانة ذلك اليوم حين حاولت تأجيل الاعتراف الذى انتزعته مني عاطفة مباغتة إني أحبك . أحبك منذ أن عرفتُك . وأنا مذنبة حين أقول لك ذلك . ولعلى أكون أكثر ذنبا لو لم أقل لك ذلك . لست أدرى ، فليس علىّ أن أختار الشعور بالذنب الذى أرتاح اليه. نحن في اللحظة الحاسمة من وجودنا ، وأنت تعرف ذلك مثلي . والتحفظ والحياء قد — أصبحا وراء ظهرينا . أنام أعلم أنني استسلم لدوار، وها أنذا أستسلم له في وضوح تام . إنهم ، إن استطعت .

بســـكال : ولكن ، يبدو لى أنك تغيرت . كنتِ تحكمين بقسوة على من يرحلون ، وكنت تتحدثين عن القرار . . .

إستير : وكنت على صواب ، دون شك .

بسكال : ثم ماذا حدث بعد ؟

إستير : أعتقد أن هذا الرحيل هو في وقت واحد خط
وعقاب على هذا الخطأ . ومع ذلك ، لز
يكلفني البقاء إلا أقل القليل – كما ترى . ذلك
أنني إستطيع – بفضل طبيب صديق – أز
أضع نهاية لحياتي حالما أريد ، ولن أتردد أدنى
تردد في أن أفعل ذلك ، لأنني لاأتصور الذ
ناظرا لمدرسة ، كما لاأتصوره مُعَذَّباً . ولكز
لأنه من اليسير عليّ البقاء ، ولأنني أستطيع أر
أكون في وفاق مع ضميري ، لهذا السبب –
المحدد ، لن أتخذ ذلك القرار بالرحيل .
أو لعلني أحاول استبقاءك ، وأنا أعلم أن ذلك
ليس من حقي . . .

بسكال : لماذا ، يا إستير ؟

إستير : لايستطيع المرء أن يبقى إلا لأداء رسالة . بيد
أن هذا النداء أنت لاتسمعه ، أولعلك لم تعد
تسمعه – أو قد أدعك ولكن لماذا ؟ لكي
أستمتع بشعور التفوق ؟ ياللهامن سخرية . كلا .

لست على هذا النحو . كل ما في الأمر أنه ينبغي مواجهة الأشياء . . أولا ، هل أنت على استعداد لفرض وجودى على رينيه وعلى — أصدقائك ؟

بسكال : انهم ليسوا أصدقائي . واذا صدقنا ما يكتبون فهناك مساكن رحبة . . أما فيما يتعلق برينيه ، فهذا هو الشرط الذى سأضعه لرحيلي . بيد أنك قلت جملة أريد ان أفهمها : إن هذا الرحيل هو في وقت واحد خطأ وعقاب على ذلك الخطأ . أتراني سمعتُ جيدا ؟

إستير : أجل — يابسكال ، وأنا واثقة — لسوء الحظ من أن الأمر على هذا النحو . فليس في مقدورنا أن نغادر هذه البلاد بقلب خال ، وأن نندفع يملؤنا الأمل نحو سراب لاندرى كنهه : بفكرة حياة جديدة في عالم جديد . ولو كان مثل هذا الرحيل ممكنا — وأنى لنا أن نعرف ؟ — فلعله لن يكون إلا بعد الموت . ومن هذه الناحية ، نحن الذين لم نتطهر ، ليس لنا أن نتوقع العدالة . نحن ملوثون يابسكال ، وهذا

الرحيل نفسه ليس إلا دنسا . هذه الحقيقة ،
أطالبك كما أطالب نفسي — أن تنفذ إلى أعماقها
هذه بداية الموت .

بسكال : الدنس . . . الموت . . .

(يخلدان إلى الصمت)

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، مارك — آندريه ، ثم رينيه

إستير : كيف ! كنت هنا ، يا بنيّ ؟

مارك — آندريه : ألم يخبرك عمي بسكال ؟

بسكال : خشيت أن أسبب لأمك انفعالا لاجدوى منه ، فلتقص عليها أنت (ينظر اليهما) هذا غريب ، فأنا اعتبركما كما لو كنا أسرة واحدة ، نحن الثلاثة . . . ومع ذلك سوف تعود رينيه بعد قليل ، وهناك الواجبات الأخرى . . .

مارك — آندريه : لقد فكرت طويلا منذ لحظة ، وفجأة راودني خوف . . . تشكك . . . وأحب أن أتخلص منه . . أولئك الذين يذهبون ، هم الممتازون

أما الآخرون ، اولئك الذين لايملكون وسيلة للذهاب . . .

بسكال : أجل ، بكل تأكيد هذا فظيع .

إستير : هذا التشكك التي تود أن نحررك منه ، عليك أن تحمله على كتفيك . لقد قلت لبسكال منذ — لحظة ، إن أحدا منا لن يرحل إلى هناك بقلب خال . . .

رينيه : (تدخل كلفحة الريح) إنى مغتبطة بجولاتى . لقد اكتشفت حانوتا على الضفة اليسرى حيث تباع بعض السلع بسعر زهيد . حقائب جلدية مهربة من أسبانيا . . . طيب ! ماذا أصابكم ؟

بسكال : (في مرارة عميقة) قلب خال ، و سراب حياة جديدة .

★★★

الفصل الرابع

منزل ريفي صغير في البرازيل . حجرة واسعة مضيئة في هـذا المنزل الذى يملكه آل مارتينيز . وفي مؤخرة المشهد يبدو صحن الدار .

المنظر الاول

شفرمون ، رينيه ، ثم كارلـوس

شفرمون : كلا ، ياسيدتى العزيزة . لاأستطيع أن أقول بكل صراحة — انني قد افتقدت باريس حقيقة يوما واحدا طيلة تلك الأعوام . وأنا لاأحدثك عن صديقين أوثلاثة من الاعزاء علىّ — هم ثلاثة على وجه التحديد مازال اثنان منهم في السجن ، والثالث كان . . . .

(يأتى بحركة)

رينيـه : ولايوماً واحدا ! إنك تدهشنى .

شفرمون : كلا ، فمنذ أن سلّمت باريس إلى تلك العصابة

من اللصوص وشركائها ، نزعتُ منها عقلى وقلبى كليةً . هذه قدرة أملكها ، والحقيقة أنى لاأشعر بتاتا بأنى هنا في المنفى — ليس أكثر مما كنت في مدريد سنة ١٩٤٥ .

رينيه : هذا شيء تُحسَد عليه ، ولكننى كنت أعتقد .

شفرمون : (دون أن يصغى اليها) — انى أتابع عن كثب مايحدث هناك في الفن والأدب . فللصحف ها هنا مراسلون يحسنون نقل المعلومات . كل هذا يبدو لى منفرا خاليا من المعنى . وقد أبعث في نفسك مزيدا من الدهشة حين أقول لك إننى أكاد اختال من فكرة الحكم باعدامى غيابيا على أيدى أولئك الناس هناك .

رينيه : أصحيح هذا . ؟

كارلوس : (مقتربا) مازلت تتحدث عن الحكم — باعدامك ، إنك تتشدق يا أرمان . أما أنا ، فان مجرد التفكير في اعدام ظلى بالمقصلة يبعث في نفسى شعورا بغيضا .

شفرمون : الاعدام رميا بالرصاص ، ياكارلوس . وقلما أعبأ بما يحدث لظلى . فلنقل إننى أفتقر إلى —

الخيال . . ومع ذلك ، فليست هذه هى الحالة
سرنى أن أتخيل ذلك الرهط الصاخب الذى يأتى
إلى ملوحًا بقبضته ، أو باصقا على وجهى لو
كنت من الحماقة بحيث أمد عنقى لذلك الاغتيال
الشرعى . . الشرعى ؟ كلا . . غير الشرعى.

كارلوس : (مخاطبا رينيه) إنه شخصية ، أرماننا هذا . .
ومع هذا كله ، فأنت تتحدث كثيرا عن الحكم
باعدامك . . ولو كنت على هذا القدر من
اللامبالاة التى تزعمها ، لأقللت من حديثك
عنها .

شفرمون : لم أتحدث عن اللامبالاة . . . بل انى اتلذذ بها .

كارلوس : في غير صمت ، على كل حال . . .

شفرمون : ان السيدة لومبير مضطربة تماما .

رينيـــه : هذه أول مرة أجد فيها نفسى إزاء محكوم عليه
بالاعدام .

كارلوس : من الأفضل أن تسكت ياصديقى العزيز ! إنـــه
ليس حكما حقيقيا بالاعدام .

لىشفرمون : إنك تسىء إلىّ في هذه اللحظة .

رينيـه : ولكن ... احذرك بأنى سأتكلم بصراحة قاسية . فالأفعال التى اتهمت بها ، وكانت دافعا إلى إصدار هذا الحكم، الم يحدث لك مطلقا أن . عانيتها ؟

شفرمون : أرجو ألا تقدمى على نطق تلك الكلمة المخيفة : تأنيب الضمير ؟

رينيـه : إنى أفكر في ضروب من الأسف . . .

شفرمون : هذه حالات للنفس ينبغى أن نتقيها كما نتقى نزلة البرد .

كارلوس : وقد لانستطيع دائما .

شفرمون : البرد ، ربما ، أما الأسف ، وعلى الأخص تأنيب الضمير — فهذا شيء نستطيعه .

رينيـه : أنت تملك قدراً كبيرا من القوة الباطنية .

شفرمون : إنى أنتمى إلى عالم مازال فيه رجال .

رينيـه : إن زوجى يستخدم هذه العبارة في كثير من الأحيان ، ولكنى أتساءل ، ان كان يستخدمها بنفس المعنى .

شفرمون : (باحتقارا) هذا شيء قليل الاحتمال .

كارلوس : لوميير شخص جذاب على كل حال . . كانت إينيس مولعة به .

شفرمون : أيها المتهور !

رينيــه : لاأهميه لذلك على الاطلاق .

شفرمون : أرأيت !

رينيــه : لاتحاول الفهم . وفضلا عن ذلك ينبغي ألايكون علم النفس معقلك .

شفرمون : أنها محبوبة ! . . . .

رينيــه : ومع ذلك ، فأنت لاتملك كل أنواع التفوق .

شفرمون : ولماذا ، على كل حال ؟

رينيــه : (إلى كارلوس) . هذه ظاهرة .

شفرمون : (ناهضا) سأذهب لأرى إن كانت طائــرة البريد قد وصلت . إلى اللقاء قريبا

(يخــرج)

المنظر الثاني

كارلــوس – رينيــه

كارلوس : والآن ! ماذا تقولين عن هذا الرجل ؟

رينيـــه : إنى متحيرة نوعا .

كارلوس : انه لايشبه أحدا ، وهذا ما أعجبنا منه على . الفور .

رينيـــه : لاأستطيع أن أقول إننى استلطفه تمام الاستلطاف

كارلوس : ولِـمَ ؟

رينيـــه : لأنه شديد الثقة بنفســـه .

كارلوس : ألايقال ذلك أيضا عن بسكال . . .

رينيـــه : أوه بسكال ، إنه . . !

كارلوس : سأقول لك بصراحة ، إنه يثير الانقباض في نفسى .

ريتيـــه : حقــا ؟

كارلوس : يشعر المرء في حضوره دائما بالرغبة في توبيخ نفسه ، وأنا أكره هذا الشعور . أوه . ولكن من المفهوم رغم ذلك ، أنه شخص لطيف جدا وعلى جانب كبير من الثقافة . . ثقافة . . أليس عضوا في أكاديمية سانت — بيف ؟

رينيـــه : ليست الثقافة هى ماينقصه ، في الواقع . . . .

كارلوس : لماذا تتنهدين يا صديقتى الصغيرة ؛ الثقافة شيء جميل جدا . . إينيس وأنا في حالة اعجاب بها.

رينيه : أما أنا ، فلا .

كارلوس : ولكن ، من المستحسن أن تسكتى ! كل ماقرأه هذا الرجل ، وكل ماوعاه . . .

رينيه : مجرد اسفنجة . . حين نضغط عليها ، تخرج الاستشهادات . . .

كارلوس : انه يخلو من كل تحذلق . ثم ، لاأهمية لهذا كله ، في نهاية الأمر .ولكنى أريد أن اعهد اليك برسالة اليه ، مسألة على شيء من الدقة . . فأنا لاأعرفه جيدا بحيث أستطيع أن أنقلها اليه مباشرة . . . إن غيابه من قداس الأحدين — الأخيرين كان ملحوظا جدا .

رينيه : بسكال لايضع قدميه إطلاقا في الكنيسة .

كارلوس : أليس كاثوليكيا ، على كل حال ؟

رينيه : بالمولد . . أوه ! وقد أدى تناوله الأول . . .

كارلوس : من حقه أن يفكر في أعماق نفسه بما يشاء ، أنت تفهمين جيدا ، ولكننا في هذه البلا د —

نعلق أهمية قصوى على بعض الشعائر . ويجب
أن أخبرك بأنه إن لم يذهب بانتظام إلى القداس
في سان ــ فيليب أيام الآحاد ، فلن يتمكن من
التدريس .

رينيــه : (بعد فترة قصيرة من الصمت) أنا أرى أن
أن هذا الأمر ــ في جوهره ــ حسن جدا .

كارلوس : أنا لاأعرف إن كان هذا حسنا جدا . فأنا ــ
بالأحرى متحرر ، كما تعلمين ، وهي كلمة
لم تعد مطابقة لذوق العصر . ولكن الأمر على
هذا النحو ، في هذه البلاد . الأمر يختلف في
ريو . فلأنها مدينة أكبر كثيرا . . .

رينيــه : أود أن أعرف ، ما الحاجز الذى يمكن أن
نضعه ــ عدا الكنيسة ــ في معارضة الشيوعية .
ثم إنى أعتقد أنه في اللحظة التى نَقْبَل فيهـا
ضيافة بلد مّا ، ينبغى علينا أن نتوافق مع تقاليده
إنها بكل بساطة مسألة أدب . وأنا لاأحـب
الاشخاص الذين لايراعون اللياقة .

كارلوس : أنت في كامل الاتزان ، ياصديقتى الصغيرة ، حاولى أن تشرحى له .

رينيــه : لعلك لاحظت انى لا أملك أدنى تأثير على زوجى

كارلوس : يخطئ خطأ كبيرا حين لا ينصت إلى كلمة تخرج من هذا الثغر الشهى !

رينيــه : لا أظن أنه قد وجه قط التفاتا كبيرا إلى ثغرى .

كارلوس : ياللعار ! ... ثمة موضوع آخر ينبغى أن أتناوله ، ولكن يجب على أن أقول إنه أكثر دقــة .

رينيــه : فلتحاول على كل حال . . .

كارلوس : يتعلق الأمر باظهار بعض المشاعر بالنسبة للرأى العام .. انه شيء مرهف إلى أقصى حد في هذه البلاد . وكلمة « رأى » غير مناسبة تماما . . إنه نوع من الحساسية . اشبه باللوحة الفوتوغرافية من المفهوم ، أننا كنا سعداء جدا باستقبال اختك وابن اختك الفاتن الذى وقعت ابنة أخى تيريزا في غرامه فعلا . ولكن . ..

رينيــه : استمر . لقد راودنى الشك في أمر ما ...

كارلوس : تلك النزهات التى يقوم بها زوجك كل ماء شقيقتك ..

رينيــه : (مصححة) مع أختى غير الشقيقة .

كارلوس : ماعلينا . . لقد اثارا هاهنا دهشة معينة . أحسست جوانب عديــدة . وإنه لشيء مضحـ بالتأكيد .. ولكن قد يكون من التهور — على أعتقد — ألا يراعى المرء تلك الآراء ، مر تكن صبيانيــة .

أيضايقك حديثى ياصديقتى الصغيرة الساحرة

رينيــه : كلا ، استمر .

كارلوس : اريد أن افضى اليك على الفور بأساس تفكيرى لا يبدو لى مستحسنا أن تقطن أختك معكم سان — فيليب .. لقد حدثت فضيحة هنا ذا يوم .. بالطبع أنا لا أوجه أى اتهام .. بيد أ لا نستطيع أن نمنع الناس من تذكر حكاية جوز دى كاسترو ..

رينيــه : أوثر ألا أعرفها .

كارلوس : لم يكن في نيتى أن أقصها عليك .

المنظر الثالث

نفس الأشـــخاص ، بســـكال

بســـكال : (في عصبية شديدة) هل خرج ؟

كارلوس : عمن تتحدث ؟

بســـكال : عن صديقك شفرمون .

رينيـــه : أرجوك يابسكال !

بســـكال : من المستحيل ألا تفهم ما أشعر به في حضور شخص قد وشى بفرنسيين أثناء الحرب .

كارلوس : أطلب منك بالحاح ياصديقى العزيز أن تعتبر هذه المسألة منتهيـــة .
أنا أجنبي — بكل تأكيد — وليست لى أية صفة تسمح لى بالتدخل في هذه المسائل .. ومع ذلك ، من حقى أن أقول إن الفظائع كانت ترتكب من كل جانب ، ومن بين هؤلاء الفرنسيين الذين قلت إن شفرمون قد وشى بهم ، كان هناك أشخاص — لو أنهم عاشوا ، لما احسوا بأى تردد في قتل ، بل وفي تعذيب خصومهم .
الحكمة في أن ننسى ، هذا ما أؤكده لك — بل

أكثر من الحكمة . لن ألجأ إلى الانجيل ، مادمت لا تمارس واجباتك الدينية — على ما أظن ، ومع ذلك ... أرجو المعذرة ، إذ ينبغي أن أترككما بضع لحظات . ولكن ، أرجوك — ياصديقي العزيز — أن تهدئ من روعك .. هل تعرف ما إذا كانت زوجتي عادت ؟

بسـكال : كنا نتمشى معا منذ لحظة .. ويبدو لي أنها تفهم حالتي النفسية تمام الفهم .

كارلوس : انها تفهم بكل تأكيد ، إينيس تفهم كل شيء . وأنا — أيضا — أفهم . ولكن ، أمن المغالاة أن أطلب منك التخلص بعض الوقت من تركة الحقد والبغض التي حملتها معك من أوربا ؟ أظن ، أن لا ... إلى الملتقى ، يا صديقي العزيزين .

المنظر الرابع

بسـكال ، رينيه

رينيه : أنت مجنون تماما . هذه الطريقة في شكر أصدقائنا الرائعين على كرم ضيافتهم شيء لم يُسْمَع به من

قبل ... ثم ، عندما أتذكر ما كتبته بنفسك في مقال ..

بســكال : عفوا ، قلت دائما إنى أعتبر الوشاية جريمة لا تغتفر ، الجريمة الوحيــدة التى لا تستحق أية شفقــة .

رينيــه : لست مسئولا عن إقامة العدالة هنا . وأفكارك لاتهمُ أحدا .. نحن لا جئون . . فلنقل لاجئون قبل حالتهم النهائية .. وهذا وضع يتطلب التواضع واللباقة .

بســكال : إن كلمة « لاجئون » هذه تُرَوعنى .

رينيــه : ألعلك تحاول اقناع نفســك بأنك سائح أو محاضر في جولة ؟

بســكال : كفــى .

رينيــه : هذا شيء خارق للمألوف ! منذ أن حضرت هنا ، وأنت تتحدث كما يتحدث رجال المقاومة ، والوطنيون .

بســكال : أنت لا تفهمين شيئا .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، إينيس

إينيس : إنى حزينة أشد الحزن لما حدث .

بسكال : لم يحدث شيء . عبرتُ بشيء من الحدة عن شعور لا سبيل إلى التغلب عليه .

إينيس : لا تقل أن لا سبيل إلى التغلب عليه ، بل يجب التغلب حقا . لقد نقل إلى كارلوس كلمة ، ولكننى رأيت أنه يجد مشقة ، وأنا اكره أن يجد مثل هذا ... إنى أهيب بعطفكما الكبير ... شفرمون ... أنا لا أجادل .. قد تكون له أخطاء خطيرة جدا ، هذا محتمل .. ولكنه إنسان تعس جدا .

بسكال : يبدو لى أنه راض تمام الرضى عن حالته .

إينيس : إنه يكابر ، ولكن أوكد لكما أنه يتعذب كثيرا . إنه لا يملك شيئا من المال ، كما تعلمان ، ولا يستطيع المرء أن يعطيه شيئا ، لأنه شديد الكبرياء.. ربما وجدنا له شيئا في فنزويلا . كتبنا إلى أصدقاء لنا في كاراكاس . ولكن ، في انتظار الرد ،

أرجو أن تتحملا .. وإلا ، أصبح الوضع عسيرا غايـــة العسر ، ينبغى أن أذكركما دائما .. لسنا هنا في أوروبا .

رينيـــه : ولهذا السبب أتينا .

إينيس : ثمة شيء من أوروبا يلتصق بنعال أحذيتكما . ولكن أرجوكما أن تمسحا أقدامكما بعناية ، وكأنما تدخلان حجرة أرضيتها من الباركيه المدهون جيدا ــ عندما تمتلئ الشوارع بالأوحال .

بســـكال : (بصوت خفيض) هذا فظيع .

إينيس : كلا ، إنه ليس فظيعا ، ياصديقى العزيز ، انها مسألة نظافة ، لا غير . أعرف أن هذا عسير . وقد وجد شفرمون هو أيضا شيئا من العناء في البداية .

بســـكال : وهكذا ، في رأيك ، ان الحالتين متماثلتان ؟

إينيس : إنهما شيء واحد تماما ... ارجو المعذرة ، إنى أرى أنني أجرحك . ولكنى لا أعقد مقارنة أخلاقية بينك وبين هذا الرجل الذى لا يعجبك . الله وحده قادر . ولكن ، أحقا أنك لا تؤمن

بالله ؟ هذا محزن جدا ، ويسبب لى شقاء شديدا ..
كل ما أريد أن أقوله هو انك دخلت عالما
ينبغى أن تفكر فيه على نحو آخر .. ينبغى أن
تلتفت صوب المستقبل ... هما حقا بلاد المستقبل.

بسكال : أى مستقبل ؟ وبالنسبة لشفرمون . .

إينيس : يا لأرمان المسكين ! سيموت قريبا ، إنه
مصاب بذبحة صدرية ، أتعرف ذلك ؟تستطيع
إذن ان تصبر قليلا جدا . . . علىّ أن أعلن لك
زيارة ربما لاتسرك كثيرا . . ولكنه يحرص على
مقابلتك ، ولم أستطع أن أقول له . . على
العكس ، أكدت له أنك ستغتبط بمعرفته .

بسكال : ولكن ، عمّن تتحدثين ؟

إينيس : بكل بساطة عن الاب ريكاردو رئيس الدير
القائم هناك على قمة الجبل إنه واحد من أصدقائنا
الكبار . .

بسكال : ولما ذا يود أن يرانى ؟

إينيس : (مرتبكة) لست أدرى بالضبط . إن لديه —
بالتأكيد سؤالا يريد أن يوجهه اليك ، او ربما

كان اقتراحا يريد أن يعرضه عليك . لست على
كل حال من أولئك الرجال الذين يلوذون —
بالفرار عند رؤية طيلسان الكاهن ؟

رينيـــه : (في حماس) لم يكن بسكال معاديا قط لرجال
الدين . . ولكن ، ربما كان في سبيله إلى أن
أن يصبح كذلك .

بســكال : ولكن ، في أية لحظة ينبغي أن يأتي ؟

إينيس : كنت أعلم أنك ستكون هنا بعد الظهر ، —
وسيأتي في هذا الوقت ومعه كارلوس .

بســكال : هذا ما يسمونه وضع السكين على العنق .

إينيس : إن لك ياصديقي العزيز طرائق غريبة في التعبير
عن نفســك .

رينيـــه : لابد أن اطلب منك — مرة أخرى — التماس
العذر له . (إلى بسكال) أتوسل إلى صديقتنا
ان تستخدم تأثيرها عليك لمساعدتك في أن تصبح
مرة أخرى شخصا مهذبا . أما أنا ، فاتنازل
عن هذه المهمة . إلى اللقاء .

(تخرج)

المنظر السادس

إينيس ، بسكال ، ثم الأب ، ريكاردو

إينيس : لعلى أخطأت ، ولست أريد أن أكون غير مهذبة ، بيد أننى أخشى أحيانا أن تعانى رينيه مشقة . . من المحزن حقا بالنسبة لها أن تنفصل عن والديها اللذين لن تراهما — بلاشك — مرة أخرى في هذا العالم ، وعن كل أصدقائها وعن تلك الحياة في باريس التى أحبتها كل ذلك الحب . أما بالنسبة لرجل من رجال الفكر مثلك ، لديه كتبه وتأملاته ، فالأمر أقل عناء . انه امتحان قاس بالنسبة لها خضعت له من أجلك ، وفي هذه الأحوال ينبغى أن تفعل كل مافي وسعك ، لتخفف عليها الاقامة . . .

بسكال : أخشى ألاتكونى قد تلقيت معلومات صحيحة تماما . فلقد كانت زوجتى — على العكس من ذلك — هى أول من أرادت الرحيل . ولو كنت وحدى ، لكان من المؤكد تقريبا ألا أغادر فرنسا .

إينيـــس : ولكن ليس هذا على الاطلاق ما تركتنى رينيه أفهمه . آه ! ها هو الأب ريكاردو .

المنظر السابع

نفس الأشخاص، والأب ريكـــاردو

الأب ريكاردو : أرجو المعذرة يا سيدى على ازعاجك ، غير أن السيدة ما رتينيز قالت لى إنه من الممكن أن أسمح لنفسى . . . .

إينيس : سيكون السيد لوميير سعيدا جدا بالتحدث معك بضع لحظات ، اليس كذلك ؟ انى أتركَكما .

(تخرج)

بســـكال : (بلهجة المغلوب على أمره) آسف — ياأبتاه — لأنك تجشمت عناء الحضور الىّ . وكان من الأيسر علىّ أن أزورك .

الابريكاردو : ولكن ، ربما عانيت شيئا من النفور إزاءالأماكن الكهنوتية .

بســـكال : نفور ؟ كلا : بالطبع ، فإن لى أصدقاء من الدومينيكان واليسوعيين في باريس .

الأب ريكاردو : أقمت طويلا في باريس ، كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى .

بسكال : (في لهجة ارتياب) وهل أعجبت بها ؟

الأب ريكاردو : أعجبت – كما تتوقع بحق – بالروائع الفنية التي تكدست فيها على مدى القرون . لسنا همجيين ياسيد لومبير ، وإن كانت صحفكم ومجلاتكم تنشر احيانا عن بلادنا تعليقات تؤلمنا أكثر مما تجرحنا . غير أن الاعجاب الذى أحسست به امتزج بقلق شديد ... كان ذلك العهد هو عهد الجبهة الشعبية ، ياسيد لومبير . أتأذن لى بأن أسألك ؟ ولكن ، كلا ، هذا السؤال لا جدوى منه . فان عقلا ممتازا مثل عقلك لا يمكن أن يخضع لا غراء تلك الغوغائية .

بسكال : كانت السياسة تبعث دائما النفور إلى نفسى . واليوم : أراني ألوم نفسى على ذلك النفور .

الأب ريكاردو : لو لم يكن الأمر بعيدا عن اللياقة ، لأحببت أن أسألك : فيم تكمن أخطاؤك بالضبط : وفقا لتقديرك . أتريد أن تقول إنه كان ينبغى عليك المشاركة على نحو أنشط في الدفاع عن النظام ؟

بسكال : (في حيوية) كلا ، بل تأكيد ، فليس لى روح الشرطى ... كلا ، وانما الأحرى أن أقول انني أخذت حينذاك في يسر شديد نصيبي من الظلم الاجتماعى في زمن كان من الممكن بالعزيمة الصادقة مكافحة ذلك الظلم كفاحا مفيدا بلا شك .

الأب ريكاردو : الظلم الاجتماعى ؟ هذه كلمات صحفى أو محام ، ولكنها تصدم قليلا حين تخرج من فم رجل مثلك

بسكال : أنا لا أفهم ، أو بالأحرى ، انني أفهم اكثر من اللازم . أعترف لك يا أبتاه ، بأنني منذ أن أتيت إلى هنا ، اتخذت بعض الألفاظ التى طالما ارتبت فيها ، رنينا غير متوقع .. أوه لا حظت ذلك في الشرق ، يبدو لنا البؤس أشد وضوحا حين نسافر إلى أرض أجنبية . ففي بلادنا ، تكون عاداتنا ، وعملنا على الأخص أشبه بغلاف واق يعمى الأبصار . إن وضوح الرؤية لا يكون ممكنا إلا إذا دفعنا الرحيل عن الأوطان ثمنا له .

الأب ريكاردو : لست على مثل يقينك ياسيدى العزيز . فأنا أخشى

ألا يكون المسافر من وجهة نظرى سوى مخبر صحفى — مخبر صحفى مبتدئ . وحتى المخبرين المحنكين لا يفهمون شيئا مما يشاهدون . بل يقال إنهم حين يكونون بعيدا يفرزون أحكاما مسبقة كانوا منزهين عنها في بلادهم .

بسكال : أحكاما مسبقة ؟ ... (محاولاً السيطرة على نفسه) إنك تتحدث بلغتنا على نحو ممتاز ، يا أبتاه .

الأب ريكاردو : تلقيت الشطر الأكبر من دراساتى في كلية جزويت فرنسيه .

بسكال : قلت لك من قبل إن لى الشرف بأن يكون لى أصدقاء بين الآباء الجزويت (اليسوعيين)

الأب ريكاردو : من الممكن أن نخشى لسوء الحظ — وأستطيع أن أتحدث عن هذا الموضوع بحرية لأننى لا أنتمى إلى « الجماعة » — أن تتعرض وحدة هذه الجماعة للخطر . إن معلومات دقيقة تصل إلينا عما يجرى في فرنسا ، وكان ارتياحنا عظيما حين علمنا بالتحذيرات الجدية التى وجهت في الأيام الأخيرة إلى أولئك اللاهوتيين الطائشين الذين تؤدى تعاليمهم الهدامة رأسا إلى الالحاد .

بســكال : لست لا هوتيا ، أو حتى فيلسوفا ، ومعرفتى هزيلة بالمذاهب التى تشير إليها .

كل ما أعرفه هو أننى التقيت في تلك الطوائف برجال على درجة كبيرة من تفتح العقل .

الأب ريكاردو : إن ما تسميه تفتحا للعقل يمكن أن يكون ثغرة نفذ منها كثير من الأخطاء .

فهنا ، في هذه البلاد القائمة عبر الأطلنطى ، نرى أن مهمتنا هى تحصين العقول ضد هذه الأخطاء التى أدينت حديثا جدا ، وتعاليم الأدب التى أشاروا بها عليك بتوصية أشخاص من الصفوة مثل كارلوس مارتينيز — هذه التعاليم قُدّر لها في تفكيرنا أن تكون بمثابة معقل ضد تلك الأخطاء البغيضة التى قادت أوربا إلى حتفها .

بســكال : (في جفاء) بوصفى مؤرخا للأدب ، وللشعر وللرواية ، ، لا أرى فيم يمكن أن أؤكد هذا الدفاع .

الأب ريكاردو : انت تدهشنى ياسيدى العزيز . في الصراع — المكشوف بين الروح القُدُس والقوى الشيطانية

التى انطلقت من عقالها في العالم ، لايمكن أن يقوم ثمة حياد في أى مجال كان ، ولاسيما في المجال الذى تسميه بمجال الأدب . ولايكفى أن يقتصر الأمر أو أن يكون الغرض الرئيسى هو مجرد العرض ، بل ينبغى أن نحكم ، وأن - نحكم وفق معايير ثابتة . وقد كنت أنا نفسى مشغولا بأدبكم ، فكتبت مؤلفا صغيرا عن - « فيّو » العظيم الذى كان دليلا على وضوح في الرؤية عجيب في زمانه . ينبغى أن نقوم بمراجعة للأحكام في ضوء الاحداث المعاصرة كما ينبغى أن نتخلص من ذلك التساهل المجرم الذى أبداه الناس نحو أولئك الذين حطموا - الايمان ، وفتحوا الطريق المؤدية إلى الفوضى.
وقد أكدوا لى أنك تنوى محاضرة طلابك عن « جيد » و « بروست » ، وعمن لاأدرى ؟ . . وعلى فرض أنهم خولوك هذا الحق ، وهذا ما كلفت بإبلاغك به صراحة - فسوف يكون ذلك بشرط رسمى : وهو أن تكشف عن الاخطاء ، وعن الفظائع التى تحفل بها كتاباتهم أنا اتحدث بالسماع ، فان عندى ماهو أفضل

من دس أنفي في تلك الأقذار . ولكنى في — الحقيقة لايساورنى قلق . فان وجودك هنا ، بيننا — يثبت إثباتا كافيا أنك معنا في هـذا الصراع العظيم .

بسـكال : معكم ؟

الاب ريكاردو : لن أجرحك باعتقادى أن رحيلك كانت تمليه دوافع شخصية بحتة . فاذا كنت قد غادرت أوربا ، فذلك لانه لم يعد من الممكن مواصلة ذلك الصراع فيها مع أية فرصة للنجاح .

بسـكال : (في سخرية مُقَنّعَة) ألا تعلم — ياأبتاه — أنك تنيرنى فيما يتعلق بنياتى الخاصة ؟

الاب ريكاردو : هذا المناضل العنيد ، هو ذلك الرجل الـذى أستقبلناه بين ظهرانينا ، كل مافي الامر هو أن للمعركة قواعدها التى ينبغى أن يخضع لهـا الجندى . وهذه القواعد لايمكن أن تصدر إلا عن أعلى سلطة ، أعنى الكنيسة . ولقد سمعت أن ممارستك للشعائر الدينية كانت مهتزة قليلافي الأيام الأخيرة . عليك أن تشرح ذلك عـلى كرسى الاعتراف . أنا لاأصر ، فهذا أمرغير

لائق . ولكننى أريد ــ بصورة مطلقة ــ أن
نشعر بأننا على أتفاق تام . وأكرر لك أننى لا
أطالبك بالافضاء بشيء عما تعانيه أو عما لاتعانيه
فأنت تعلم مثلى أن هذا لاأهمية له على الاطلاق
فحين يكون الجندى في الخدمة ، لانهم كثيرا
بعواطفه ، أو بردود أفعاله .

بســكال : (في حدّة) ياأبى ، هناك سوء تفاهم مخيف
بيننا . انى لم أختر ما هو ضد الحرية .

الاب ريكاردو : ما الذى تسميه بالحرية ؟

بســكال : كما أننى لم اختر ما هو ضد الحقيقة . . وهما .
في نظرى ــ ممتزجان .

الاب ريكاردو : لن أطلب منك ان تشرح ماتعنيه هاتان الكلمتان
فمن الممكن أن يؤدى بك ذلك إلى ضروب ــ
غريبة من الجهر بالايمان . وأسلّم بكل بساطة
بأنك لكونك فرنسيا لم تستطع أن تقاوم اغراء
نفخ هذه الألفاظ الرنانة في أذنى ، تلك الألفاظ
التى وجدت لديكم دائما كثيرا من الأصداء
منذ أن نأت بلادكم التعسة عن التراث الدينى .
وإنك لتذكرنى بطفل صغير يقرع الطبل . أجل

الأمر على هذا النحو تماما . وأنت في هـــذه اللحظة شديد الانفعال ، ولكنك ستعود إلى مشاعر أكثر اتزانا . . وفي هذه الحالة ، اعتمد كثيرا على الضرورة . إلى متعة لقائك مـــرة أخرى ، ياسيدى العزيز .

(يخرج)

المنظر الثامن

فـــترة صمت طويلــــــة

بســـكال : (مناديا) إستير ! إستير !

مارك ــ آندريه : (داخلا) لم تعد أمى بعد . ماذا أصابك ياعماه

بســـكال : إن الكلاّبة تزداد ضغطا .

مارك ــ آندريه : أؤكد لك انى لاأفهم .

بســـكال : ولكن بلى ، أنت فاهم ! . . . الغرباء الذين نعيش عندهم ، هذا الاختلاط البشع بفاسق ، وعلى الأخص ــ وهذا أسوا من كل شيء ــ هذا الحجز ، هذه المصادرة . . أما أنا ، فلن أخون . . أوثر الموت . . وأنت يابنى ، إلام

تصير ؟ ماذا سيفعلون بك ؟ ألم يُضنك الأسف على رحيلنا ؟

مارك ـ آندريه : (في بساطة) كلا .. أقسم لك بأنه لايضنيني. إن لدىّ انطباعا .. كيف انقله اليك ؟ ... منذ أن اصبحت هنا يبدو لى أنني شيء مطوِىّ يُنشَر ، وانني ربما وجدت نفسى . تيريزا . إن لها اصدقاء يبحثون عن مدرس شاب لتدريس اللغة الفرنسية إلى ابنائهم . وقدعرضوا على هذه الوظيفة .. فقبلت طبعا . لم أعد اريدان اعيش طويلا على نفقة أصدقائك . وانا الآنفي الأنتظار . وأرجو أن أجد سكرتيرة .

بسكال : الحق أنك لم تعد بنفس الهيئة .. أينبغى أن أفهم أيضا أن هذه الفتاة ؟ ...

مارك ـ آندريه : ألاتراها فاتنة ؟ ثم إن لها لصوتا ! ...

بسكال : جميل .. وهكذا ، لم نخطئْ على الأقل فيما يتعلق بك .

مارك ـ آندريه : ألا تحقدون علىّ :

بسكال : ولكن كلا ، يابنى ، فهذا شعور وضيع وغبي

.. أن نحقد عليك ! ولكن هذا معناه الرغبة في الحياة نفسها .

مارك ــ آندريه : إذن ماذا ؟

بسكال : في مثل سنى ، يصبح ذلك الحقد أمرا لاسبيل إلى الاعتراف به .. ويبدو أن أولاد خالتك الصغار سعداء جدا ، ولاسيما إيزابيل ، أما روجيه ، فهو حائر قليلا .. إنه يأخذ عنى .. ولكنه سيعتاد .

مارك ــ آندريه : وأنت ، ياعمى بسكال ، أليس من المسموح أن نأمل ؟ ..

بسكال : كلا ، بكل تأكيد ، كلا ... كانت — والدتك على حق ، اكثر مما تستطيع أن تتصور هى نفسها .. كان فرارى خطأ وعقابه الخاص في آن واحد . (إلى إستير التى تدخل في هذه اللحظة شاحبة الوجه ممسكة بخطاب في يدها) استير ! ماذا دهاك ! لماذا هذا الوجه الزائغ ؟

إستير : خبر مروع . روبير .. اختفى ... ويخشى أن يكون قد خُطِف .

بسكال : أأنت مجنونة ياإستير ، من الذى خطفه ؟

إستير : ولكن ، ألا تتذكر ، أنه كان ينادى بشيوعية فرنسية . . .

مارك ــ آندريه : الشيوعية ستكون واحدة في كل مكان . ولكن من يدريك أنه لم يكن مكلفا برسالة سرية إلى اوربا الشرقية ؟ . ولكننى ، لاأفهم شيئا — ياأماه في نهاية الأمر ، إنك لم تُحِبيّه قط ، وأنت ، ياعمى بسكال ، لم تكن تستطيع أن تتحمله . . . أخيرا ، ماذا أصابكما ؟ أنا لاأفهم . . .

(صمت ــ يخرج)

بسكال : (إلى إستير في حزن عميق) ابتهجى ، ياإستير رسا ابنك على بلاد ذات عواطف غير مشوبة . وسيُكْتَب له البقاء .

إستير : ولكن أنت ، يابسكال ، ولكن نحن ؟

(يهز بسكال كتفيه في حركة تدل على الاعياء)

★ ★ ★

الفصل الخامس

نفس ديكور الفصل الرابع . بعد مضى عدة أيام

المنظر الاول

بســـــكال ، إســــتير

(تقرأ إستير فقرة من صحيفة ناولها إياها — بسكال . يمكثان هنيهة صامتين)

إســـتير : يبدو لى الأمر واضحا بما فيه الكفاية . لقـــد قتله الآخرون لأنه لايوافق على مزاعمهم . وكانوا قد رأوا فيه زعيما لمعارضة يمكن أن — تصبح معوقة .

بســـكال : وهذا لايدهشـــك ؟

إســـتير : كلا . . أتذكر أنه قال لى ذات يوم : الاحتلال السوفيتى معناه قرن من الفاشية في فرنسا . . .

بســـكال : أجل . . . ولهذا ظل فرنسيا حقاً .

إســـتير : أترتاب في ذلك ؟

بســـكال : إنى لأعترف به ، هذا فظيع يا إستير

هذا الضوء الذى ينيرنا بالنسبة للأشخاص حين يصبحون في عداد الأموات . . . افهميني جيدا! إن المثل الأعلى الذى ضحىّ أخوك بنفسه من أجله مابرح يفزعنى ، إنه إدانة لكل مايدعونى إلى الحياة . وانى لأحطم نفسى حين أقبله . . ولكن أين هى تلك الدوافع التى تدعونى إلى الحياة ؟

إستير : أسألك أن تفكر فيه بضع لحظات . أنا أعلم جيدا انك لم تحبه ، وأنا ، هل أستطيع أن أقول مخلصة إننى كنت أحمل له عاطفة حقيقية ؟ إننى أبحث ، وأعود إلى الماضى . . إلى طفولتنا . . لم تكن لنا أبدا نفس الميول . كان مستبدا وعنيفا في بعض الأحيان . سأفضى إليك بشىء رهيب : لم تكن أمنا تحبه ، كان يذكّرها بشقيق لها ، ثورى هو أيضا ، كل مافي الأمر انني أتساءل — وهذه فكرة مخيفة — ما إذا كان هذا الحب الفاشل قد تحول إلى بغض في أغوار قلبه . لقد حدث لى ، أوه ! نادرا ، مرتين أو لعلهما ثلاث مرات ، أن ألمح في عينيه — تعبيرا كان هو تعبير اليأس حقا . . . وخاصة حين يحسب نفسه وحيدا .

بســكال : ولكن ، هذه المرأة التى كتبتْ اليك ؟ . .

إســتير : أنا لاأعرفها . ولم يحدثنى روبير عنها إلا لماما ، ولم يكن يريد أن التقى بها . ربما تصور اننى قد اوجّه اليها كلمات جارحة . . وكان في ذلك مخطئا . . بيد أنه لم يكن يعرفنى حق المعرفة ، إذ لم يكن نفسانيا ، وفضلا عن ذلك ، كا ن يخطئْ في حكمه على الناس جميعا ، كما تعرف . .بل كان يرفض أن يتصور قدرتنا على معرفة الآخرين ، إنه لم يكن يؤمن بالآخرين ، — وكان يحتقر علم النفس ، وينظر اليه بوصفه علما كاذبا بورجوازيا . ومع ذلك ، فقـد كان يعيش من أجل الآخرين .

بســكال : ألاتعتقدين أنه كان طموحا ؟

إســتير : كلا ، باخلاص ، كلا ، لاأعتقد ذلك . إن مايملؤنى بشفقة لاسبيل إلى احتمالها فكرة أنه كان يؤذى نفسه باستمرار أمام الناس جميعا كان يُرغم الآخرين على الحكم عليه بأنه منفّر وعلى أن يعرضوا عنه . وهذا كان عيبه .

بســكال : والآن ، لانستطيع أن نصنع شيئا من أجله

وحتى لوعاد إلى الظهور أمامنا بمعجزة ، فسوف يستولى على مرة أخرى ذلك الشعور بالنفور — الذى لاسبيل إلى قهره ، والذى أوحى به إلى دائما . . ولكن ، هذه الشفقة التى تستيقظ فى نفسى كلما تعاقبت اللحظات ، أهى شعور كاذب ، شعور يقتضى إعدام من تتجه اليه ؟

إستير : يا صديقى . . .

بسكال : ماذا تريدين أن تقولى ؟

إستير : لم أعد أجرؤ . . أخشى أن أتحدث مبكرا جدا قبل أن تنضج تلك الفكرة فى أعماق قلبى .

بسكال : ياإلهى .

إستير : منذ لحظة . . بل بعد ذلك قليلا . أولا ، دعنى أوجه لك شكرى العميق . لقد نجا مارك — آندريه وكنت على صواب .. أوه ! إنها ليست بالنسبة لى سعادة غير مشوبة حين أرى أنه عاد إلى الحياة منذ أن أغلق الباب نهائيا على كل ما كان لنا .. لاداعى لأى وهم ياصديقى ، مارك — آندريه لم يعد فرنسيا . فهل يصبح يوما

مواطنا لهذا البلد ؟ هكذا ممكن ، ولكننا لا
نستطيع أن نكون على يقين من ذلك .
بدأ ... أينبغى أن نقول انسلاخه ؟ أجل ، إنه
انسلاخ ، تحول إلى صورة جديدة .
أرأيت كم تغيرت نظرته ؟ إنه يضحك
الآن للاشىء ، وهو الذى لم يكن يضحك
قط ... وقد أصبح معى مرة أخرى غاية في
الحنان ... وهذه كلها علامات تبعث على الابتهاج

بسكال : بأى حزن تقررين ذلك !

إستير : ليس في وسعى ألا أشعر بذلك الشعور ، ولكننى
أعلم أنه مذنب ، إنه شعور الأم المتملكة التى لم
أكن أريد أن اكونها بحال من الأحوال !
وانى لأحاول — بمجهود شاق — أن أخفف من
احتضانى له . . وسأبلغ ما أريد . إذ لا بد من
ذلك . وحين أقبل مارك — آندريه أمس
إلى حجرتى ليحييني تحية المساء ، وجدنى غارقة
في الدموع : واستطعت أن أقنعه بأنى أبكى على
مصرع خاله . . ولم يكن ذلك حقا كله ... ومع
ذلك . . من المخيف — يابسكال . تلك الطريقة

التى تتصل بها الأحزان جميعا .

بسكال : أجل . إنها تصب جميعا فيما أسميته ذات يوم نقطة الأسى الدائرية .

(صمت)

المنظر الثانى

نفس الأشخاص ، رينيه

رينيه : أظن أنكم تتحدثون عن روبير التعس . هذا مخيف . كل ما أطلبه منكم هو ألا تتوقفوا طويلا عند هذا الموضوع في حضور كارلوس وإينيس . . فلقد رأيت حرجهم عندما فهموا أن روبير كان شيوعيا . وهذا أمر طبيعى جدا . . ضعوا أنفسكم في مكانهم . ولو أن هذا النبأ انتشر في سان فيليب ، فسوف يجر علينا بكل تأكيد عواقب وخيمة .

بسكال : ولكنك – غريبة الشأن – يارينيه . من الخسة من جانبى أن أحاول اخفاء أن روبير كان شيوعيا ، وأنه مات في ظروف أحق بأن تُشَرِّفه .

رينيه : هذا ، مالا يعملون عنه شيئا .

بسكال : الأسباب جميعا تدعو إلى افتراضه .

رينيه : الآن ، بعد أن لم يعد عقبة في سبيلك ، تكتشف أساسا عظيما يدعوك إلى اكباره . إنى أعرف ما أقول . إن موقفنا صعب بما فيه الكفاية ، ولا أسمح بأن يفعل احد ما من شأنه أن يزيده تفاقما . وأضيف أن هذا « الشقرمون » الذى هو وباء ...

بسكال : آه ! ألا حظت أنت ايضا ؟

رينيه : انه لا يسعى إلا إلى ايذائنا . ولو علم بالنبأ ، لسارع إلى اذاعته .

أما كارلوس وإينيس اللذان هما الطيبة نفسها ، فلن يتحدثا عنه أبدا بكل تأكيد ، ولكنكما أنتما أيضا مذنبان ، أنت وهى ، لارتكاب حماقة لا سبيل إلى إصلاحها .

المنظر الثالث

نفس الاشخاص ، كارلوس.

رينيه : أرجوك ياكارلوس ، اسعفنى ، انهما لايريدان أن يفهما بأنه لا ينبغى إشاعة قصة أخى غير

الشقيق ، بأى ثمن . ولا يملك فينا نحن الثلاثة الاحساس بالوقائع ، غيرى أنا .

كارلوس : بسكال ، جئت لأخبرك بأنهم سيحضرون هنا بالميكروفون بعد ساعة حتى تستطيع — دون أن تنتقل من مكانك — تقديم الإرسال المخصص للفرنسيين في أوربا . . وجدتك في غاية من الارهاق ، فبدا لى من المستحسن أن أوفر عليك كل ازعاج .

بسكال : هذا شيء لطيف جدا منك ، ياكارلوس ، ولكننى لست أدرى بعد ما سأقوله اليوم . . .

كارلوس : لست قلقا . فلا تشغل بالك ، فأنت تحسن الارتجال اذا استدعى الأمر .واليك من جهة اخرى — هذه الرسالة التى وصلت إليك من سان — فيليب بالبريد المستعجل . ومن العنوان أعتقد انها من مدير الجامعة . لاشك انها لتحديد الموعد الذى طلبته .

(يمد يده بالرسالة الى بسكال ، الذى يفتحها ويقرؤها على عجل .)

بســـكال : يكاد هذا الخطاب أن يكون مؤدبا .. إنى — مندهش .. حين وصلت إلى هنا ، كتب إلىّ بأسلوب مختلف تمام الاختلاف :

كارلوس : أخشى أن أخمّن تفسير هذا التحول .. ينبغى أن تعد نفسك لتقديم تفسير عسير إلى المدير الذى قد يكون فظا ...

رينيـــه : (مندفعة) بكل تأكيد ... وذلك عقب — محادثتك مع رجل الدين ذلك اليوم ...

بســـكال : حقا ؟

كارلوس : لايمكن أن يكون ثمة شك في هذا الموضوع .. إن « الاب ريكاردو » الذى التقيت به أول أمس لم يخف على أنه كتب إلى العميد لاشراكه في هواجســـه .

بســـكال : وماذا بعد ! ولكن ، هذا حسن جدا .

رينيـــه : كيف يمكن أن يكون حسنا جدا ؟

بســـكال : إنى أحب المواقف المحدّدة حبا جما . يجب أن أبدأ محاضراتى في بحر خمسة عشر يوما ، ولا أسمح لنفسى بأن يطوف أقل التباس بالروح

التى ينبغى أن ألقى بها هذه المحاضرات .

رينيـــه : (إلى كارلوس) هل فهمت ؟

كارلوس : ياصديقى العزيز ، أتوسل إليك أن تنتبه . .

بســـكال : لن يصنعوا منى مُطَهِّرا للأدب .

كارلوس : دعنى أقل لك أننى ضمنت مشاعرك — الكاثوليكية .

بســـكال : بأى حق ؟

. كارلوس : لقد اعطتنى مدام لومبير — منذ عدة أشهر — جميع الضمانات الممكنة ، ولما كنا قد فهمنا أنها تكتب على لسانك . .

بســـكال : هذا احتيال .

رينيـــه : (إلى كارلوس) أرجو أن تتركنى على انفراد معه . . يعلم الله ما سيتهور بقوله . .رحماك . (إلى إستير في جفاء) إن مكانك ليس هنا . لدى انطباع بأنه قد استمد منك تشجيعا إجراميا لاأدرى كنهه .

إســـتير : أنا لم أقل شيئا . .

رينيـــه : عما تتحدثان خلال تلك النزهات التى لاتنقطع

كلا ، أوثر ألا تجيبي على .

إســتير : (إلى بسكال) أينبغي على ؟ .. كلا ، إنها على حق في نهاية الأمر . وفضلا عن ذلك — عندى قرار خطير ينبغى أن أتخذه ، ولابد أن أخلو الى نفسى .

المنظر الرابع

بســكال ، رينيــه

بســكال : لقد وقعت في كمين .

رينيــه : الآن ، أصغْ إلىّ . إن مايجرى هنا أخطر مما تظن . وأنت في سبيلك إلى قطع كل ماوراءك من جسور دون أن تفكر مليا في المستقبل الذى تعده لنفسك . . . أقول ، الذى تعده لنفسك ولست أدرى ربما كانت تراودك تلك الفكرة السخيفة ، بالعودة إلى أوربا .

بســكال : كلا .

رينيــه : إذن ؟ تتصور ما يحدث لو أنك فقدت كل أمل في العثور على منصب ؟

بســكال : هذا سؤال ليس من حقى أن أضعه لنفسى .

رينيــه : أنا ، مع الأطفال ، أستطيع أن أدبر أمرى فهنا أناس رائعون . . .

بســكال : أتتحدثين عن إينيس وكارلوس ؟

رينيــه : كلا ، فقد خيبا أملى تماما . فهى ليست سوى دمية .. ، وهو ...

بســكال : ماذا تأخذين عليه ؟

رينيــه : (دون أن تجيب) المسألة لا تتعلق بكارلوس فى هذه اللحظة ، بل بنا ... فلو تصرفت كشخص غير مكترث وكمجنون ، فلن يلومنى أحد على انتزاع الطفلين منك . بل على العكس ، سوف يشفق الناس جميعا علىّ .

بســكال : وهذه الشفقة تعجبــك ؟

رينيــه : إن اللاجئين من أمثالنا لا يمكنهم أن يمتعوا أنفسهم بترف الظهور بمظهر الكبرياء الشديدة . وهنا — أيضا ، ولا أدرى إن كان ذلك راجعا إلى اختلاط الأجناس — يبدو الناس جميعا لطافا ، متسامحين .

بســكال : ومع هذا كله ، من المستحسن ألا نصيح فوق الأسطح بأن لنا أخا شيوعيا ..

رينيـــه : أولا ، لم يكن روبير شقيقي ... أحسست دائما أنني ابنة أمي أكثر من أن أكون ابنة أبي .

بسـكال : عجيب ... ثمة شخص لم يُنْطق اسمه بعد ...

رينيـــه : ماذا تقصد ؟

بســكال : إستير .

رينيـــه : فلنبتعد عن هذا الفصل ، إذا سمحت : جاءت إستير إلى هنا على الرغم مني ، وفي ظروف يتفق أصدقاؤنا ...

بســكال : ثم ماذا ؛ ؟

رينيـــه : يتفق اصدقاؤنا في الحكم عليها بأنها مشينة .

بســكال : ماذا تقولين ؟

رينيـــه : لن تنكر أنك أرغمتني . وكانت إستير تعلم تمام العلم أنني لا أرغب إطلاقا في اصطحابها .

بســكال : ولماذا تصطحبينها ؟ لقد دَفَعَتْ أجر رحلتها ورحلة ابنها .

رينيـــه : واني لأتساءل أيضا — كيف كان ذلك . أشك شكا قويا في انك قدمت اليها قرضا من المال .

بســكال : وأين العيب في ذلك ؟

رينيــه : لقد فُرِضَت على إذن بطريقة اعتبرها وقحة .

بســكال : أنت تهذين . وانما أريد أن أعرف ماذا تعنى كلمة مشينة التى استخدمتها منذ لحظة .

رينيــه : مع ذلك الذى لا تفهمـــه !

بســكال : أوثر ألا أفهم .. أو لعلك تريدين حقا أن أدافع عن نفسى ؟

رينيــه : أنا ، لم أتهمك .

بســكال : أتلمحين إلى أننى في نظر الناس هنا عشيق أختك ؟

رينيــه : انا لا أتحدث عن كارلوس وإينيس ، ولست بعد على يقين ...

بســكال : لا يهمنى ما يفكرون فيه ، أساسا . إنهم أناس من هذه الدنيا وليسوا كائنات بشرية .

رينيــه : ياله من احتقار ! أتعتقد نفسك من البروليتاريا مثلا ؟ إن ما أستطيع أن أضمنه لك أنا ، أنك لو واصلت التصرف على هذا المنوال ، فستجد نفسك بعد وقت ما حُطَاماً ، لا تنتمى إلى أية طبقة ، طفيليا لا جدوى منه — وحين أقول

طفليليا ، ليس طفيليا من يريد .. لابد من أن تنال الاعجاب ، أما أنت فتبعث على النفور .. أنت تسعى لأن تكون شاذا .ومادمت تتحدث عن إستير ، فسأنقل إليك التحذير الذى يلغى ذلك اليوم . يجب وضع نهاية بأسرع ما يمكن لصلة حميمة يُحْكَم عليها بأنها أكثر من مريبة . وبهذا الشــرط وحده يمكن أن تُقْبل في سان فيليب . أوه ! إننى أعلم جيدا ، من يسمعك منذ لحظة يمكن أن يظن أنك قد تنازلت أنت نفسُك عن هذا الكرسى ، ولكننى اراهن على أن صيحاتك ومظاهرك الفخمة لا تدل حقا على شيء وأنك بعد ليلة من السهاد سترجع بلاشك إلى نظرة أقل رومانتيكية للموقف . إنى أعرفك ، إنك لا تشعر بأى ميل لعدم الاستقرار ، وما من أحد أشد احتياجا منك للشعور بأن حياته المادية مضمونة . وأذكر تلك اللحظة التى شاعت فيها ضجة مريبــة حول بنك بيربيه الذى كنت من عملائه .. كدت تخرج عن طورك من القلق .

بســكال : وهذا أيضا ! ... لقد احتفظت عمدا وعن

تفضيل بكل ما يمكن أن يكون ــ في حياتي ــ موضع احتقار ... لماذا ؟

رينيـــه : لى دائما ذاكرة جيدة جدا . ولا أرى مايدعو لمؤاخذتى عليها .

بسـكال : من الممكن أن يقال إنك قد وُضِعْتِ على طريقى لكى تضعى خطا حاقدا تحت الفجوة القائمة بين ما أنا عليه وبين ما أتمنى أن أكونه .

رينيـــه : لا أحب الأمانى . إنها مهزلة يلعبها المرء على نفسه . وأرفض أن أكون مخدوعة . هذا شيء أشبه بذلك النوع من الحب الأفلاطونى بين إستير وبينك .. وأنا لا أعرف ما ينطوى علشيه من شيء مضحك او شاذ .

بسـكال : اسكتى .

رينيـــه : أذكر أننى عثرت في منزل ريفى قديم على مجموعة « مجلة عَالَمَيْن »
وكانت تضم روايات لادوار رود . إنك شخصية من شخصيات إدوار رود .
كل ما في الأمر أن الناس أقل سذاجة اليوم عما

كانوا عليه في ذلك العصر .. هذه الغراميات
الطاهرة ، يعرف الناس ماوراءها ..

بســكال : كيف تعرفين أن إستير ليست عشيقتى ؟
(تنفجر رينيه في ضحكة مزدرية . .)
أنى أ هرهك .. أنت شقائى.. لقد كنت دائما
شقائى ...

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، إســـتير

رينيــه : (إلى إستير) أتريدين أن أخبرك بما يسمى بسكال
إلى اقناعى به ؟ ... تخمنين ؟ لعلك في قرارة
نفسك تكونين مسرورة لو أنه نجح ... ولكن
لا حيلة لنا في شيء ... (إلى بسكال) أنت لست
أنت لست رجلا ، ولم تكن رجلا قط .. ربما
كنت في أحسن لحظاتك أكثر قليلا من إنسان
قد أعتقد هذا ...

ولكنك في حياة كل يوم أقل كثيرا من إنسان
وهذا ما يفسر كل شيء .

(تهم بالخروج)

بســكال : لا تذهبى ، قبل أن أقول لك – أنا – رأيى
فيك ... ألا يكفيك أنك تحايلت للحصول على
رد من أصدقائك متظاهرة بأنك تكتبين نيابة عنى
وباسمى ... وأتيت هنا بأمل أن تلتقطى كارلوس
كما تلتقط البغىّ زبونها على الرصيف ... كل
كل ما في الأمر أنك خُدِعت .. وهو أيضا
على الأرجح ، بل هو أولا . . لقد تغيرت
يارينيه ، منذ أيام بياريتز الجميلة . ولا حظت
النظرات التى تبادلها أصدقاؤك أول أمسية ...
وتستطيعين أن تبحثى عن ذكر له ارادة قوية
ليخلصك من ماضيك الثقيل كامرأة شريفة .
إن ذلك الماضى يلتصق بجلدك ، ويحرقك .. فلم
تعودى تتحملينه ...

(تخرج رينيه . يترنح بسكال ، ويتقدم بضع
خطوات في اتجاه الباب التى خرجت منه ،
ثم ينهار في مقعد كبير .)

إســتير : (تنحنى عليه) بسكال ! . .

بســكال : (بصوت خافت) إنى حقير .. الوضاعة معدية
التقطتها كالحمى .. أوربما ... ربما كانت كامنة

فيّ .. أجل ، لابد أنها كانت بكل تأكيد ، كامنة فيّ دائما .

إستير : (في عذوبة) كلا .

بسكال : لابد أنها ذبلت من اتصالها بي . . ذبلت بكل أشكال الذبول . . . هذا شيء لايطاق . . .

إستير : (كما سبق) لماذا تَشُقّ على نفسك . . حين أحاول أن أبَرّئَك ؟

بسكال : ليس ذلك في وسعك ، ياإستير . . قسيس ؟ . هذه العبارة البسيطة « مغفورة لكم خطاياكم . . . » يا لها من معجزة ! . .

إستير : أما أنا ، فلا أراها معجزة ، بل شيئا يخلو من المعنى . . . رجل ، وليكن مثل الاب ريكاردو – أيملك هذا الحق ؟ هذا شيء يندّ عن التفكير.

بسكال : هذه القدرة لاتنتمى إليه هو، فما هو إلا أتعس الأدوات . . . سأقول لك شيئا فريدا . . . . هذه الكهنوتيه السفيهة ، الوثنية ، لأنها إهانة للمسيح ، تقرّبني منه مثلما يفعل الاضطهاد . . والحقيقه أن هذا اضطهاد آخر

إستير : (متألمة) لاأفهم . .

بسكال : أنها في الواقع حركة للروح شديدة الغموض . . أو أنها بالأحرى كما لو كان تمهلا غريبا وراء أقوال هذا الرجل الدينى المنافقة ، جعلنى أعتقد أننى اسمع نداء خفيا إلى مالانهاية . . إجابة على سؤالى . . .

إستير : سمعت ؟

بسكال : لابواسطة الحواس . . . هذا شيء لاسبيل إلى التعبير عنه . ربما لم يكن سوى تفكير غير منطوق نطقا متميزا .

إستير : وماذا طلب منك ؟

بسكال : ألا أخون .

إستير : ومتى حاولت أن تخون ؟

بسكال : (دون أن يجيب) — والأغرب من ذلك ، أنه في نفس ذلك الصباح الذى اعتقدت فيه أننى استمع إلى هذا النداء ، صادفت مقابلة غير متوقعة ، مع راهب شاب حركت هيئته الجديرة بالاعجاب أعمق أعماق نفسى . ومع

أنه ليس من عادتى مخاطبة الغرباء ، إلا أننى لم أستطع أن أمنع نفسى من أن أقول له بضع كلمات . . . ولن تتخيلى صفاء الابتسامة التى أضاءت هذا الوجه النحيل . . . كانت ابتسامة المسيح .

إستير : ماذا تعرف عن ابتسامة المسيح يا بسكال ؟ ثم إذا كان هذا اللطف الالهى غير المفهوم قد مُنح لك ، فكيف تفسر العنف الذى أبديته منذ لحظة مع رينيه ؟ أنالم أسمع الكلمات ، ولكننى أستطيع أن أخمن تقريبا . .

بسكال : إنى أعيدها عليك يا إستير ، رينيه هى شقائى : إنها الكائن الذى لم يكف عن جرى الى أسفل ، عارضا على صورة لنفسى هى أشد الصور — تثبيطا لهمتى .

إستير : ألا ينبغى علينا أن نكون متواضعين ؟

بسكال : متواضعين ، بلاشك ، لاأذلاء . المذلة تدمرّ وتحطّم . (صمت) ما أقسى أن أشعر بك — في هذه اللحظة التى ربما أوشك بالتيقظ

فيها لله – بعيدة كل هذا البعد ، غائبة كل ذلك الغياب . . .

إستير : إنى قلقة ، وأنت تعرف جيدا أن هذه الأفكار غريبة علىّ . أتريد أن تقول انك على وشك الخضوع ؟

بسكال : أمعرفتك بى سيئة إلى هذا الحد ؟

إستير : ولكن ماذا إذن ؟ لاتجب علىّ بعد . إذ ينبغى علىّ أيضا أن أصارحك إن أخى التعس قد ترك طفلا صغيرا في الثالثة من عمره . وهذه المرأة التى كان يعاشرها ، فهمت من بعض العبارات التى أفلتت منه ، انها لاتهتم بذلك الطفل . . .

بسكال : (بصوت مختنق) أتريدين العودة إلى الوطن ؟ أتريدين أن تضعى المحيط بيننا . . أننى لن أعود إلى أوربا . . فأنا لاأعتقد . . .

إستير : طبعا ، إنك لاتستطيع أن تترك رينيه والطفلين .

بسكال : ليس ذلك بسببهم . . بل إن السبب أكثر من حيث عدم التميز ، ولكنه أيضا أكثر طغيانا . . إذا عدتُ إلى فرنسا ، فماذا أفعل هناك ؟ – استئناف كتابة أعمدتى ؟ التأليف . . . لم يعد

لهذا كله أى معنى . الدخول في الصراع ؟
الالتحاق بحزب ، الانضمام إلى مالرو —
وأصدائه ؟ هذا مستحيل . أما فيما يتعلـــق
برفاق أخيك ، فأنا لاأستطيع أن أقبلهم إلا بشرط
ألا أراهم وألا أسمعهم . لقد نذرت نفسى
لعدم الفاعلية ، وأنا أعرف ذلك الآن . يجب
أن اعترف بذلك في تواضع مطلق . ولكن ،
ربما كان المرء يستطيع ابتداء من هنا أن يصاعد
« نحوه » ، وان يكون قريبا « منه » . . .
(إلى مارك ــ آندريه الذى دخل) تعالى يابنىّ ،
عندى كلمة أخرى أريد أن أقولها ، كلمـــة
مُقَدَّرة لك .

مارك ــ آندريه : (منزعجا) ما هذه ؟

بســكال : لاتتخذ هذه الهيئة المذعورة . لاشىء هنا ينبغى
أن يزعجك ، بل على العكس أعتقد . . .
أتتذكر أنك حدثتنى منذ أشهر عن رجل ، ،
والد أحد أصدقائك ، وكان يقول : لست
أدرى ما يمكن أن يصنعه الحدث بى، ربما جعلنى
رخوا أشل . ولكنى أحسب أن الله لن يتخلى

عنى ، وأنه سيجنبنى السقوط الأعظم . . .

مارك ـ آندريه : ماذا اذن ؟

بسـكال : وسألتنى ان كنت أستطيع أن آخذ هذه الأقوال لحسابى ، فأطرقت برأسى . . بيد أن شيئا ما قد تغير . فالخطاب الذى سأكتبه بعد لحظة إلى مدير جامعة سان فيليب سيخلق موقفا — محددا تمام التحديد . وهذا الامتناع عن الاذعان لمطالب يستنكرها ضميرى ، أملاها علىّ حقا الإله الحقيقى . . ومن هذا اليوم اعترف به ، والتزم بالاتجاه نحوه ، ويبدو لى في تسامحه أوفي كرمه . .إذ لايمكن أن يكون ثمة إله بلاشرف .

مارك ـ آندريه : ماذا أصابك ، ياعماه ؟ . .

بسـكال : لاشيء، دوار . . . لست اليوم على مايرام .إننى أقبل إذن عدم الاستقرار المطلق ،أقبله هنا كما قد كان ينبغى على أن أقبله هناك. . . المكان لاقيمة له . . .

كارلوس : (داخلا) رجل الاذاعة في الحجرة المجاورة مع الميكروفون . أتشعر أنك في حالة طيبة بحيث يمكن أن تقدّم البرنامج ؟

بسـكال : أجل ، أجل ، يجب أن أفعل ذلك ، هأنذا قادم . .

(يخرج من باب المؤخرة الذى الظل مواريا . نسمع في غير تميز ضجة الاستعدادات)

مارك ــ آندريه : أتبكين ، يا أماه ؟ وأنا على هذه الدرجة من السعادة .

إستير : كل هذا لاسبيل إلى التعبير عنه .

بسـكال : (بصوت قوى) يا أصدقائى في فرنسا ، ــ طلبوا منى أن أتحدث إليكم مرة كل خمسة عشر يوما لكى أقول لكم ، كيف أننا نحن المهاجرين ، نحن الهاربين ، نرى فرنسا . . .

مارك ــ آندريه : لقد قال الهاربين ! . . .

بسـكال : في مأساة لكورنى عفى عليها النسيان بضعة أبيات شهيرة ، وجديرة أيضا بالاعجاب ، يعلن سرتوريوس ــ وهو جنرال متمرد في أسبانيا ــ انه هو الذى يجسد روما الحقيقية فيقول :

« لم أعد أسمى روما أرضا تحوطها الأسوار ، تملؤها العادات بالمآتم ،

فهذه الأسوار التى كان مصيرها أبدع مايكون
في الماضى . .

لم تعد سوى السجن ، أو بالاحرى القبر :
ولكن لكى تُبْعث من جديد في قوتها الأولى
انفصلت تمام الانفصال عن الرومان المزيفين ،
ولما كنت أملك حولى الآن كل دعائمها الحقيقية
فان روما لم تعد في روما ، إنما تكون كلهـــا
حيثما أكون . »

ياأصدقائى ، هذه هذه الفكرة باطلة ، وهذا
ماأريد أن استصرخكم إياه اليوم . اخطأنـــا
حين رحلنا : وكان ينبغى ان نبقى وان نناضل
في أماكننا . والوهم القائل بأننا نستطيع أن —
نحمل الوطن معنا لايمكن أن يولد إلا من الغرور
ومن أحمق أنواع الاعتداد بالنفس . وأنتم يامن
قد تترددون حيال خطر الغد ، أستحلفكم بالله
أن تمكثوا ، وإذا كنتم لاتشعرون بالقوة . .
إذا كنتم لاتملكون القوة . . .

(يترنح ، يتهاوى على الأرض . تندفع إستير
نحوه ، وفي هذه اللحظة يظهر راهب شاب

عليه سيماء الزهد ، وحين يهمون باعتراض طريقه ، يقول في رفق :

الراهب : سيدتي ، دعيني أذهب إليه . أنا أعلم أنه ينتظرني .

(ستار)

***

تعليق على مسرحية

روما لم تعد في روما

بقلم المؤلف

(هذه الصفحات ماخوذة من محاضرة القيت على مسرح هيبرتو فى ١٨ مايو ١٩٥١ . وقد ظهرت فى مجلة « رجال وعوالم » Hommes et Mondes تحت عنوان « المشكلات الحقيقية فى مسرحية روما لم تعد فى روما »)

أريد أن أفحص فى هذه الصفحات القلائل الاعترافات الرئيسية التى وُجّهت الى مسرحيتى الاخيرة : « روما لم تعد فى روما » .

وينبغى أن أقول اننى كنت مندهشا حين اكتشفت أن بعض النقاد يهاجمون ماحلا لهم ان يسموه ـ على نحو جزافى تماما ـ بمصادرة المسرحية ، ومعنى هذا فى أذهانهم أن مسألة « الرحيل » لا توضع اليوم فى بلادنا . ويكفى أن تحمل ردود فعل الجمهور لهذا التوكيد الغريب أجلى أنواع التكذيب . وما كان من الممكن أن تكون المناقشات على مثل هذا الاحتداد لو لم توضع المسألة أصلا ، وينسحب القول هنا على أناس ينتمون الى أوساط اجتماعية أشد ماتكون تباينا . وفضلا عن ذلك ، كيف يمكن الا يوضع هذا السؤال ؟ انى أسلّم جدلا مع « تيرى مونييه » بأن الموقف العالمى « فى الآونة الحاضرة » لا يبرر تبريرا مطلقا بالنسبة للفرنسيين ذعرا كالذعر الذى رزحت تحته زوجة الشخصية الرئيسية فى الرواية ، ومع ذلك ، يكفى أن تقرأ فى أية صحيفة يومية التفاصيل الدقيقة التي تقَدَّم لنا عن علاقة القوات العسكرية القائمة لكى نعترف بأن فى هذه العلاقة ما يبرر عند كل من يعرف القراءة حالة من القلق يمكن أن تؤدى مباشرة الى ذلك الذعر . وماذا نقول عن الشواهد التى تصل الينا يوما بعد يوم عن الموقف الدولى ؟ وحتى مع التسليم بأنه ينبغى الحكم اليوم على هذه المخاوف بأنها متطرفة ، فمن الواضح أنه من الممكن أن يقع فى بضعة أشهر أو حتى فى بضعة

أسابيع حدث في الشرق الأوسط او الأدنى يعمل على تضييق الكلابة التي نجازف بالانسحاق فيها . مثل هذه الاحداث أمور قابلة للتنبؤ بها بحيث يتوقعها القلق : ولنتذكر أن القلق في جوهره توقع محموم .

وثمة اعتراض آخر وُجّه اليّ ، ولكنه يبدولى أحق كثيرا بأن يؤخذ على محمل الجد ، ذلك أن أساسه لايقوم — كما يقوم الاعتراض الأول — على العمى الارادى : قيل لى : « الا تخاطر مسرحيتك باضعاف معنويات شطر من الجمهور ، وتقوية الشعور الذي يمكن أن يكون لدى الخصم بقدراته وتفوقه ؟ »

فلندع جانبا الشطر الثاني من الحجة : فأنا لا أعتقد أن الشيوعيين في حاجة اليّ أو الى أى كاتب آخر من رأيى — للوعى بقدراتهم النفسية التى يملكونها . بيد أن الشطر الأول من الحجة لايخلو من قوة : فان عرض مسرحية معناه انجاز فعل ، والاضطلاع بمسئوليات . وعلى هذا المستوى ، الا أعَرِّضُ نفسى للنقد ؟ أعترف ببساطة شديدة أن الاعتراض لايقبل التفنيد بصورة مطلقة . كل ماقى وسعى أن أفعله ، هو أن أوضح المنظور الذى هو منظورى هنا . وأعترف بأننى أرى روح الهروب الظاهرة فى كل مسرحنا المعاصر تقريبا — باستثناء سارتر ، وربما كامى — خليقة بالاحتقار تماما . وسأترك « كامى » جانبا فى هذه الصفحات ، لانه لايبدولى كاتبا مسرحيا أصيلا ، ولا أرى أنه قد تجنب فى أى مكان من مسرحه التعثر فى صخرة المسرحية ذات الموضوع pièce à thèse وأنا لا أجد عنده ذلك الاحترام المطلق لشخصياته ولحرياتهم التى ينبغى أن تطبع بخاتمها العمل الدرامى . وهذه الحرية محترمة — على العكس من ذلك — فى أفضل المسرحيات التى قدمها لنا سارتر حتى الآن ، وأعنى بها مسرحية « الأيدى القذرة » . فالمشكلة مطروحة فيها باحكام لامنفذ فيه . وكنت أعتقد انه من المناسب كتابة مسرحية يمكن أن تخاطب كُلاًّ منا على نحو أكثر مباشرة حقا — وحين أقول كُلاًّ منا فانا اقصد أولئك الذين على وعى يصل الى الحد الأقصى من الوضوح بالموقف الذى يتخبط فيه انسان اليوم . بيد أن هذا لم يكن ممكنا الا بشرط تجاوز الاعتراض المذكور . وقد بدالى — فضلا عن ذلك . أن من الخطورة بمكان التسليم بأن ذلك النوع من العمى الارادى أو شبه الارادى الذى يعيش فيه ذلك

العدد الكبير من الناس فى الغرب ــ ينبغى تجنبه لأسباب تتعلق بمجرد الحيطة . فالحكم على هذا النحو ، معناه التقدم خطوة أخرى على الطريق التى لا يمكن أن تؤدى الا الى العبودية ، أجل ، ان العمى لايمكن أن يقود الا الى العبودية ، والى العبودية وحدها ــ أردنا ذلك أولم نرد .

ولكنى أعترف ــ على كل حال ــ بأن المناقشة تظل مفتوحة عند هذه النقطة . كل ما فى الأمر أننى سوف أثور ــ حتى آخر لحظة فى حياتى ــ ضد أولئك الذين يتنحّون ــ اى موضوع أيا كان ــ بحركه متحفظة أو خائفة بحجة انه خطر . مثل هذا الموقف لايمكن قبوله الا فى مجال ادب الاطفال أو توابعه : فهناك بكل تأكيد أدب للبالغين ــ سواء عند الشيوعيين أو عند بعض خصومهم بالطبع ــ لايعد الا تذييلا لأدب الأطفال .

وهناك سؤال بالغ الدقة وجّه الى بصدد الاذاعة التى يوجهها « بسكال لوميير » فى ختام المسرحية ــ من البرازيل الى مواطنيه الذين قد يترددون فى اقتفاء أثره ، ولكنهم مدفوعون مع ذلك الى مغادرة فرنسا . فقد صاح فيهم قائلا : « لاترحلوا ، ناضلوا فى موقعكم ، واذا لم تكن لديكم القوة ... » وسأعود الى هذا الشطر من الجملة والى الطريقة التى كان من الممكن أن تكتمل بها لولم يصب بسكال فى تلك اللحظة بنوبة قلبية . وقد أبدى لى روائى من أصدقائى هذه الملاحظة : « فى هذه الملابسات المسرحية الأخاذة التى قيلت فيها تلك الاقوال ينسدل الستار ، ويغوص المتفرج فى ظلام تام ، وأمامه محطة اذاعة ، بحيث يمكن أن يفكر حقا انه هو الفرنسى المنتمى الى فرنسا ــ المقصود بتلك الاقوال ــ وبنفس القوة يتدعم وزن هذا النداء أو هذا التحذير تدعيما ملحوظا ، ويكاد المرء أن يتساءل : الا تتخذ هذه الرسالة قيمة تنبؤية فى فكر المؤلف ، وكانه قول يهبط من الأعالى . » وأضاف صديقى قائلا : « ولكن ، أليس ذلك اتخاذ مسئولية ثقيلة على نحو رهيب حين نوحى الى المتفرجين بأنهم يقترفون جريرة أخلاقية حين يغادرون بلادهم » وهنا وجدت نفسى ــ أنا المؤلف ــ موضوعا فى موقع ينبغى أن أقول فيه عما اذا كنتُ آخذ هذه الرسالة على عاتقى .

وانا أجيب دون مراوغة ، بالنفى . وأقول هنا بأكبر وضوح ممكن ، لو أن شخصا لا أعرفه جاء الىّ عقب عرض « روما لم تعد فى روما » ــ وهذا ما يحدث لى أحيانا ــ وسألنى بوصفى موجّها للضمير هل ألنى عزمه حقا عن الرحيل ، أو عما هو أخطر من

ذلك ـ من ترحيل اطفاله ـ هنا أمتنع امتناعا مطلقا عن التعبير من نفسى على النحو القاطع الذى عبرّ به پسكال عن نفسه ، اذ لا أعترف لنفسى بأى حق فى هذا . وانى لأذكر ـ فضلا عن ذلك ـ أن وجهات نظرى الدرامية لاتحتمل اطلاقا أن يتخذ المؤلف فى أية لحظة واحدا من شخصيات مسرحياته بوصفه متحدثا باسمه porte - parole والحقيقة هى أن تلك الرسالة الاذاعية تتمشى مع تفكير پسكال كما رأيناه آخذا فى التطور منذ بداية المسرحية ؛ فمن « الضرورى » فى هذه اللحظة من تطوره أن يصيح بمناسبة أبيات سرتوريوس الشهيرة قائلا : « هذا التفكير باطل » ، وهذا كله بلهجة من النصّح المؤثر اشد التأثير . ذلك أنه صادر عن شخص قد يكون مشرفا على الموت ، وان يكن على كل حال قد انتهى مستقبله بالنسبة لهذا العالم . ومن المؤكد انه على هذا النحو باسم مطلق معين ، أو باسم شعور مطلق ، ولكن دون أن أنسى لحظة واحدة ـ بوصفى مؤلفا ـ أن الواقع ينطوى على وجه آخر ، وأن « مارك ـ آندريه » ابن اخت زوجة پسكال ـ ذلك الشاب الذى لم يعد فى قرارة نفسه يشارك فى التراث الفرنسى أية مشاركة ـ تنفسح أمامه كل الفرص لكى يجد فى البرازيل ذلك المناخ من راحة البال الذى يمكن أن يتفتحّ فيه وأن يجد نفسه . ثم ، هل نستطيع فيما يتعلق برينيه البغيضة زوجة پسكال ، وبالطفلين اللذين أرادت حمايتهما ـ هل نستطيع ـ اذا تحدثنا بصيغة مطلقة أن نأخذ عليهم أى خطأ ؟ وفى رأيى أنه ليس فى وسع الانسان أن يعطى اجابة مطلقة على هذا السؤال ، ذلك أن تلك الاجابة تتوقف فى ـ نهاية التحليل ـ على الحدث ، والحدث هاهنا مجهول .

ومع ذلك ، فانى أضيف ملاحظة أعترف بأنها يمكن أن تبدو مزعجة الى حد ما ، ولكن مما يجانب الأمانة الا أصوغها هنا . ان عملاً كمسرحية « روما لم تعد فى روما » هو فى جوهره عمل سَمْفونى . وقد اشرت فى معرض الحديث عنه الى الوعى البوليفونى بعالم يشعر بخطر الموت : بيد انه من الجلى أن هذه البوليفونية لايمكن الا أن تكون متتابعة . ذلك أن ردود الفعل المتماكسة عند كل من « پسكال » و « مارك ـ آندريه » لايمكن أن تعرض فى وقت واحد معا : ومن ثم فلا يمكن أن تنتهى المسرحية ـ اذا أردنا لها نهاية هارمونية ـ الا بذلك النوع من اليقين المأساوى الذى توصل اليه پسكال . وقد كان من الممكن أن نقع فى ذلك الخطأ الضخم الفاضح

ـ من الوجهة الهارمونية ـ لو انتهت بذلك المشهد الغرامى الصغير بين « مارك ـ آندريه » والفتاة البرازيلية الصغيرة التى أيقظته على حياة الحواس . والنغمة الأساسية ـ سواء قبلنا رسالة بسكال بوصفها حقيقة نهائية أو لم تقبلها ـ لايمكن أن تعطيها الا هذه الرسالة نفسها .

أيؤخذ علىّ فى هذه الاحوال أننى أخدع المتفرج ، واننى اتركه يعتقد أن المؤلف هو الذى يعبر عن نفسه بلسان بسكال ؟ وهنا يتخذ ذلك الشطر القصير من الجملة : « ومن لايملك القوة ... » كل دلالته . فلو كان بسكال ـ فى هذه اللحظة الحاسمة ـ فى حالة تسمح له باتمام هذه الجملة ، فماذا كان يقول ؟ شيئا كهذا : « فاذا لم تكن لديكم القوة على البقاء والنضال فى أماكنكم فاعرفوا على الأقل كيف تعترفون بضعفكم ، وكيف تبلغون الوعى به : واضحا مريرا ، وتَخَلّوْا الى الأبد عن الادعاء بأنكم تجسّدون الوطن خيرا من أولئك الذين آثروا البقاء فى فرنسا ، وبأنكم على نحو ما تقفون ضدهم . » ونحن نعلم بالتأكيد أنه ما من فرنسى واحد خلال الحرب العالمية الاخيرة ـ سواء أكان فى لندن أو الجزائر أو نيويورك ـ الا وراوده هـذا الادعاء الفظيع .

ولكن يبدو لى أن عند هذه النقطة تتمهد أرض للاتفاق بين الاشخاص ذوى النية الحسنة : فأنا لا أتردد قط فى الاعتراف بأنه فيما يتعلق بى أعتقد أن التفوق الاخلاقى ـ من حيث المبدأ ـ فى جانب أولئك الذين ينوون الصراع فى أماكنهم حتى آخر لحظة ـ وان كان من الممكن أن نتساءل بعد كل هذا عما اذا لم تكن مصلحة فرنسا العميقة لاتقوم على التضحية بالصفوة عن بكرة أبيهم ، وانما تقتضى هذه المصلحة أن يبقى بعض ممثليها فى الخارج . وعلى العكس من ذلك ، أرى أنه من المستحيل استحالة مطلقة على كائن من كان أن يقرر فى حالة معينة ما أذا كان هذا الفرد أو ذاك يملك من القوة مايكفى للدخول فى هذا الصراع ، ففى هذه المسألة لايستطيع احد أن يقطع برأى الا فيما يتعلق بنفسه فحسب ، ولابد أن نضيف الى ذلك أن من لايملك القوة لتحمل هذه المحنة ، فعليه أن يملك الشجاعة ـ كما قلت آنفا ـ للاعتراف بهذا الضعف ، واستخلاص نتائجه ، وقبول المذلة التى ترتبط بوضع اللاجئين حتى منتهاها . كل هذا يتخذ طابعا افتراضيا ، وشرطيا مطلقا ـ وهنا ـ كما هو الشأن فى كثير من الحالات ، تكون الأحكام المطلقة اساءة للعقل .

وعلى هذا الأساس نفسه ، توضع مشكلة تحتل مكانا رئيسيا في مسرحيتي ، وان كنت قد قدّرت الا ينبغي عليّ وضعها الا على سبيل التلميح بصورة ما ، اذ يجب ان اتحاشى بأى ثمن التطورات التى يمكن أن تتخذ حتما صبغة خطابية ، والتى يمكن أن تضفى على العمل طابعا أكاديميا بغيضا .

وأنا أقصد أولا السؤال الذى وضعه ــ على سبيل الاستهزاء ــ اللاجىء الألمانى الذى يوشك على الرحيل الى مراكش فى مستهل المسرحية حين قال : « أين هى فرنسا ؟ » هذا السؤال هو الذى أخذته زوجة پسكال فيما بعد لتدعيم موقفها ، أما « مارك ــ آندريه » الفتى العدمى الحائر ، فقد حله مرة واحدة والى الأبد بالنفى . وهو يوضع أخيرا أمام ضمير الشخصية الرئيسية فى المسرحية (پسكال) الذى يتظاهر ــ عند رحيله ــ بأنه لايرى ما يدعو حتى لاثارته ، ولكن حين يفرض السؤال نفسه عليه ، لايجد مفرا من مواجهة الرحيل ، ذلك لأننا ان لم نعد نعرف أين فرنسا ، فمن الممكن تصور أنها خارج نفسها ، وأن من الممكن نقلها الى مكان آخر بواسطة الأوفياء لروحها ، ولكن اذا حكمنا على هذا النحو ، الا نخطىء فى حق التجسيد ، الا نستبدل بالواقع النابض الحى لفرنسا فكرة بسيطة مجردة ؟

ومن الجلى من ناحية أخرى أن مسألة فرنسا ومسألة الشرف الفرنسى لاتنفصلان . واذا صرّحت « رينيه لومبير » ساخرة بأنه لم يعد ثمة وجود للشرف ، فذلك لأن كلمة وطن ــ من ناحية أخرى ــ لم يعد لها فى نظرها اى معنى . وهكذا الحال بالنسبة لمارك ــ آندريه . فحين يحاول خاله الاهابة بشعور الشرف لديه لكى يتراجع عن قراره بالرحيل يجيبه قائلا : « حاول الناس ــ باسم الشرف ــ أن يبرروا خلال اربعة اعوام ــ اشد التصرفات تعارضا ، فلا مناص من الاعتقاد بأنها ليست فكرة شديدة الوضوح ! » وبعبارة أخرى أصبح من المستحيل معرفة الجانب الذى يقف فيه الشرف ، ومن ثم الجانب الذى توجد فيه فرنسا . وعلى هذه البيّنة يبدو أن پسكال لم يكن يملك جوابا . وكان قد امتنع اثناء الحرب عن الاشتراك فى حركة المقاومة السرية ، دون أن يرتبط بالمحتل فى الوقت نفسه أدنى ارتباط . وكانت زوجته التى لاتدع قط أقل مناسبة للحط من شأنه ــ لأسباب

غامضة ، يدخل ضمنها بلاشك نوع من الحقد الجنسي ـ واخوها الشيوعي يزعمان أنه مدفوع الى هذا الحياد بجبن خليق بالاحتقار . بيد أن كل الشواهد تدل على بطلان هذا الزعم . وربما كان پسكال يتخذ فى قرارة نفسه نفس الموقف الذى يتخذه أحد أبطال مسرحية من مسرحياتى الحديثة وأعنى به أنطوان سورج Ontoine Sorgues فى مسرحية « المبعوث » L Emissaire فقد أحس بما في الجانبين من تلوث ،فلم يستطع بوصفه مفكرا أن يلتزم الى النهاية. وهذا لايعنى اطلاقا أنه متذبذب ـ كما زعم البعض ، بل يعني أنه ـ على العكس ـ رجل يتمتع بشجاعة ذهنية وأخلاقية عظيمة ، ولكنه يجهل الى أى حد يمكن أن تمضى شجاعته الجسمية فى هذا الظرف أو ذاك . وتثبت التجربة بطريقة لامطعن فيها أن هذه الاشكال المتباينة من الشجاعة لاينطوى بعضها على البعض الآخر ، وهنا أيضا أذكر ما قالته شخصيه من شخصياتى هى شخصية فرنر شنى Werner Schnee فى « الرمح » Le Dard من أن المرء يمكن أن يكون شجاعا أمام الموت ولا يكون كذلك أمام الراى . ولا ننسى أن پسكال لم يتردد فى الاحتجاج على تعسفات التطهير الدنيئة دون أن يهتم أى اهتمام بالعداوات التى يمكن أن يجرها عليه هذا الموقف .

لاجبن اذن من جانبه حين يضع بدوره هذا السؤال : أين هى فرنسا ؟ وأضيف أن المسرحية لاتستطيع أن تحمل ـ فى نهاية التحليل ـ أى حل لهذا السؤال . واذا بدا أنها تحله ، فلا يمكن أن يكون ذلك الابضرب من الانفعال وانعدام الأمانة . كل مانستطيع أن نقوله هو أنها تؤدى بالمتفرج الى ادراك لماذا يمكن أن يبدو هذا السؤال بلا حل فى الظروف الحاضرة . فروبير ڤيلار الشيوعى الذى يعتقد فى سذاجة ان الاحتلال السوفيتي يمكن تجنبه لأنه قد تلقى هو وأصدقاؤه وعودا رسمية من موسكو ، والذى يؤمن بانشاء قريب لشيوعيةفرنسية خالصة ، يلقى مصرعه على أيدى أنصار ستالين الذين يرون فيه خصما خطيرا . وحين يتناهى هذا النبأ الى پسكال فى البرازيل يصيح قائلا : « هكذا بقى روبير فرنسيا ! » فحتى اذا كان المثل الأعلى الذى ضحى بنفسه من أجله يفزعنا ، وحتى اذا كنا ندينه لأن جميع الوسائل تبدو حسنة ما دامت تمهد لظهور النظام الجديد ، فانه لا يبدو من الممكن استبعاده من المجتمع الفرنسى . وعلى العكس من ذلك ، لم يعد « مارك ـ آندريه »

الصغير ــ وان يكن أكثر جاذبية وأشد تأثيرا منتميا بعد الى ذلك المجتمع ــ فهو يبدو على أهبة الاستعداد فعلا ليصبح رجلا من رجال العالم الجديد ، هذا مع التسليم بأن له من القوة الباطنة ما يكفى ليضرب بجذوره حيثما كان ، وهذا فى حد ذاته أبعد ما يكون عن اليقين . بيد أن هذا التضاد لا بد من أن يرغم المتفرج على التغلب على ما قد ينشأ فى نفسه من انسياق لمشاعره ، فيؤيد مارك ــ آندريه ، ويعرض عن روبير ، وهنا أضيف أن المتفرج حاضر فى قرارة نفسى : فأنا أحب « مارك ــ آندريه » تلقائيا وعاطفيا ، ولا أطيق روبير . غير أن الرسالة الحقيقية للكاتب الدرامى هى أن يتغلب فى نفســــه على مشاعر الاستحسان والاستهجان الخاصة به .

ومع ذلك ، فانى اشير عابرا الى أن المشكلة ــ فيما يختص بروبير ــ أشد تعقيدا مما قد يبدو للوهلة الأولى . فقد أُخِذ علىَّ أننى جعلته يقول : « عندما ينطق أحد بكلمة « انسان » أمامى ، فانى أشهر مسدسى » . وأعترف ــ عن طيب خاطر ــ بأنه ما كان ينبغى أن يقول مثل هذه الجملة . ولكننى أردت أن أبيِّن أنه حيثما يصل الوعى الطبقى الى ذروته ، يختفى حتما معنى « الكلى » : فها هنا شطر من الجنس الانسانى قد حكم بالموت فورا أو على المدى الطويل ــ على شطر آخر مدفوعا الى ذلك بدوافع أيديولوجية . فمن المباح اذن ــ رغم كل شىء ــ أن نتساءل عما اذا كان من الممكن أن نظل فرنسيين حين نعتنق هذا الموقف ، وعما اذا كان لا ينطوى على استئصال باطنى يشبع تفقد معه فكرة فرنسا خير ما فيها مــن مضمون : ذلك أنه لا سبيل الى ادراك هذا المضمون دون رجوع معين الى التاريخ. أليس ذلك الذى يأخذ على عاتقه فرنسا الثورية ، والثورية وحدها ــ مقضيا عليه بهذه الفعلة نفسها أن يلقى فى الظلمات الخارجية بفرنسا الأخرى ، فرنسا الملوك والتراث الدينى ؟ ليس هذا بالتأكيد سوى سؤال ، ولكنه يوضع حتما على مشارف المسرحية ، ولهذا نجد أنفسنا مرغمين على التساؤل وان يكن ذلك على مستوى أعمق : أين هى فرنسا ؟ والى ذلك التمزق الذى حدث طوال القرن التاسع عشر ، الا يعد فى هذه اللحظة من التاريخ التى وصلنا اليها صدعا لا رأب له يمكن

أن يعقبه ؟ ورجل التأمل الذى هو على شاكلة بسكال لوميير ولا يميل ميلا تلقائيا الى فرنسا الثورية ، ولكنه لا يعترف لنفسه بحق استبعادها ببساطة ـ مثل هذا الرجل يعرف أنه لا يمكن أن يستبدل بفرنسا الثورية فرنسا مضادة للثورة Antinévolutionnaire : ذلك أنها تفترض التنكر لبعض المقدمات الجوهرية للعبقرية الفرنسية : ومن هنا ، الا يجد نفسه ازاء موقف لا مخرج منه ـ وأقول لا مَخْرج منه على المستوى الزمانى ! اذ يتبقى له ـ فى الحقيقة ـ ملجأ ، وملجأ واحد فحسب هو : تجاوز التاريخ ، وليس ذلك ممكنا الا بالتحول الى الايمان . وهذا الملاذ الأسمى فى عينى المؤمن يَعْترض بوصفه هروبا ، ومن العبث تماما أن نحاول البرهنة لغير المؤمن على أنه مخطىء . والحقيقة هى أن هذا « الملاذ » يتمثل على أساس محنة معاشة الى اعمق أغوارها ، أعنى الى حد اليأس . وهنا ثمة منطق أعلى يتسم مع منطق الابداع ـ وأنا أفكر على الأخص فى الابداع الفنى ـ بتلك السمة المشتركة من أنه ليس منطقا لكل الناس ، منطقا لأى كائن كان : ولكن يبدو اليوم فى بينة لا سبيل الى دحضـــها أن « الكلى » L univerel لا يمكن أن نفكر فيه فى حدود الامتداد ، وأنه ينحط ، ويفسد ـ بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ـ ابتداء من اللحظة التى نفكر فيه بحدود احصائية متمشية مع مطالب نزعة عقلانية ساقطة فقدت حتى الشعور بـ « النور » غير المخلوق الذى يتحول بدونه العقل الى نوع من السلوك النمطى . غير أن هذا المنطق الأعلى هو ما يسرى فى المشاهد الأخيرة من مسرحيتى بحيث يؤدى فى نهاية الأمر الى التحول النهائى للبطل الى الايمان .

الا ينبغى أن يُفَسَّر الرحيل حينذاك بوصفه رفضا لموقف لا منفذ منه ؟ .

بيد أن رفض شىء ما معناه ـ أردنا ذلك أو لم نرد ـ قبول شىء آخر .

ويبدو أن أولئك الذين حيرهم الفصل الرابع من المسرحية ينكرون عليَّ هذا الذى هو سمة جوهرية للموقف الحاضر . فنحن نعيش ـ واآسفاه ! ـ فى عالم يزداد انقسامه يوما بعد يوم الى شطرين ، عالم يولد فيه التعصب تعصبا مضادا يقوم ازاءه وجها لوجه . أما المواقف الوسط ـ أعنى المواقف الليبرالية بالمعنى الحقيقى

لهذه الكلمة لا بالمعنى الكاريكاتورى لها ـ فتميل الى الاختفاء أكثر فأكثر ، وكان أولئك الذين يريدون الاحتفاظ بها بأى ثمن مقضيا عليهم بأن يقعوا بين شقى الرحى . ولم يتقبل يسكال لوميير للتدريس بجامعة سان فيليب فى البرازيل الا بشرط وهو : أن يشارك مشاركة ايجابية فى الصراع ضد الشيوعية التي رفضها . ولكن ينبغى أن نلتفت الى هذا : فمن وجهة نظر الاكليروسية المتعصبة لا تنصب الادانة على الشيوعية وحدها ، بل على مجموعة بأكملها من الأفكار التى يقال عنها انها هدامة ، والتى تنضوى بصورة متعسفة ـ مباشرة أو غير مباشرة ـ تحت الشيوعية . ونحن نعرف حق المعرفة ما تتضمنه فكرة « الثورة المضادة » المشوشة أشنع التشويش ـ من ايجاز متعسف ، أو تعميم مخل . وحين يعلن « الأب ريكاردو » أنه لا مكان للحياد فى الصراع الدائر بلا رحمة بين « الروح القدس » وبين القوى الشيطانية التى انطلقت من عقالها فى العالم ، كيف لا نرى أنه يقصد تصفية ما يسميه « بالروح القدس » لحساب مذهب يفهم فى أضيق معانيه وأشدها تحديدا ، مذهب لا يمت بأية صلة فى نهاية الأمر بالكنيسة مفهومة بمعناها الحقيقي الوحيد ، أعنى معناها « الشامل » universel وانما يتصل بأولئك الذين يزعمون أنهم يمثلونها دون وجه حق ... وعندما يقول « يسكال » انه وقع فى كمين ، فتلك هى الحقيقة بعينها . ويتظاهر « الأب » بأنه يجبره على الاعتراف بأنه فى قبوله لكرسى سان فيليب قد حدد اختياره : وبدون هذا الاختيار ، لا مندوحة من التسليم بأن رحيله لم يكن سوى هروبا يمليه حرصه الوحيد لأن يحافظ على أمنه الشخصى . هذا هو نوع الابتزاز الأخلاقى الذى يقوم به « الأب ريكاردو » . وهو ابتزاز مادى أيضا ، لأنه اذا لم يذعن يسكال ، أغلقت أبواب الجامعة فى وجهه ، وفى هذه الحالة كيف يمكنه أن يعيش ؟ .

وانا أسلم طوعا بأن ثمة ـ بكل تأكيد ـ امكانيات هنا أو هناك للخروج من هذا المأزق البشع ، ولكن كيف لا أرى أن هذه الامكانات سريعة الزوال ، وأن هذه الحالة الحدية cas - limite تكاد تصبح القاعدة بضرب من التصلب المطرد من المواقف التي يتخذها هذا الجانب وذاك ؟ .

ومهما يكن من أمر ، فان يسكال يرفض الاذعان ، وهذا الرفض يتخذ ها هنا قيمة حاسمة . فلنحاول أن نفهم الطبيعة الحقة لهذا الرفض . فليس من شك أنه لا يرفض التسليم بأن التأثير الذى يمارسه شخص مثل « جيد » كان مفسدا حقا من بعض جوانبه . ولكن ، لأن يسكال يتمتع بعقل أمين فى جوهره ، فانه يرى

أن الواجب الأول على مؤرخ الادب قبل التذوق ـ وهو ما يعني هنا الادانة ـ هو الفهم بمجهود من التعاطف يمتزج بسخاء النفس ، فاذا كان ثمة افتقار الى هـذا التعاطف أو هذا السخاء ، لم يعد هناك مكان للفكر الحر . وهنا ينحط النقـد ويتحول الى ضرب من ممارسة نوع من الأوتوماتية «الحركة الآلية» automatisme وهذه نقطة لا يستطيع أن يتخطاها دون أن يخون رسالته .

ولكن ينبغي أن نرى هذا جيدا : على الموقف الذى يتخذه فى وجه ما يعرضه عليه « الأب ريكاردو » يتوقف الحكم الذى يمكن أن يصدره هو نفسه على رحيله الخاص عن فرنسا . فالواقع أن هذا الرحيل هو الالتباس نفسه ، ولن يتخذ هذا الموقف معناه ومغزاه الحقيقي الا من خلال هذا القرار . أجل ، أن پسكال لن يقدم على اتخاذ قراره بالنسبة للمستقبل القريب فحسب ، بل بالنسبة للفعل الذى تم ، والذى لم تتضح أبعاده بعد فى ناظريه . ومن المدهش حقا فى رأيى أن هذا كله قد فُهِم ـ بوجه عام ـ فهما سيئا . فالفعل الحر ـ كما كتبت فى موضع آخر ـ هو الفعل المحرر liberateur بيد اننا لو أخذنا الرحيل فى حد ذاته ، لما ألفيناه ممثلا لهذه القيمة المحررة . بل أن هذا الرحيل كما وصفته « استير » باستقامتها المميزة لها ـ ليس الا تلوثا ، وهذه الكلمة ينبغى أن نأخذها بأدق مفاهيمها ـ فهو ملوث لأنه غير متميز ، ولأننا لا نعرف قيمته . والآن فحسب ، يستطيع پسكال بالاختيار الذى يتخذه فى وضوح تام للرؤية هذه المرة ـ أن يخلع على فعله معنى يوضحه . فلو أنه رحل حقا ـ كما فعلت « رينيه » ـ لمجرد الحصول على الأمن ، لكان صنيعه ذاك صنيع عبد . وفى هذه الحالة ، لن يعدم وسيلة للاذعان الى مطالب « الأب ريكاردو » ، بعد أن يعقد مع ضميره صلحا أساسه سوء الطوية mauvaise foi . والعكس صحيح ، اى انه فى اللحظة التي يرفض فيها الرضوخ ، يثبت بذلك انه لا يضع الأمن فى المقام الأول ، وأن رحيله ينطوى على امكانية الفعل المحرر ، وان يكن ذلك فى حالة كمون .

وهنا تعرض للعقل طائفة اخرى من الملاحظات أكثر من ذلك أهمية ، وتستهدف هذه الملاحظات توضيح الرابطة التي لا تنفصم عراها التي تربط فى هذه المسرحية بين مسألة الحرية ومسألة « اللطف » أو الايمان . وفيما عدا واحدا أو اثنين من النقاد ، لم يفطن أحد منهم الى تلك الصلـة ، ولا يستطيع المرء أن يرتكب خطأ أفدح من قوله : ان المشكلة الدينية تنضاف على نحو غير متوقع الى المشـــكلة القومية .

واللحظة الحاسمة فى المسرحية هى اللحظة التى يدفع فيها مارك ـ آندريه عمه (پسكال) على نحو ما ـ الى تحديد موقفه من الاقوال التى أعلنها والد دنيس مورى Denis Moreuil (صديق مارك ـ آندريه) حين قال « .... اننى لا أعلم اطلاقا ما يصنعه الحدث بى ، وربما جعل منى رخـوا أشل . أنا لا أبالغ فى الثقة بقواى ، ولكنى أومن بالله ، وأحسب أنه لن يتخلى عنى ، وأنه سيجنبنى السقوط التام ، وأنه اما أن يستردنى ، أو أن يمنحنى القوة لاحتمال التعذيب » . فهل يملك پسكال من نفسه ما يستطيع به ـ بكل اخلاص ـ أن يصدّق على تلك الأقوال ؟ .

فى رأيى أن الصمت الذى اعقب ذلك هو أشد اللحظات مأساوية فى هذه الدراما . ولأن پسكال أمين بعمق (وأنا لا أفوّت فرصة دون التذكير بذلك ، ومن الغريب أن هذه الأمانة لم يعترف بها الا القليلون ، والحقيقة أنها لم تحطّم فى أى عصر كما حطّمت أليوم) ـ فقد وجد نفسه مدفوعا الى هذه الاجابة : « كلا ... لا أستطيع ذلك بكل أمانة » . فماذا يعنى هذا بالضبط ؟ من الواضح أن هذا يعنى ما يلي : لست أملك الايمان الذى يسمح لى باليقين من أننى سأصان فى المستقبل ـ من أفظع أنواع الانكار ، أما « دينيس مورى » فقد رفض باسم هذا الايمان المنصب الذى عُرض عليه فى المكسيك . وهذا الايمان عينه هو الذى سمح له بأن يقرر البقاء فى مكانه ، دون أن ينطوى هذا القرار من جانبه على صَلَف لا مبرر له . وهكذا ألفى پسكال نفسه مسوقا الى قياس المسافة التى تفصله عن ذلك الزمن الصادق ، وأن يسأل نفسه عما اذا كان هذا القرار المشروع تماما فى حالة والد « دنيس مورى » ، لن يكون فى حالته هو سوى محض اعتداد بالنفس . وبالطبع ، هذا شيء لم يفصح عنه النص ، ولكنه موجود بين السطور ، واعترف بأنه يحتاج فى فهمه الى نوع من الانتباه شبيه بالحدس الذى يتجاوز ما يحق لنا أن نطلبه من المتفرج . ولكن يبدو أن المتفرج ، وان لم يقم بصياغة هذا المعنى على نحو متميز تماما ـ فانه يشعر بطريقة لا جدال فيها أن ضروب الدفاع الباطنة التي يتمتع بها پسكال أخذت تتساقط ـ فى هذا المشهد الرئيسى ـ الواحدة تلو الأخرى .

وهنا أورد بين قوسين فقرة طويلة ، وأشير الى الدراسة التى ألقيتها فى مؤتمر « حرية الثقافة » الذى عقد فى برلين فى الصيف الماضى، وهى دراسة يتضمنها الكتاب الذى ظهر هذه الأيام فى طبعة « كولمب » Colombe تحت عنـــوان : « البشر ضد الانسانى » Les Hommes contre I Humain .

قلت فى تلك الدراسة اننا نشهد اليوم موت « الرواقية » . والموقف الرواقى يتضمن فى الواقع تفرقة صاغها « ابكتيت » Épictete فى أقصى ما يمكن من الوضوح : الا وهو التفرقة بين الأشياء التى تعتمد علينا والاشياء التي لا تعتمد علينا . والرواقيون يضعون وجود الضمير الداخلي بوصفه وجوداً لاسبيل الى الشك فيه ، وفى هذا الضمير يجد الفرد ملاذاً لا تستطيع كل تدخلات السلطة أن تنتهكه . فلا قيام للرواقية دون الايمان بسيادة باطنة لا تمس ، وبدون إمتلاك مطلق للذات بواسطة الذات . غير أن وسائل الاذلال التى يمكن أن تعد من بينها عقاقير البوليس (الغاسلة للمخ) تتألف من وضع الفرد فى موقف يفقد فيه اتصاله بنفسه ، بحيث يصبح خارج نفسه ـ بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة ـ الى حد القدرة باخلاص على انكار أفعال وضع نفسه فيها كلية ، وعلى اتهام نفسه بافعال أخرى لم يرتكبها حقا ، ومن الاسهاب ، بل من العبث ، تعداد الحيل النفســية التي تسمح باختلاق ما يمكن أن نسميه بالاخلاص الزائف ، أو الاخلاص « المقتبرك » بيد أن الموقف الذى على كل منا أن يواجهه فى هذه الظروف ـ وانا أقول على كل منا ـ هو الموقف التالى : اذا لم نشأ أن نكذب على أنفسنا ، أو أن نرتكب الخطيئة فى صلافة لا مبرر لها ، علينا أن نسلم بوجود وسائل عينيــة تجعلنا نفقد تلك السيطرة على أنفسنا التى كان الرواقيون يعتقدون استحالة كسرها . فلنمتنع عن القول بأنه تبقى لنا على الاقل ـ امكانية الانتحار الرحيمة ـ فلم يعد هذا القول دقيقا ، اذ أصبح فى الامكان أن نوضع فى موقف لا نرغب فيه حتى فى قتل أنفسنا ، وحيث يظهر لنا الانتحار بوصفه ملاذا غير مشروع ، وحيث يصل بنا الأمر الى أن نتمنى بضرب من غريزة معاقبة ـ الذات ante - punitif العقاب الذى تستحقه أخطاء نسبها الى أنفسنا دون أن تكون قد اقترفناها .

واضفت في هذه الدراسة أن من واجبنا الاعتراف ، بوجه أعم كثيرا — بأن الفكر المادى يتبدى قادرا ، بفضل الوسائل الفنية التي يطورها ويصل بها الى الكمال — على انشاء عالم يتحقق اكثر فأكثر من صدق مسلماته — واقصد بهذا القول أن الكائن الانساني الذى كابد نمطاً معيناً من المعاملات يتحول شيئا فشيئا الى أن يكون مجرد شيء ، ولنقل « شيئا نفسيا » خاضعا لنظريات يضعها علم نفس مادى في جوهره ، قائم على الفعل المنعكس الشرطى Ie reflex csnd'onné ولكن فلنحاذر من أن يكون المقصود هو أن علم النفس المادى هذا — على ما فيه من ابتذال وتهافت وعجز عن تفسير الأنشطة العليا للروح — من شأنه أن يكشف لنا عن الواقع مأخوذاً في ذاته . كل ما ينبغي أن نراه حقا هو أن الانسان يعتمد الى حد كبير على الفكرة التي يصنعها لنفسه ، وأن هذه الفكرة لا يمكن أن يُحَطّ من شأنها ، دون أن تصبح بدورها عاملا للحط من شأن الانسان . وفي هذا القول نوع من الحجة الواخزة ضد الفكر المادى . وهذا الفكر يُمَثّل في وقتنا الحاضر تلاحما وعرامة لم كن مثلهما في القرن التاسع عشر — حين كان الناس يرون رجالا يعتقدون أنهم مشبعون بالمبادىء المادية ، ومع ذلك يظهرون في الحياة أمانة أشد ما تكون محاسبة لنفسها . غير أن أصحاب النزعة المادية في يومنا هذا يستطيعون أن يصيحوا كما صاح « سجاناريل » موليير قائلين : لقد غيرنا كل هذا ! وان يكن هذا التوكيد لا يحمل هنا ما يبعث على الاضحاك . وينبغي الاعتراف — على ما أعتقد — في وضوح مطلق بأن هذا الفكر المادى يفترض بلا شك وجود اختيار من الأصل ، بيد أن هذا الاختيار وليد حرية تنكر نفسها ، وتقرر ضد نفسها ، وليد فعل تتعاقب نتائجه فيما بعد وفقا لمنطق محتوم هو منطق الموت .

ولكن ، وهل تأخذنا هذه الافكار بعيدا عن « روما لم تعد في روما » ؟ اطلاقا . بل انها تتحسس — على العكس — ما يمكننا أن نسميها « الاغوار الميتافيزيقية » للمسرحية . وهي تحمل شرحاً قد يكون ضروريا للتصريح الخطير المشحون بالمعنى الذى أدلى به والد « دنيس مورى » ، ذلك التصريح الذى دفع بسكال الى تحديد موقفه ، لا من حيث واجبه في أن يختار فحسب — فنحن مقضيٌّ علينا بالاختيار

دائما ، وسارتر على حق فى هذه النقطة) ــ ولكن فى أن يختار الحرية ضد عقيدة تقتل الروح باسم الروح .

ومن وجهة النظر هذه نرى بوضوح أكبر لماذا لا يوجد خطأ أفدح من تفسير تحول پسكال الى الايمان بوصفه نوعا من الانحراف التعسفى لاتجاه المسرحية . فهذه المسرحية المعروضة فى لغة واضحة ترمى الى القاء ضوء على هذه الواقعة الجوهرية تماما وهى انه فى عالم لا أستطيع فيه أن أجيب عن نفسى بأمانة وعما يصنع الحدث منى، فانالملاذ الوحيد فىهذه الحالة يكون متعاليا transcndant ، ولكن ماذا تعنى هذه الكلمات بالضبط ؟ .

نحن نعلم الاستعمال الآخذ فى الخلط أكثر فأكثر لكلمة « العلو » فى كثير من المذاهب المعاصرة .

أما أنا فآخذها هنا بالمضون الوحيد الصحيح فى نظرى : وما أريد أن أقوله باختصار هو أن فرصتنا الوحيدة هى الاهبة ــ ولا أقول بسلطة ، وانما بالاحرى بمجال للروح هو أيضا مجال اللطف الالهى ، وأن نعلن قبل فوات الأوان أننا نرفض مقدما الأفعال أو الأقوال التى يمكن أن ينتزعها منا تكنيك أيا كان . فنحن نؤكد فى جدية تامة أننا عبر au dela هذه الأفعال وهذه الأقوال . الا يقال أننا نمنح أنفسنا بهذا نوعا من الرضا الأفلاطونى ؟ .

ولكن ، فلننتبه الى ما يعنيــه هذا التوكيد ، أو فلنجتهد بالأحــرى الى استخراج مضمونه . علينا أن نعلن أننا لا ننتمى كلية الى هذا العالم من الاشياء التى يسعون الى احالتنا اليها ، والتى يملكون القدرة فى الظاهر على استيعابنا فيها آخر الأمر . علينا أن ندرك اذن أن هذه الحياة الدنيا التى أصبح من الممكن بالوسائل الفنية الحديثة أن يُصْنَع منها صورة بغيضة بشعة لكل ما نضعه موضع الاجلال والتقدير ــ هذه الحياة ليست بعد كل شىء سوى قطاع تافه من تطور يجرى فيما وراء المرئى .

وهذا معناه أن فلسفات المحايثة (أو البطون) Limmanenee ــ وأنا على

وعى تام بخطورة هذا التقرير ــ قد ولىّ زمانها ، وأن علينا اليوم أن نفضح ما فيها من لا واقعية أساسية ،بل ما هو أخطر من ذلك ــ أعنى ما فيها من تواطؤ أخير ، هناك حيث لا تصل الى تجاوز انفسها ، مصحوبة بوثنيات يمكن أن نراها متساوية كوثنية الجنس ، ووثنية الطبقة . واضيف أنه حتى بعض الأديان الحقيقية فى مبدئها يمكن أن تنحدر الى للوثنية عندما تفسدها ارادة القوة ــ وهذا واأسفاه : ما يحدث فى كل مرة تتمتع فيها الكنيسة بسلطان زمنى .

وهنا يتحدَّد فى كثير من الدقة المعنى الوحيد الصحيح الذى يمكن أن نخلعه على كلمة علو ، وبالنسبة لنا ، نحن الغربيين ، نستطيع أن نجد فى المسيحية ، وفى المسيحية وحدها ، ذلك الملاذ والسند ، على شرط أن تظل تلك المسيحية مخلصة لروح الشمول التى هى مبدؤها نفسه .

ولقد تلقيتُ منذ يومين رسالةً طريفةً من رجل نبذ الشيوعية بعد ان كان يعتنقها بكل اخلاص ، ولكنه لم يهتد بعدُ الى الايمان الدينى ، وما زال يتمسك بايديولوجية معينة ، هى الايديولوجية الاشتراكية . وقال لى فى خطابه : « لكى يكون البرهان مقنعا ، لا بد أن ينطوى على اقناع فى وجه الزمانى ، وأن يكون له رأى سياسى . وليس لهذا البرهان شىء من ذلك . ومواجهة انسان ما بهذه المشكلة التى يمكن أن يستعد لها دون أن يكون متدينا ، وجعله يفشل ، ثم أن يكون التفسير المتقدَّم لنا أخيرا هو افتقار الانسان الذى لا يتمتع بالايمان الدينى الى الجذور ــ هذا كله يبدو لى أنه عرضٌ للمسألة على نحو غير ملائم ، ذلك أن پسكال يمكن أن يُعَد غير موجود من الناحية السياسية ، ومن ثمَّ فان حالته لا تثبت شيئا طالما تعلق الأمر بالمشكلة السياسية » ولكنى أجيب : ما معنى أن پسكال غير موجود من الناحية السياسية ؟ ان پسكال نفسه يعلن فى الفصل الرابع أن السياسة كانت دائما منفرّةً له ــ ويضيف أنه مدفوع الآن الى لوم نفسه على ذلك ، ولكن ما معنى هاتين القضيتين فى وضوح ؟ الأولى معناها أنه رجل لم يشعر قط بأية ثقة فى الأحزاب السياسية ، وانه رفض الانخراط فى حزب أيا كان . وهنا أضع فى بساطة هذا السؤال : ألا يحمل تاريخ الاحزاب فى فرنسا منذ التحرير الى نفور پسكال

ورفضه أقوى المبررات ؟ واذا كان الآن يلوم نفسه على هذا النفور وذاك الرفض فهذا معناه أنه حين يصل فى أمريكا الجنوبية الى الوعى الحاد بالبؤس المخيف الذى يفترس شطراً من الجنس البشرى ، يدرك أنه قد أغمض عينيه طويلا عن هذا البؤس ، وأنه قد عاش محصورا أشد الانحصار فى عالم لا أقول عنه انه عالم الكتب والأوراق فحسب ، بل عالم تتحكم فيه بلا شك الاهتمامات النقدية ، أو فلنقل — الاهتمامات الروحية الصرف . وحتى حين يتخيل لحظة — مدفوعا بالفزع من روح الرجعية التى يجسدها « الأب ريكاردو » واشباهه — أنه كان من الممكن أن يتعاطف فى سنة ٣٦ مع « الجبهة الشعبية » ،فمن الجلى أن هذا التصور وهم ، وأن الاسباب التى منعته عن ذلك التعاطف ما زالت محتفظة بكل قوتها ، ويمكن أن أقــول هذا القول بالنسبة لأى حزب وُلِد غداة التحرير . ويبدو لى أن هذا المراسل الذى أحْترم اخلاصه بل أوهامه — احتراما كبيرا — لا يريد أن ينظر فى وجه الحقيقة المأساوية التي تتجاوز الافلاس الشامل للاحزاب . وهذه الحقيقة أمر تفترضه مسرحيتى افتراضا مسبقًا . وهى تُسْهم فى تفسير نوع الاملاق التام الذى تصل اليه الشخصية الرئيسية والذى تستطيع منه الصعود الى الله : وهذه الكلمات ليست مرضية كل الرضا ، لأن هذا الصعود لا يمكن أن يكون ممكنا الا بفضل التنازل الذى يقف ازاءه بسكال فلنفترض لحظة اننى تخيلت جعله ينتسب منذ البداية الى تشكيل سياسى أيا كان ، وليكن ذلك التشكيل هو الحزب الاشتراكي ، ... من الجلى فى هذه الحالة أنه سيجد نفسه مضطرا الى الانفصال عن هذا التشكيل ، لأن استشفاف النفس لا يمكن الا أن يؤدى الى العزلة . ومن المحتمل أن يعترض معترض بأن مثل هذا التطور لا يمكن الا أن يكون — لحسن الحظ — استثنائيا ، وأنه لا وجود فيه لشيء يمكن أن يكون شبيها بحل نافع لهؤلاء أو لأولئك . وأنا فى الواقع أوافق على كل هذا . بيد أن مثل هذه الاعتراضات تنطوى على انكار مطلق للمسرح ، ولما اسميه بالمعرفة المأساوية : فهذه المعرفة ليست ، ولا ينبغى أن تكون ، على أية صلة بما تمليه الحياة العملية من توصيات ، علينا أن ننصت لها فى موقف معين . وبسكال لوميير شخصية مأساوية أساسا . فاذا لـم يدرك الكثيرون هذه الحقيقة فذلك لأنهم ينطلقون من هذه الفكرة الساذجة حقا ، وهى أن الناقد الأدبى

الذى كتب خمسمائة صفحة عن جوبير Joubert وتزوج وأنجب أطفالا ....
الخ ... لا يمثل نوع الكرامة المطلوبة . وأنا أعتقد ـ بلا مغالاة ـ أنه ينبغى للشخصية المأساوية أن تمثل بالنسبة لهذه النفوس الساذجة ـ جهازا معينا ، لم يكن له وجود فى هذه المسرحية . وأضيف أن الأمانة العميقة التى اتسمت بها تلك الشخصية لم تؤثر على هؤلاء السذَّج ، لاننا نعيش للاسف فى عصر لم يعد يقدر الامانة أو حتى يعترف بها ، وأقول عن الشجاعة ما قلته عن الأمانة لانهما لا ينفصلان.

ولكى تُقدَّر الشجاعة حق قدرها ، لا بد أن تكون بعيدة النظر . فلو كان پسكال من رجال المظلات مثلا ، ولكن ، كلا پسكال لا يمكن أن يكون من رجال المظلات، لأن شجاعته من نوع آخر ، وكرامته المأساوية تتجلى في مجال آخر ـ وبهذا نراه شخصا يتمكّن منه أعداؤه ، ولا تحرص زوجته على مراعاة شعوره ، وأنا أتخيل أن كثيراً من المتفرجين أو بالأحرى كثيرا من المتفرجات سيعتقدن أن تهكماته وسخرياته المرَوية موجهة اليهن . ولكن ينبغى على كل حال أن نتساءل ألا يقوم أصل هذا الفهم على ضرب من الحقد الجنسي المنحط ؟ وبالاضافة الى ذلك ، نحن نواجه هاهنا باعثا آخر دفع البعض الى الحكم على هذه الشخصية في كثير من الأحيان بأنها خليقة بالازدراء . فپسكال ليس عاشقا ، وليست له طبيعة العاشق . فهو لن يكون عاشقا لاستير ، واذا كان يحبها حب المودة والصداقة ، فانه ليس مغرما بها .

وقد أدهشنى فيلسوف من أصدقائي حين أعرب عن أسفه لأن نجاة پسكال لم تكن على يدى الحب،بيد ان ما أسمح به لنفسي بأن أدعوه بالرومانسية الرخيصة لا شأن له هنا ، فهذا الحل الذى يلجأ الى الحب لن يكون سوى حيلة بشعة ، هذا اذا نظرنا اليه من مستوى منطق عميق معين هو المنطق الوحيد الذى يمكن أن يضعه الكاتب المسرحى في اعتباره .فالمناقشة هنا على صعيد آخر ، والاجابة الوحيدة تكمن في مجال آخر . وربما لم يفطن البعض بما فيه الكفاية الى أن « استير » طبيعة اخلاقية بحتة ، وأنها تظل حبيسة بين المقولات الأخلاقية . وهذا هو السبب العميق الذى جعلها غير قادرة على نقل شيء الى ابنها رغم تفانيها الذى لا يكل . بل ـ على العكس ـ لعل هذه الاخلاقية التى كانت أسيرةً لها هى التى

أسهمت في دفع « مارك ـ اندريه » الى النزعة العدمية . وهذه العدمية تتبدى ـ بالتأكيد ـ أقل عمقا وميتافيزيقية مما يمكن أن نعتقد في الفصل الثاني . أو بتعبير أدق ، هذا العمق ـ الذي يتكشف لبسكال ـ لا يمكن أن نقول ان كان في «مارك ـ اندريه » . « فمارك آندريه » قابل للشفاء . ومن الممكن أن تشفيه البرازيل . لا لأن حواسه سوف تستيقظ ، كلا ، وانما لهذا السبب الأعمق وهو أن كارلوس واينيس وكل من هم على شاكلتهما ـ مخلوقات بلا مشكلة ، مخلوقات ترفض المشكلات وعالم المشكلات والروابط المتناقضة هو ما اراد« مارك ـ آندريه» أن يهرب منه. ولهذا فانه يسقط دونه حين يرتفع بسكال الى ما وراءه . وقد قلت يسقط : ولكن هل ثمة معنى في توجيه أي لوم الى سلوك « مارك ـ آندريه » ؟ لا أظن ذلك ، بكل اخلاص . فهنا عملية استرداد حيوية أشبه بالنوم . فهل يعد من ينام مذنبا ؟ وأضيف بين قوسين أنني مقتنع بأن كثيرا من انحرافات الشباب التي نشهدها اليوم يمكن تفسيرها بأنها حالة من حالات الارهاق والتوتر العصبي المفرط ، وأقول عامدا: انها ضرب من الأرق .

ولكن يبدو لي أن هذه الملاحظات تسمح بادراك الأهمية القصوى لما سميته بُعْد « مارك ـ آندريه » في « روما لم تعد روما » . فبدون هذا البعد تفقد المسرحية ذلك الطابع البوليفوني الذي احرص عليه قبل كل شيء. وهذا الطابع يُمَكِّن منها حتما أولئك الذين يريدون ـ بأي ثمن تفسير هذا على نحو دجماطيقي وأقولها مرة أخرى، ان هذا الطابع القطعي هو ما ارفضه رفضا باتا . وبهذا اعود الى الملاحظة العامة التي بدأت بها وهي : ان المرء يدخل في هذا الفكر وفي هذا العمل بمقدار ما يعرف كيف ينفصل عن كل انشغال سياسي أو أخلاقي ، مثلما يفعل المستمع الى رباعية أو الى سمفونية . والمفارقة ـ وهذا ما أعلمه جيدا ـ هي أن المادة السيمفونية هنا منسوجة من المشاعر ، بل من العواطف المتصلة بموقف تاريخي معين لا سابق له . بيد أن طموحي ـ ولعله طموح اخرق ـ كان يؤمن بأننا نستطيع مع كل هذا ورغم كل شيء ـ أن نؤلف عملا موسيقيا .

جبرييل مارسيل

مقدمة بقلم المترجم
لمسرحية المحراب المضيء

كتب « جبرييل مارسل » هذه المسرحية مرتين ، مرة تحت عنوان « الارض المحطمة » Le Sol Detruit ، ومرة أخرى تحت عنوانها الذى ننشرها بـه « المحراب المضيء » أو « مصباح النعش » . وكانت كتابتها في صورتها الأولى قبل مسرحية « رجل الله » ، وذلك في أواخر عام ١٩٢١ . بيد أن هذه الصورة الأولى كانت ناقصة ، وقد رأى « مارسل » أنه قد يكون من المفيد نشر هذه الصورة غير المكتملة في مجلد واحد مع الصورة النهائية التى قمنا بترجمتها في هذه المجموعة من الأعمال المختارة ، فقد تكون المقارنة بينهما كاشفة من وجهة النظر الدرامية لبعض الاهتمامات التى تتحكم في تطور العمل المسرحى أيا كان . أما الصورة النهائية فقد اكتملت عام ١٩٢٥ ، وعرضت على المسرح في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٥ .

ويعتقد جبرييل مارسل في ملاحظة له أوردها في المجلد الذى يضم المسرحيتين : الناقصة والمكتملة ، أن مسرحية « المحراب المضيء » تحتل مكانة خاصة فى مؤلفاته المسرحية ، فهو يعدها أكثر مسرحياته دلالة لان الاشارات الفلسفية « أقل » ظهورا فيها من مسرحياته الاخرى ، فهى تنتمى الى « المسرح البحت » أو « المسرح الخالص » ، أن كان من الممكن أن يكون لهذا المصطلح أى معنى .

ولما كان من غير المعقول أن نترجم فى مجموعة الأعمال المختارة نصين لمسرحية واحدة ، والا انتفت فكرة الاختيار ، فسنكتفى بالاشارة الى بعض الفروق بين النسختين . ومن المستحسن طبعا قبل ذكر هذه الفروق أن نورد ملخصا سريعا للنص النهائى للمسرحية .

وكما يعالج مارسل في مسرحية « رجل الله » رسالة رجل الدين حين تنحرف عن وضعها الصحيح ، يعالج في مسرحية « المحراب المضيء » حالة من حالات «الوفاء» المتطرفة التى تضل عن مقصدها . وصاحبة هذا الوفاء المتطرف المسرف هى السيدة « الين فورتييه » التى فقدت ابنها « ريمون » Raymond في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) . فمنذ أن فقدت السيدة « آلين » هذا الابن اصطبغت حياتها نهائيا بهذا الفقدان ، فهى لا تعيش الا على ذكرى هذا الابن ، وعلى الرغبة في أن يعيش كل من حولهالهذه الذكرى أيضا ، حتى ليخيل الى المرء انها تؤثر الموت على الحياة ، وأن الشيء الحقيقى الوحيد في الحياة هو الشقاء .

وكان لابنها قبل مصرعه خطيبة هى « ميرى برادول » Mireill Pnadol فتاة نقية الفطرة ، مستقيمة الطبع ، معتدة بحريتها وكرامتها ، تعيش فترة بعد وفاة خطيبها تحت سيطرة الأم الثكلى ، وفاء لخطيبها بالطبع ، حتى أنها لتدعوها «ماما».

بيد أن الحياة أقوى من الموت دائما ، اذ تلتقى « ميرى » بشاب قوى على كثيرمن الحيوية والتألق هو « روبير شانتاى » Rolert Chantevil فيظفر باعجابها، ولكنها تكتم هذا الاعجاب عن ام خطيبها ، على حين تضع الأم في طريقها شابا عليلا من أقربائها يدعى « اندريه فرديه » André Verdet . ونتبين بعد قليل أن هذا الشاب العليل يهيم غراما بميرى ، وحين تعلم هذه الأخيرة أن اقل صدمة يمكن أن تودى بحياته المعلقة بخيط واه حتى ترضخ لرغبة الأم في الزواج منه ، معتقدة أنها بهذا الزواج تكون على تواصل وثيق مع أم خطيبها المقتول، ومن ثم تظل وفية لذكرى « ريمون » .

وتتحقق رغبة الأم بهذا الزواج ، غير أن الحوادث تتخذ مجرى آخر يفسد تدبير الأم . ذلك أن « روبير شانتاى » يموت في حادث سيارة ، ويتناهى النبأ الى « ميرى » فيهز أعماقها هزا عنيفا ، ويلحظ الزوج « اندريه فرديه » الوقع الأليم لهذا النبأ على زوجته ، فيدرك بالطبع أن هذا الزواج قد تم على سبيل الشفقة ، بل يسأل « ميرى » ان كانت قد فعلت ذلك تحت الحاح « الين فورتييه » .

وتناضل « ميرى » للاحتفاظ بحياتها ضـد الآثار السيئة التى تركتها « آلين » على تلك الحياة . ويبدأ كل شيء من جديد ، وتستمر « الأم » الاخطبوطية في محاولة اضفاء الحداد على وجود الآخرين . « انها انسـانة لا تنمحى أبدا ... انسـانة تحول بينك وبين الوجود » . (المنظر السابع من الفصل الثالث) وفي ختام المسرحية حين تحاول « آلين » أن تتدخل من جديد في حياة « ميرى » و « آندريه » ، تخرج ميرى عن تحفظها ، وتقذف في وجهها بهذه الكلمات :

ميرى : (فيحدة مباغتة) ماما ، قولى لأنك تستطيعين من هنا احداث أكبر قـدر من التحطيم دخلت هذه الحجرة ! اتراك تخشين ان تبقى هنا اثارة من حياة ؟ كلا ، كلا ، لا تصطنعى عينى الضحية هاتين ... آه ! أنت مخيفة ، بعد أن حطمت قلبينا ، ها انت تأتين لارغامنا على أن نطلب الصفح منك ! »

(الفصل الثالث ـ المنظر الثامن)

ومع كل هذا ، فان « ميرى » تلتمس العذر لهذه « الأم » الضالة ، وترى أنها امرأة مسكينة ، أكثر من أن تكون مخلوقة شريرة . وتعتقد أنه دفعها اليأس الى الانتحار ، فان حياتهما الزوجية تصبح حينذاك مستحيلة . ولهذا فانها تهم في نهاية المسرحية بدعوتها الى مشاركتهما في تلك الحياة تحت سقف واحد ، وفي هذه اللحظة التى نمتلىء فيها اعجابا بميرى ، وبتضحيتها الكبرى ، ونبلهـا ومروءتها الشديدين ، نشعر في الوقت نفسه بكثير من القلق من عواقب هذا القرار الـذى يمليه الكرم وسخاء النفس ، ونحس كأن المأساة لم تنته ، وانما بدأت من جديد .

بقيت كلمة عن الفروق بين هذه الصورة النهائية التى عرضت بها مسرحية « المحراب المضيء » على المسرح ، وبين صورتها الاولى التى كتبها « مارسل » سنة ١٩٢١ ، ونشرها كما سبق أن ذكرنا ـ في مجلد واحد مع هذه الصورة النهائية .

في « الأرض المحطمة » ـ أى في النسخة الأولى من المسرحية ـ لم يكن والد الشاب الذى قتل في الحرب ضابطا ، بل هو من رجال الصناعة وشخصيته من

الشخصيات المتحذلقة ، وهو لا يهتم الا بصحته ، ومن الواضح أن المؤلف يدفعنا الى الا نأخذه مأخذ الجد . وعلى حين تتضح العلاقة المتساوية بين الوالدين : آلين (الأم) وأوكتاف (الاب) في النسخة النهائية ، نرى أن النص الاول يخلو تماما من ذلك الطابع المتساوى . لتلك العلاقة . كما أن ما يتضمنه الموضوع من منطق عميق لم يهتد اليه المؤلف تمام الاهتداء في «الارض المحطمة» ، ولهذا السبب يتضح التركيز على العنصر التهكمى الساخر الذى يمكن أن يكون مشحونا جدا نظرا لغياب ذلك المنطق العميق المشار اليه . أما في الصورة النهائية فان شخصية « ايفون » شقيقة ريمون ـ هى وحدها التى تحمل آثارا من ذلك العنصر التهكمى ، ولا يظهر زوجها في النص النهائى ، وانما يشار اليه فحسب ، على حين انه ظاهر بشخصه في « الارض المحطمة » .

ولا ينص المؤلف في النسخة الأولى على أن خطيبة الجندى المقتول يتيمة الأبوين، وهو يأسف لأنه حذف شخصية أم « ميرى » ـ وكان اسمها « مدام تورنير Tourneur من النسخة النهائية ، على الرغم من أنها كانت تنطوى على صدق عظيم ، وأن العلاقة بينها وبين ابنتها كانت ذات أهمية كبيرة . وقد اضطر « مارسل » الى حذف هذه الشخصية وما يترتب عليها من علاقات لأنه رأى أن بقاءها يضيف تعقيدا لا غناء فيه الى الخطة الرئيسية للمسرحية ، ووجد من الأفضل الا تملك الفتاة أى ملاذ عائلى ، وأن تكون تحت رحمة أم خطيبها تماما . وبالطبع كان المؤلف خاضعا في ذلك لضرب من الاقتصاد الدرامى ، كان مسيطرا بلا شك دون قصد منه ـ في تطوير المسرحية بحيث أدى بها الى الصورة النهائية .

ويعترف مارسل بأن الخط الدرامى كان مهزوزا بوجه عام في النص الأول ، وكان هو نفسه مترددا الى حد ما . وهذا التردد يظهر بوجه خاص في شخصية « أوكتاف » وكذلك في شخصية « لوى » التى احتل « شانتاى » مكانها في النسخة النهائية .

لكن ربما كان الأجدر بالملاحظة ذلك الانقلاب غير المتوقع تماما في الفصل

الثانى من « الارض المحطمة » ، اذ يعتقد مارسل أن القيمة الدرامية الباطنة في هذا الانقلاب شيء لا سبيل الى انكاره ، ولكنه يقضي قضاء مبرما على المسرحية نتيجة للطريقة التى يعمل بها على تغيير العلاقة بين « آلين » و « ميرى » ، وذلك بايقاظه لشعور مرير بالغيرة في نفس الفتاة نحو أم خطيبها . والواقع أن هذا التغيير يؤدى بالمسرحية الى طريق مسدود ، لم يكن « مارسل » يجد منه منفذا يستطيع معه الاستمرار في كتابة المسرحية .

ومن هذه النقطة كان عليه أن يعود على أعقابه ، وأن يفكر من جديد في كل معطيات المسرحية ، وأن يتدبر امكانية قيام حركة درامية متسقة فيها ، وكان عليه أن يعمّق الصلات الجوهرية بين الشخصيات ، وأن يجعلها أكثر حدة وشدة ، وهكذا استهدفت كل التغيرات والتحولات التي أدخلها على النسخة الأولى هذا الابراز ، وهذا التوكيد للعلاقات بكل ما ينطوى عليه من تبسيط وتدعيم في آن واحد .

ويرى « مارسل» أننا لو تأملنا طويلا فى هذه التغييرات لوجدناها تصويرا مفيدا لنمط خاص من المنطق (لا من « الديالكتيك » وهى كلمة لا يراها مناسبة في هذا المكان) يتدخل عند المؤلف الدرامى ، وذلك حين لا يضع هذا المؤلف في حسابه اية اعتبارات أخرى غريبة على رسالته الحقيقية ، وهى أن ينفخ الحياة في أشخاص عليه تصوير طبيعتها الخاصة والقاء الضوء عليها ، وتوضيح العلاقات الظاهرة أو الخفية التى يمكن أن تقوم بينها — في آن واحد .

ومن هذا المنظور ينبغى النظر الى أعمال جبرييل مارسل المسرحية ، تلك الاعمال التى لم يُنظَر اليهـا حتى الآن الا في علاقتهـا بفكره الفلسفى ، على حين أن هذه الأعمال المسرحية هى التى حرّكت ذلك الفكر الفلسفى ، وكانت تجسيدا له في وقت معا .

المحراب المضيء
أو
مصباح النعش

مسرحية من ثلاثة فصول

تأليف : جبرييل مارسل

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

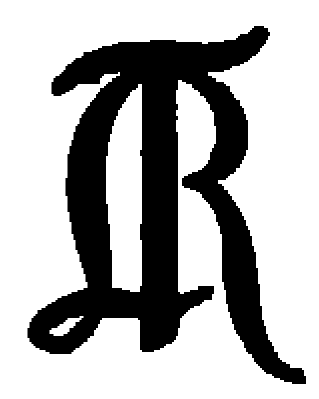
مراجعة : محمد اسماعيل محمد

العنوان الاصلي للمسرحية

GABRIEL MARCEL

LA CHAPELLE ARDENTE

Pièce en trois actes



LA TABLE RONDE
8 RUE GARANCIÈRE, 6e
PARIS

عرضت هذه المسرحية لاول مرة في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٥ على مسرح « فييه كولومبييه » "Vieux-Colombier" ومثلتها فرقة « مسرح المؤلفين الشبان » Jeunes Auteurs Théatre des واخرجها جاستون باتى Gaston Baty

شخصيات المسرحية

اوكتاف فورتييه	Actove Fartier
آندريه فرديه	André Verdet
آلين فورتييه	Alne Fortier
ميريى برادول	Mireille Pradol
مدام فرديه	Miadame Verdet
لويـز	Youise
ايفون كامبران	Lonne Cambrin
آنـا	Avna
جاك الصغير	Ln Petit Jacques

الفصل الأول

تجرى أحداث المسرحية في عام ١٩٢٠ .

حجرة جلوس رحبة ، في الريف . أبواب على اليمين وعلى اليسار . في مؤخرة المسرح باب كبير من الزجاج يؤدى إلى الحديقة الـتى نلمحهـا .

المنظر الاول

آلـين ، ثم لويـز

آلـين ترسل البصر إلى الحديقة وقد أسندت وجهها إلى راحتها ، ثم تسير إلى الجرس بالقرب من المدفأة ، وتضغط على الزر . تمر فترة من الوقت .

لـويز : (داخلة) هل ضربت الجرس يا سيدتى ؟

آلـين : (مشيرة إلى الحديقة) ماتلك اللعب التى أراها هناك؟

لـويز : (مُحْرَجَة) لاينبغى أن توبخنى سيدتى .فمدام ـ كامبران هى التى طلبت منى أن أصعد معهـا إلى « الصندرة » للبحث في أشياء مسيو ريمون (حركة

من آلين) عما إذا كان فيها بعض اللّعب لجاكو .

آلــين : وهل استأذنت منى ؟ .

لــويز : كنت أنا أريد ذلك ، غير أن مدام كامبران قالت لى إن المسألة لاتستحق العناء . وحين أتلقى أمرا . .

آلــين : لايُعْطى الأوامر هنا أحد سواى ، يالويز .

لــويز : اعتقدت أن سيدتى ستوافق . . . وكان ذلك لابنها الصغير . . .

آلــين : يَحْسُن بك أن تعيدى هذا الصندوق حيث أخذته .

لــويز : عندما ترى مدام كامبران ذلك . . . لن يجد جاكو فيما يبدو ما يتسلى به .

آلــين : ولماذا لم تأخذ ابنتى ماكان ينبغى أن تأخذه ؟

لــويز : كان يبدو حينذاك أن هناك فائضا . . .

آلــين : سيذهب فيكتور حالا إلى المدينة ، وليس عليه إلا أن يشترى ما هو ضرورى .

المنظر الثاني

نفس الأشــخاص ، ميريى

(التى تدخل بملابس التنس ، وقد أمسكت مضربها بيدهــا)

آلين : هكذا عدت سريعا ، ياعزيزتى ؟

ميريى : في هذه الساعة ، يبدأ ملعب التنس داخلا في عز الشمس .

لويز : أتريد الآنسة أن أعدّ لها ثوبا آخر ؟

ميريى : كلا ، أشكرك ، يالويز ، سأبقى كما أنا .

آلين : إذن ، ستفعلين ماقلته لك أليس كذلك ؟

(تخرج لويز)

ميريى : (ذاهبة إلى آلين ، في حنان) لم أكد أقول لك صباح الخير . . . ياماما . .

آلين : ماما . . . أأنت متأكدة ؟ . . . هل ترويّت مليّا ؟

ميريى : أجل ، دعيني أناديك : ماما .

آلين : لست أدرى إنى أتساءل . . .

ميريى : لواستطعت أن أكون زوجته ، لوجدت هذا طبيعيا جدا .

آلين : ربما .

ميريى : يبدو لى الآن ، بعد أن لم يعد موجودا ، أننا أقرب إلى بعضنا ، الواحدة من الأخرى .

الـين : واصغيراه ! (تتعانقان) وعلى كل حال . . ينبغي ألا تناديني على هذا النحو لارضائى . . . وانما في حالة ما إذا أتاك ذلك تلقائيا . . . أليس كذلك ؟ ربما أحس والداك بشيء من الحزن ، لو استطاعا أن يتنبآ بذلك !

ميريي : مادمت لم أعرفهما . . . كلا ، كلا ، أنت ماما حقا بالنسبة لى .

(صمت)

آلـين : من كان يلعب التنس ؟

ميريي : كالعادة ، هنربيبت ، جان ، واخوانهما . . . و كان روبير شانتاى هناك أيضا .

آلـين : إنه يأتى الآن في جميع الأيام تقريبا ؟

ميريي : أجـل . . .

آلـين : ودائما بغيض أيضا ؟ (حركة غامضة من ميريي) أنا ، لا أعرف عنه الا ما أخبرتني به .

ميريي : قد يكون من الحق أنه ليس جذابا جدا . . . ولكنه يجيد اللعب على كل حال .

آلـين : آه ؟

ميري : ولكن حين نصل ، فان له طريقة في النظر إليك من أخمص قدميك إلى رأسك . . .

آلين : ليس هذا صنيع الرجل المهذب .

ميري : (مترددة) لا يمكن أن يقال عنه إنه سيء التربية . . .

آلين : ومع ذلك،فإن تلك النكتة التى أطلقها عن جان موريل ذلك اليوم ، بدت لى قليلة الذوق إلى حد بعيد !

ميري : يا لذاكرتك ! فأنا لا أذكر حتى أننى قصصتهاعليك. ولكن ، من الممكن أن تكونى على صواب.وبالاضافة إلى هذا ، إن له أسلوبا في التهكم على خالة موريل العجوز ، تلك الخالة الصماء . . .

آلين : الواقع . . .

ميري : أوه ! وفضلا عن ذلك ، فإنه شديد الإعجاب بنفسه. فاجأته وهو بسبيله إلى النظر إلى وجهه في مرآة للجيب. والحق أن هيئته أفضل من شخصيته ، ولكن ، حتى ولو . . ألم تريه قط ؟

آلين : كلا ، لا أظن . . .

ميري : انه من ذلك الطراز الذى لايعجب كل الناس . شعر فاحم السواد ، وعينان في زرقة صافية . وهذا شيء

في الغرابة .(صمت. تحت ضغط هذا الصمت. . .)
وربما كانت نظرته على شيء من القسوة .

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ، إيفون

إيفون : صباح الخير ، يا ماما ، صباح الخير ، ياميريي ، كيف حالك ؟ (إلى أمها .) أتعرفين – مصادفة – أين وضعوا اللعب التى طلبت انزالها من « الصندرة » من أجل جاكو ؟

آلين : أجل ، وقد أخبرت لويز من توى أن تحملها إلى هناك حيث كانت .

إيفون : ما السبب ! لماذا ؟في الواقع هذا شيء لا معنى له ،أصبح الصغير شديد التذمر في هذه الايام الأخيرة ، لم نعد نعرف كيف نلهيه .

آلين : سيشترى فيكتور كل ماتريدين من « فيلنوف » ، حيث ذهب منذ لحظة .

إيفون : ولماذا يشترى ، مادام كل ما ينبغي موجودا هنا ؟

آلين : إنه سيتقاضى الحساب منى أنا .

إيـفون : المسألة ليست مسألة الثمن ،ولكننى لاأرى من الحكمة عدم الانتفاع بما نملك : أتوثرين أن تتآكل هـذه اللّعب بفعل الرطوبة في « الصندرة » دون ان تفيد بشيء ؟

آلـين : أنوى بالفعل التوصية بعمل قطعة من الأثاث حيث احفظها مرتبة .

إيـفون : ترتيبها ! انى واثقة تمام الثقة أن ميريى تشاطرنى رأيى (حركة نفى من ميريى .) إن لك طريقةً في فهمك لاحترام الماضى ! . . .

آلـين : (بصوت متغير) أرجوك .

إيفـون : أنت لاتدينين بدين الماضى ، وإنما بخرافته .

مـيريى : إيفون !

آلـين : لن اجيب عليك بغير كلمة واحدة : حين يكـون المرء قادرا على الذهاب إلى حفل راقص بعد ثلاثة أشهر من موت أخيه ، فانه لايصبح كفوا لأن . .

إيفـون : هذا الحفل الراقص مرة أخرى ! دائما هذا الحفل الراقص ! آه ! كم عدد المرات التى استخدمته من أجلى ! وحين أفكر . . .

آلـــين : كفى ، من فضلك . فلاجدوى من الالحاح .

إيفـــون : هذا أدعى للارتياح .

مـــيريى : إنك تسيئين إلى والدتك ، ياإيفون ... (حركة من آلين) وأنا ، إنك تجرحينى أنا أيضا .

إيفـــون : أجرحك ؟

مـــيريى : (وعيناها مسددتان على آلين) ينبغى احترام مثل هذه المشاعر ، ياإيفون !

إيفـــون : العقل السليم لايتفقد أبدا حقوقه . ، ولو كان ـ زوجى هنا ..

آلـــين : أجل ، هذه عبارة من عبارات زوجك ، فى الواقع

إيفـــون : أما أنا ، فأرى من هنا أننا لن نوفق فى الحياة فى هذا البيت ، لو لم يكن بسبب أبى ...

(تخرج)

المنظر الرابع

الـــين ، مـــيريى

آلـــين : (فى امرارة) إليـــك !

مـــيريى : هذا مؤلم أشد الألم ... ألا تعتقدين ، مع هذا ،

أنه كان من الأفضل .. رأيت ، أنني أيّدتُك ..

آلـــين : حتّى لو كان ذلك لمجرد الشكل !

مـــيرى : كلا ، غير أن هذه اللعب ، كان من المؤكد أن يعطيها ريمون لابن أخته .

آلـــين : ريمون لم يعد هنا .

مـــيريى : هذه اللعب ، ليست . . .

آلـــين : بلى . . . ليس في وسعك أن تفهمى .

مـــيريى : إنها بالنسبة لى أنا أيضا ، ليست بالطبع سوى . . . أطـــلال .

آلـــين : كلا ، أنت،إنه لم يكن لك عندما كان صغيرا جدا وانت لاترينه مثلما أراه ، أنا .. حين كانوا — يحملونه إلى مهده ، وحين كان يلعب في الحديقة ، وحين كان يمنحهم ، وحين كان يعطيهم . . . كان يحب العطاء حبا جما .

مـــيريى : (بصوت خافت) بالضبط ، إذن . . .

آلـــين : كيف ؟

مـــيريى : لاشيء .

آلـــين : أما إيفون . . فكانت تريد أن تنهب كل شيء،ما من

كلمة أخرى غيرها . حتى كتب أخيها المدرسية التى كان الصغير في حاجة إليها . آه ! وكأنها تقرأ الغيب !

ميريى : لعل ذلك لتكون لها . . . ذكريات عن أخيها .

آلين : إنها لم تحبه قط . أوه ! أجل ، كانت تناديه بأخى الصغير العزيز . . . تلك الكلمات التى لاتُلْزِم بشىء. ولكن ، ماذا فعلتْ من أجله ؟ كلا ، كلا ، ينبغى أن نقولها : هنا ، لم يكن سوانا نحن الاثنتين . . .

ميريى : ولكن حماى . . .

آلين : أوه ! ومع ذلك . . . (تطوف عيناها في شرود بالمائدة .) إليك ، الواقع أننى كدت أنسى أن أريك هذا الذى وضعته جانبا من أجلك .

(تناولها مظروفا)

ميريى : ما هذا ؟ (تفض المظروف) أوه ! ولكن ، كيف لم تطلعينى عليها قبل ذلك بوقت طويل ؟ « باراميه ، ١٩٠٢ » إنه هو ، ذلك ، الواقف هناك ، على ساقين عاريتين ؟ كم كان أكبر من سنه ! وهناك فوق . . . إلام كان يشير باصبعه ؟

آلين : (تميل عليها) أرنى .

. . (يدخل أوكتاف في هذه اللحظة)

ميري : تعال أنظر ، يا أبي !

آلين : (تستعيد الصور الفوتوغرافية في حركة توشك أن تكون عنيفة) ، كلا ، اعطنيها .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، أوكتاف

أوكتاف : ما هذا ؟

آلين : لا أهمية على الاطلاق .

أوكتاف : جئت استنجد بذاكرتك : ألا تذكرين — على سبيل المصادفة — ماذا صار إليه ملازم كلوني ؟ كان ينبغي أن ينقل إلى الكتيبة رقم ١٥٤ في ١٨ فبراير ، ولكن ماحدث منذ ذلك الحين ؟ يبدو لى أننا علمنا . . .

آلين : ليست لدى أية فكرة عن هذا الموضوع .

أوكتاف : يجب أن أكتب إلى الأمانات . (إلى ميري) هذا من أجل كتابي ، تعرفين ، إني أتحدث عن ملازم كلوني بمناسبة خندق فرانكفورت .

ميري : أهكذا تقدمت فعلا ؟

آلـين : (التي انهمكت في قراءة كتاب) إنه يعمل كثيرا .

أوكتـاف : يجب أن ينتهى كل شيء على بداية السنة الجديدة .

ميريي : لمـاذا ؟

أوكتـاف : هذا حدٌ فرضته على نفسى ، ينبغى دائما أن يضع المرء لنفسه حداً .

ميريي : لابد أن هذا يمثل عملا هائلا .

أوكتـاف : إن الشطر الأعظم منه هو المراسلة مع العائلات .

ميريي : لو أردت أن تعطيني بعض هذه الخطابات لكتابتها... (تسدد آلين بصرها عليها) ماذا هناك ، يا أماه ؟

آلـين : لاشيء، إنى مندهشة .

أوكتـاف : هؤلاء الناس الذين ينبغى ملاحقتهم ثلاث . . أربع مرات ، قبل أن نحصل منهم على ردّ . . أوه ! ولكننى أملك المثابرة . . كل أولئك الأشخاص المساكين الذين كانوا في كتيبة ٤٢٧، إنهم أبنائى الى حدٍّ مـا ، وينبغي أن أعرف ما صاروا إليه جميعا طالما بقوا على قيد الحياة . أولا ، كتيبة على هذا النحو ، تحّيلى ، في ثلاث سنوات ، لاوصمة ، لا ضعف . . . ولـو لم تُحَلّ غداة وقوع الأعمال العدوانية ، لما قدمـت استقالتي .

ميريي : أصحيح هذا ؟

أوكتاف : بالتأكيد !

آلين : يبدو أنهم أحضروا إليك ربطة من ما زيريه .

أوكتاف : (في حيوية) من صاحب المطبعة ، أين هي ؟

آلين : (تشير إلى اليمين) أعتقد أنهم وضعوها هناك ، على جنب .

أوكتاف : (خارجا) لماذا لم تخبريني بذلك على الفور !

(يخرج)

آلين : يا عزيزتي ، إذا أردت ألا تسببي لي ألما عميقا ، فلا تجددي اقتراحك .

ميريي : أي اقتراح ؟

آلين : عن موضوع الخطابات التي تطوعتِ بكتابتها .

ميريي : اسمعي — يا ماما — لو كان في ذلك خدمة له . .

آلين : (في شيء من القسوة) أولا ، هذه المكاتبات تشغله.

ميريي : ومع ذلك . . . .

آلين : (ذاهبة إليها) — ثم ، إن مجرد فكرة هذا الكتاب ترعبني .

ميريى : ولكن ...

آلين : وكنت أعتقد أنك تشاطريننى شعورى ، نحن على اتفاق ، بوجه عام ... قلعة المادلين ، وخندق فرانكفورت (تنتحب) العلامة رقم ١٣٦ ، ياميريى ، العلامة رقم ١٣٦ .. انه يريد أن يخلّد ذكرى تلك المذابح ، تلك المجازر .. وتساعدينه على ذلك ؟ ... كلا ، يا صغيرتى ، لن تفعلى ذلك !

ميريى : (مذهولة) سأفكر مليًّا ، أنا ...

آلين : (تثوب إلى هدوئها) في هذه الحالة ، يهدأ بالى .

أوكتاف : (يدخل ممسكا بمجلدين في يده . بصوت قليل الثقة) انظرى .. إنه ليس الاخراج الذى كنت أتمناه تماما ، ولكنهم لايصنعون مايريده المرء . على كل حال ، انبئانى برأيكما فيهما .

(يمد يده في ارتباك بأحد المجلدين إلى ميريى ، وبالآخر إلى آلين)

ميريى : (بعد أن تأمّلته) اوه ! كم هو جيد! كم هو ممتا.... (تلتفت في هذه اللحظة إلى آلين التى تصلبت في نوع من اليأس المتشنج ، فتنقطع عن الكلام .)

أوكتـاف : انظرى ، هنا أولا صورته الفوتوغرافية ، صورته عند دوبان ، وفي الصورة الأخرى تبدو هيئته كطفـل . وهناك ، نصوص الاستشهادات ، نصوصى أولا ، حين أوردها بترتيب كتيبى ، ثم بترتيب فردان. . . ثم الأخيرة . وهناك أيضا رسائله ، تلك التى كتبهاإلىّ (نشعر أن وجود زوجته يربكه . يرغم نفسه عـلى الكلام ، غير أن صوته يخفت شيئا فشيئا .) هناك منها خمسٌ وستون ، على ما أعتقد — كلا ، اربع وستون . . . فليكن ، ماعلينا ، سترين . . . الكلماتالصغيرة لم أُعِـد طبعها . . . فلا أهمية لها . . . ولن يعرضهذا الكتيب للبيع . . .

مـيريى : أجل . . . بالطبع . .

أوكتـاف : أنه من أجل الاصدقاء فحسب . . من أجل اولئـك الذين عرفوه . . وأنت ، ياآلين ، ما رأيك في هذا الموضوع ؟

آلـين : لاشيء ، لاشيء على الاطلاق .

أوكتـاف : كيف ، لاشيء ؟

آلـين : (متمالكة لنفسها) الورق جيد . . . وحروفالمطبعة مقروءة . . جدا .

أوكتـــاف : هذا واضح ! لم يبق إلا أن تكون تلك الحروف غير مقروءة !

آلـــين : إنها حسنة تماما .

أوكتـــاف : اذن ، فانت .. مسرورة ؟

(لا تجيب عليه ، وتظل خلال بقية المنظر وكأنها مستغرقة في تأمل حزين)

مـــيريى : (لكى تقول أى شيء فحسب .) ما كان أقل توقعنا لشيء كهذا ! أن نرى هذه الخطابات منشورة !

أوكتـــاف : اى نعم .

مـــيريى : (بصوت خفيض) فكرة حسنة جدا .

أوكـــتاف : (مرهفا سمعه) كيف ؟ (ميريى لا تجيب) اعطني نسختك لكي أبعث بها إلى التجليد .

مـــيريى : شكرا .

أوكـــتاف : (بصوت هامس ، مشيرا الى آلين) المسألة في غاية الصعوبة ، يظن المرء أنه يبعث السرور إلى نفسها ثم ...

مـــيريى : (بصوت هامس) ليست لك نفس الطريقة في معاناة الشقاء .

المنظر السادس

نفس الاشخاص ، إيفــون

ايفــون : سنذهب للجلوس تحت شجرة الأرز مع « النونو » ، والطفل الصغير ، فـاذا أراد احـد أن يـأتى إلينا ... أنت يا بابا ، ألم تقل حتى صبـاح الخير لحفيـدك ؟

أوكـتاف : ما هذا ؟ لقد « هشكته »فوق ركبتى طيلة ربع ساعة !

إيفــون : وأنت ، يامبريى ؟ أتعلمين أنه يطلبـك !

آلـين : اذهبي ياعزيزتى ، فستعودين لاصطحابى بعد لحظات إلى الأم نويل ، فقد وعدتها أن أحضر لها سلة من الكرز . وسيسرها أن تراك ، تلك المرأة المسكينة .

أوكـتاف : أخبريها بأننى كتبت للمرة الثانية عن موضوع المدالية العسكرية لابنها .

آلـين : آه ! حقا ؟

مـيريى : سنقول لها ذلك .

إيفــون : (توجه الكلام أثناء خروجها إلى ميريى) لقد قُتِل نويل الصغير ، اليس كذلك ؟ .. وفضلا عن ذلك ، لكى تذهب ماما إلى هناك ...

(تخرج مع ميريى من الباب الزجاجى .)

المنظر السابع

أوكتاف ، آلـــين

(صمت . آلين تتصفح الكتيب ، بيدين مرتجفتين . أوكتاف ينظر إليهـا بنوع من اليأس . وفجأة ، تهب آلين واقفة)

آلـــين : ماذا يعنى هذا ؟

أوكـــتاف : (مقتربا) ماذا ؟

آلـــين : تلك المحادثة التى يلمّح فيها الى ... إنك لم تقرأ لى قط هذا الخطاب .

أوكـــتاف : أرنى ... (تناوله آلين الكتيّب ، وتسدد إليه بصرها .) آه ! أجل ...

(في شيء من الارتباك .) عم تسألينى ، بالضبط ؟

آلـــين : لماذا يقول : « سأندم دائما على أننى لم أتبع نصيحتك . » أية نصيحة ؟

أوكـــتاف : لكن . .

آلـــين : « أشكرك على أنك هديتنى إلى الطريق . » والتاريخ

. . .(بحدة) لقد أشرت عليه بالتطوع قبل موعد استدعائه للجنديه !

أوكتاف : تذكّرى حالته النفسية : كان متّرددا ، معذباً ، وكان ذلك عندما أذنت له في ١٦ ديسمبر . أقبل عليّ ذات مساء قائلا — في هذا المكان بالضبط — بابا ، ماذا تفعل ، لو كنت مكانى ؟ »

آلـــين : إذن ، فقد كانت كلمة منك تكفى لاستبقائه ؟

أوكتاف : آلين !

آلـــين : كنت تُمسْك حياته بين يديك في تلك اللحظة ؟

أوكتاف : طلب منى أن أحدّثَه بصراحة ، حديث رجل لرجل

آلـــين : رجل لرجل ! انظر إليه . .

(تشير إلى صورة ريمون الفوتوغرافية الموضوعة على المائدة)

أوكتاف : لم يكن من حقى أن أخيب أمله .

آلـــين : لقد اسأت استغلال مكانتك ، وضعفه ، والخوف من أن يسقط في نظرك . . . .

أوكتاف : أفْهمْته أنه حر تمام الحريـــة .

آلـــين : ياله من نفاق !

أوكتاف : اقسم لك انني لم أمارس أقلّ ضغط عليه .

آلـين : كانت الحرب تفزعه ، ولم يكن من الصعب أن تحصل منه على وعد بألايشترك فيها .

أوكتاف : وأنت لم تنجحى في هذا .

آلـين : بسبب خطئك . . أوه ! ثم أنني لم أكن أجد نفسى في تلك اللحظة — وكأنما كنت أعيش في كابوس — (صمت) كان يعتمد عليك في أن تثنى عزمه عن الرحيل .

أوكتاف : إنك تدنسين ذكراه ، إنك تجعلين منه جبانا .

آلـين : طفل مسكين كان يرى رؤية صافية .

أوكتاف : ألم تقولى إن الحرب كانت تفزعه ؟ ومن ذا الذى أحب الحرب ؟

آلـين : أنت . . . ألم تقل ذلك اليوم للدكتور موريل « أجمل سنوات عمرنا . . . . »

أوكتاف : لاعلاقة اطلاقا بين هذا وذاك . لم تكن الحرب هى الجميلة ، وإنما الخطر ، الصداقة في الخطر . — لاتستطيع المرأة أن تفهم .

آلـين : وهذا خير لها ! ثم ، أكان من الممكن أن تكتب مذكراتك لو لم تحب الحرب ؟

أوكتاف : إنها ليست مذكراتي . وانما هي حوليات كتيبتي ، وهذا على سبيل الوفاء .

آلـين : أما الآخرون ، فانني أرى جيدا ماهم عليه ، انهم لايتحدثون عنها ابدا ، وكأنهم يخجلون منها . . . . أما أنت . . فانك لاتستطيع حتى أن تترك الاموات في سـلام .

أوكتاف : من واجبي أن اخلد ذكرى صمودهم ، وبطولتهم ، و . . .

آلـين : كلمات. وبسبب هذه الكلمات يعود كل شيء ليبدأ من جديد . . . إلى ان يفنى آخر انسان ولايبقى احد .

أوكتاف : كلمات ؟ أنتِ تنكرين ابنك .

آلـين : أما أنت ، فقد . . .

(تتوقف عن الكلام)

أوكتاف : انطقيها .

آلـين : كلا .

أوكتاف : هيا ، أعرف ما تفكرين فيه .

آلــين : آه !

أوكتاف : أهي غلطتي لأنه لم يَعُد .. أأتتهمينني بأنني لم أسهر عليه سهرا كافيا . .آه ! لماذا ذهب إلى — الكتيبة رقم ٤٢٧ ؟

آلــين : كأنك لم تجتذبــه إليها !

أوكتــاف : لقد طَلَب مني أن أقْبَلَه فيها ، وهو الذى اختــار المجيء إليها .

آلــين : انه لم يختر شيئا ، لقد ترك نفسه ليصنعوا به مايشاؤن ، ولم يدافع عن نفسه . . . وهذا أشبه باليوم الذى . . . (نشعر أن الشهقات المتصلة تهزها هزا) ان الرقم ١٣٦ . .

أوكتــاف : تلك المهمة ، لقد تضرع حتى يعهدوا بها إليه .

آلــين : لم يكن يستطيع أن يفعل خلاف ذلك . . . هذه مسألة متشابكة . . . كلا ، كلا يا أوكتاف ، أعــرف ماتريد أن تقول ، ولكن لا أريد . . أتسمعني . . لا أريد . .

أوكتــاف : (وقد علاه شحوب شديد) اذن ، فأنا ، لم أحبه ؟

آلــين : أقل من مكانتك .

أوكتــاف : وأنا لم أتعذب ؟

آلـــين : عذاب رجل ، مجرد شارة . . . يمكن أن توضـــع في عروة السترة .. أوه ! لاتنكر ذلك . اطلعت على بعض الخطابات التي كتبتها . . . بعد ذلك . . وكلمة فخر تتكرر في كل سطر : « إنني فخور . . . نحن فخورون لأننا وهبنا فرنسا . . . »

أوكتـــاف : (بقوة) هذه هي الحقيقـــة .

آلـــين : أجل ، حسن ، وهذا دليل على أنني محقة . وحـــين يتعذب المرء كما تعذبتُ ، أنا . . . لا يشعر بمثل هذه المشاعر الجميلة ، ولا يبقى له ما يمكن أن يعطيه ، شنيع هو العذاب ، ولايمكن أن يوضع في أبيات من الشعر المقفى الموزون .

أوكتـــاف : كيف ؟

آلـــين : عثرت على مسودة مبعثرة ، وقاموسك للقوافي التي لم ترتبها .

أوكتـــاف : (بصوت يهتز بالانفعال) أصغي إلي يا آلين ، لست ممثلا ، انى يائس أنا أيضـــا ، ولا أســـمح لك ، أتسمعينني . . وإذا خطرت لى فكرة نظم بعض الأشعار التي أريدها أن تحفر على قبره . . .

آلـــين : (بصوت مكتوم) كلا ، كلا .

أوكتـــاف : واذا كنا قد أحضرنا ابننا إلى هذا المكان ، فذلك لكى نمجد ذكراه التى أعتبرها مقدسة ، على حين تُصرين أنت على تحقيرها . وإذا كان يرانا ، أنت وأنا، وإنى لعلى يقين من ذلك . . .

آلـــين : اســكت .

أوكتـــاف : تستطيعين أن تقولى لنفسك . . تستطيعين أن تقـــولى لنفسك . . (يقرع آندريه الباب الزجاجى في هـــذه اللحظة .) ايه ! ولكن، هذا آندريه . . ادخـــل ، يا صغيرى .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ، آندريه

آنـــدريه : صباح الخير ياعمى أوكتاف، صباح الخير يا خالتى.

أوكتـــاف : كنت أنوى المرور على « القومسيون » للحصول على أنباء عن الاستشارة الطبية .

آلـــين : هذا صحيح ، كان ذلك أمس .

آنـــدريه : يبدو أنه مرض عصبى ، بكل تأكيد .

أوكتـــاف : وماذا عن تلك الاختناقات ؟

آنـــدريه : لا خطـــورة منها .

آلـــين : والقلب ؟

آنـــدريه : يكاد يكون طبيعيا . ولكنه أعطانى مع ذلك شيئا مـــن الديجيتال .

أوكتـــاف : مع ذلك . .

آنـــدريه : هذا من قبيل زيادة الحرص . وهـــو يعزو ذلك إلى الارهاق الذى عانيته في العام الماضى . ومجمل القول ، لم يبق إلا انتظار ما سوف يحدث .

أوكتـــاف : رائع ، هذا شيء عظيم . . ولا بد أن والدتك مسرورة جـــدا .

آنـــدريه : أعترف بأن المسألة بالنسبة إلىّ أيضا أشبه بالحكايـــة المعروفة عن اقتطاع جزء من الوزن . وقد يبذل المرء أقصى جهده ، وينتهى به الأمر إلى إيذاء نفسه .

آلـــين : هذا واضح .

آنـــدريه : هل ميريى . . . هنا ؟

أوكتـــاف : إنها في الحديقة مع إيفون والطفل .

آنـــدريه : لقد لمحتها من بعيد أثناء مرورى على ملعب التنس . إنها تذهب إلى هناك كل يوم تقريبا ، أليس كذلك ؟

أوكتــاف : إنها لا تملك هاهنا من وسائل التسلية إلا أقل القليل . .

آلــين : (في حيوية) هل سمعتها تشكو قط من هذا ؟إنلديها موارد كافية في نفسها ، ولكنها تحرص ، ومعها حق على أن تمارس بانتظام قليلا من الرياضة .

آنــدريه : لقد كانت مع ذلك ال « روبير شانتاى » . . . يبدوأنه شديد المواظبة على التنس ، هذا الصيف . لعل في نيته أن يستقر هنا نهائيا ، وأن يتزوج كذلك .

أوكتــاف : آه ! صحيح ؟

آنــدريه : ربما كانت واحدة من بنات « موريل » يكون قــد رآهــا . . .

أوكتــاف : سيدهشني ذلك، فانهن لا يملكن غير « دوطات » تافهة ، ولابد أن له مطالبَ ضخمة .

آنــدريه : (منزعجا) لا يوجد هاهنا من الوارثات عدد وفير . .

آلــين : على حسب ما قيل لى عنه ، تبدو لى شخصيته قليلــة الأهمية ، وانى لمندهشة من أن أفعاله وحركاته تشغلكم إلى هذا الحد .

آنــدريه : ولكن ، يا خالتى . . .

المنظر التاسع

نفس الاشخاص ، ميزيى

ميريى : أهذا أنت ! صباح الخير يا آندريه . . .

أوكتاف : انه يحمل إلينا أنباء طيبة من استشارة الأمس .

ميريى : (بلطف ، ولكن دون حرارة) آه ! الحمد لله .

(يدير آندريه عينيه فيلمح المجلد الذى تركته ميريى على المائدة ، يتناوله .)

آندريه : آه ! لم أكن أعلم . . .

أوكتاف : لقد تسلمتهما منذ لحظة .

آندريه : لم تخبرنى بأنك تزمع هذا النشر .

آلين : انها مفاجأة أراد عملك أن يباغتنا بها .

(تنهض)

آندريه : وهل تعتقد أن ريمون ؟ . . . . اجل ، من الواضح . .

آلين : ماذا تريد أن تقول ؟

آندريه : كلا ، لا شىء . . . إنى أتساءل فحسب . . .

آلين : أكمل .

آندريه : لم يعد لهذا ، الآن ، أية أهمية .

آلـــين : هل أفضىَ إليك ريمون بشيء ؟

مــيريي : (تخاطب آندريه بصوت خافت وبنبرة متوســلة) .
ما جدوى ذلك ، الآن ؟

آنــدريه : لم يقل لى شيئا محددا ، ولكن ، أتذكّر أن طبع هذه الرسائل ، ومذكّرات الحرب . . .

آلـــين : ماذا إذن ؟

آنــدريه : انه كان يجد هذا كله على قليل من . . .

آلـــين : من الفســق ؟ . .

آنــدريه : فليكن من قلــة الحياء .

آلـــين : (إلى زوجها) أرأيت ! . . .
(يهز أوكتاف كتفيه في حركة تشنجيه وكأنه يريد أن يقول لها ماذا تريدينى أن أصنع ؟
(تخرج وتغلق الباب الايمن خلفها في رفق .)

المنظر العاشر

ميريي ، أوكتــاف ، آندريــه

(يظل أوكتاف صامتا لحظة ، ويبدو أنه ينتظر من ميريي كلمة لاتأتى ، فلا يلبث أن يقول بصوت لاحياة فيه)

أوكتاف   أنا ، سأذهب لرؤية جاكو ، لم يبق إلا الأطفال .

آنـــدريه : (مُقْبِلاً نحوه) عمى ، إنى آسف . . .

(يخرج أوكتاف دون أن يجيب)

مـــيريى : (فى مرارة) لماذا قلتَ هذا ؟

آندريـــه : لم أكن أريد . . . ولكنها ألحّت . . . لاأهميـــة لذلك .

مـــيريى : أتعتقـــد ؟

آنـــدريه : لم يكن هذا ضده ، ولم يكن ضد أحد ، وحتى لو ارتكب خطأً . . .

مـــيريى : لن تغفرها له ماما .

آنـــدريه : تقولين الآن ماما عن خالتى ؟ (صمت) أؤكد لك أن هذا لاأهميه له . . (وكأنما أصابه تشنج) المهم ، أن تقولى لى . . . هل هو جذاب فى نظرك

مـــيريى : لاأدرى عمن تتحدث ؟

آنـــدريه : هذا الشاب الذى تلعبين معه كل الأيام تقريبا . . . هذا الـ « شانتاى » !

مـــيريى : إنه لاعب ماهر للتنس .

آنـــدريه : أنه يأتى من أجلكياميريى . أنت تعجبينه ، وفي يوم من الأيام ، سيطلب منك أن تكونى زوجته .

مـــيريى : لاشك ان معلوماته خاطئة اذن ! فما من أحد في هذا البلد لايعلم أن كل هذه الأمور قد انتهت بالنسبة لى ، وأنها لن تكون إلى الأبد موضوعا للبحث .

آنـــدريه : (متواضعا وسعيدا) عفوا

مـــيريى : حين يعرف المرء ماعرفتهُ . . . وحين يأمل في تلك السعادة . . .

آنـــدريه : (بصوت خافت) أنا أعلم .

مـــيريى : (في حماسة) أنت لاتعرف . . . مامن انسان واحد في هذا العالم . أتسمعنى لايبدو تافها . — حقيرا . . . وهذا الفتى الذى تتحدث عنه ، والذى هو أفضل كثيرا مماية . . . (تحتد من جديد) ثم ، بأىّ حق توجّه إلىّ هذا السؤال ؟ من الذى سمح لك بأن تستجوبنى؟ (تذهب الى المدفأة). وتستند عليها بمرفقيها ، وقد وضعت رأسها بين يديها ، وأدارت ظهرها لآندريه)

آنــدريه : (مقتربا) إنى أتعذّب ... وما أعانيه ليس خليقا بالاحتقار .. إن من تبكينه ، كان صديقى ... وكنتُ معجبا به . وحدادك عليه هو حدادى أنــا أيضا .. (بصوت خافت) أنا لاأغار منه .. ولكن فكرة أن شخصا آخر .. هذا مالا أحتمله ، هذا مالا أحتمله !

مــيريى : (تستدير نصف استدارة إليه ، وتخاطبه بقسوة) هذا الـ « شانتاى » خاض غمار القتال ، وجُرِح مرتين ... (يلقى عليها آندريه نظرة مليئةً بالعتاب ويبتعد ، وقد اهتزّت كتفاه بنوع من الرِعّدة .) إن ما سأقوله غاية في العنف .. فمعذرة .. ولكن إذا كنت تحس الجو الذى أعيش فيه هنا .. ثمة لحظات يبدو لى فيها أننى أختنق .

آنــدريه : كيف ؟ ومع ذلك فكل الناس يحبونك هنا ، كل الناس قد تبنّوك ...

مــيريى : (مستغرقة في التفكير) أجل .

آنــدريه : وخالتى لا تستطيع الاستغناء عنك ..

مــيريى : وأنا أيضا لا أستطيع أن أكون في غنى عنها .

آنــدريه : إذن ؟ ...

ميريى : عندما نكون لازمين للآخرين على هذا النحو . لست أدرى ، لانكون بعد أحرارا . . . إننا لا . . إننا لا نتنفس بعد (في فزع) . آه ! ماذا قلت ؟ كلا ، ليس الأمر على هذا النحو ، ليس الأمر على هذاالنحو . . . إنك لا تفهم . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص ، آلين

(تقف لحظة على العتبة ، وتنظر إليها)

ميريى : (مقبلة عليها) ألا ينبغى أن نذهب معاً إلى الأم نويل، يا ماما ؟

آلين : يجب أن يُحْضِروا إلى هنا الكَرَزْ الذى وعدتُها به .

(صمت)

آندريه : وفضلا عن ذلك ، الوقت متأخر ، ولا بد أن أترككم كما أوصانى الطبيب ألا أسرع في المشى .

آلين : أجل ، بالطبع .

آندريه : (إلى ميريى) ألن تأتى لرؤية والدتى في يوم من الأيام، يا ميريى ؟

ميريى : ولكن ، بلى . . . بكل تأكيد .

آنـــدريه : ألا يمكن أن نتفق على موعد ؟

مـــيريى : (مسدّدة عينيها على آلين) ربما .

آلــين : يا عزيزتى ، عليك أنت أن تقررى بنفسك .

مـــيريى : قل لها إننى سأكتب إليها .

آنـــدريه : لا تتأخرى كثيرا . . . إلى اللقاء ، يا خالتى .

المنظر الثاني عشر

مـــيريى ـ آلـــين

آلــين : لماذا كانت هيئته حزينة عندما دخلت ؟

مـــيريى : لكـــن . . .

آلــين : اذا كان الطبيب قد طَمْأنه حقاً . . .

مـــيريى : ربما كانت لديه هموم أخرى .

آلــين : كان دائما شديد الانشغال بصحته ، وليس هـــذا بجريمة ، إنه فتى هزيل جدا . . . وإن كان يغـــالى احيانا في الاحتياطات إلى حدما . وكان ريمون يمازحه في كثير من الأحيان حول هذا الموضوع .

مـــيريى : ومع ذلك يمكن أن تكون له موضوعات أخرى . للقلق .

(قالت ذلك بصوت مرتعش قليلا ، دون أن تنظر
إلى آلين . صمت)

آلين : مادمت قد تمسكتِ يا عزيزتى من تلقاء نفسك ، بأن تقولى لى « ماما » فأنا كما تعرفين — لم أكن أفكر في ذلك ، بل ربما حتى لم أكن أتمناه .

ميرى : وبعد ؟

آلين : دعينى أنتهى ، من فضلك ، أؤكد لك أن المسألة خطيرة . إذ لا ينبغى أن تكون مجرد كلمة رقيقة ، ولكن كاذبة ، بل ينبغى أن تكون حقيقة قلبك .

ميرى : إنها الحقيقة .

آلين : ضعى ثقتك فيّ .

ميرى : (في شيء من الحدة) ولكنك تعلمين أننى لا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أثق فيك . . ما داموا قد ماتوا جميعا ، ولم يعد لى سواك . . وفضلا عن ذلك ، لست من القوة بحيث أحتفظ بأسرار .

آلين : ومن الذى تحدث عن أسرار ؟ غير أن قيام أى ظل من الالتباس بيننا يُفْسد كل شيء ، وهذا ما تشعرين به جيدا . إن الحداد الذى جَمَعَ بيننا يساوى على الأقل . . .

ميـــريى : ولماذا تقولين هذا القول ؟

آلـــين : لن أقول ياصغيرتى إن علاقتنا الحميمة هى علـــة — وجودى ، ولكنها ما جعلتنى أواصل البقاء . وأعتقد أننى لم أكن أستطيع ذلك بدونها . ولهذا ينبغى ألا يعرّضها شىء للخطـــر .

ميـــريى : ولكن ، لاوجود لأى خطر .

آلـــين : من الممكن أن يكون ثمة خطر ياعزيزتى — على العكس — إن لم نأخذ حذْرنا .

(حركة من ميريى) افهمينى ، فى سنك لايستطيع ، ، بل لاينبغى أن يضمن الانسان نفسه ، أنت تسمعيننى لاينبغى ذلك . فالمرء يتغير ، هذا فظيع ، ولكـــن الأمر على هذا النحو . فقد ينمو فيك . . .

ميـــريى : لاتـُكملى ، فأنا أخمن ، ولكن ، لاجدوى مـــن هذا فحسب ، بل . . . اخيرا ، تذكرين جيدا ما قلته لك حين كنا هناك ، عندما أطلعونا على تلك — الحقول الخراب ، على تلك السفوح التى لن ينبت فيها شىء أبدا . . (بصوت مختنق) أما أنا فسيان — عنـــدى .

آلـين : من الخطر توكيد ذلك ، بل ربما كان على قليل من .. التصنع .

ميريل : أنت تجرحيني .

آلـين : (في رفق) لست شجاعة جدا (حركة من ميريل) وعلى كل حال ، هناك التزام في وسعي أن أتعهد به نحوك : أيا كانت الأسرار التي يمكن أن تُفْضي بها إليّ ، أؤكد لك أنها لن تغير شيئا من . . .

ميريل : (في عنف) أتعتقدين ذلك ، ولكنك تخدعين نفسك ليس في وسعك أن تتحمليها ، وكيف يمكن ذلك ؟ ولا أنا أيضا ، لا أستطيع . . .

آلـين : الثقة — كما اتصورها ، لايمكن إلا أن تكون مطلقة وحين أعطيها ، لاأستردها . . . واذا قررت أن — تَصْنعَي حياتك من جديد ، ففي جوهرها ، ستكون داخل النظام . . .

ميريل : ماما !

آلـين : لايمكن أن يكون ذلك مع شخص حقير الشأن . . كلا . . بعد كل ماحدث . . . أعلم أن هناك حدا أخلاقيا أدنى ليس في وسعك أن تبلغيه . لن يكون مستمتعا

بالحياة — إن صح هذا التعبير لأدرى ، مثل ذلك الـ « شانتاى » الذى لن يستطيع أبدا . . .

ميريى : (في لهجة غير متميزة) ولماذا شانتاى ؟

المشهد الثالث عشر

نفس الأشخاص ، أوكتاف ، إيفون

(يدخلون من باب الحديقة ، يحمل أوكتاف على ظهره الصغير جاك الذى يخبط بيديه وهو يطلق صيحاته .)

أوكتاف : (متهيئا لانزال الطفل) هنا ، ياعزيزى ، هذا يكفى

الصغير جاك : مرّة أخرى ، يا جدى ، مرة أخرى ! . . .

أوكتاف : دورة أخرى حول حوض الزهور ؟ واحدة فحسب ، هيّا . . .

آلين : إذا أصبح هذا الطفل شيئا لايطاق ، فستكون غلطتك بالتأكيد .

إيفون : من حسن الحظ أنك موجودة لكى تُحدِثى التوازن !

أوكتاف : (واضعا الصغير على الأرض) فلتكن هذه الدورة غدا

ميريى : (ذاهبة إلى الطفل) صباح الخير ، يا جاكو !

(تلاطفه، ثم حين تشعر بنظرة آلين وفكرها مركَّزين عليها ، تبتعد فجأة . إلى إيفون .) يبدو أنه قد غطس لتوه في الماء مرة أخرى ؟

إيفون : كما قلت ذلك منذ لحظة ،مادامو لم يقرروا تفريغ البركة . . .

أوكتاف : (إلى إيفون) إذن ،فسأطلعك على هذا .

(يخرج من اليمين)

إيفون : ولما كان من المبادئ المتبعة ألا مساس بشيء هنا ..

آلين : أكمِلى .

إيفون : إنى اتخذك حكَماً ياميريى ،في نهاية الأمر . يوجد ها هنا أثاث لاضرورة له ، ولكننا نحتاجه في المنزل. . أنا لا أتحدث عن أثاث له قيمة . . . (يعود أوكتاف في هذه اللحظة وقد علاه شحوب شديد)

أوكتاف : (إلى آلين بصوت خافت) أأنت التى نزعت تلك اللوحات ؟

آلين : أجل .

(في هذه اللحظة ، يقرع الجناينى الباب الزجاجى)

أوكتاف : (يتمالك نفسه بصعوبة) أمن الممكن أن نعرف أين وضعتِها ؟

آلين : فيما بعد ،من فضلك .

أوكتاف : أنت لم تتلفيها على كل حال ؟

آلين : كل ما فعلته هو أنني وضعتها جانبا . أهذا هو الكرز يا ألكسيس؟ كنا في انتظارها منذ نصف ساعة (تتناول السلة) ما هذه الأزهار ؟ امسكى ،يبدو أنها لك يا ميريى .

(تمد يدها بالباقة إلى ميريى)

ميريى : كيف؟

آلين : جانبي مسيو شانتاى هو الذى أحضرها.

إيفون : إيه ! ولكن ، خبرينا ،يا ميريى !

أوكتاف : من شانتاى؟

ميريى : كنت من الحماقة بحيث أعجبت بتلك الورود القرمزية التي يراها المرء من ملعب التنس .

آلين : سأضع قبعتى ، الحق بنا أمام المنزل ، من فضلك ؟

إيفون : (تأخذ الطفل من يده وتخرج مع أمها) ماما ، ألاتوجد

وسيلة لكي يتناول الطفل غداءه في الساعة الحادية عشرة والنصف بالضبط ؟ . .

(تضيع بقية الكلمات)

المنظر الرابع عشر

ميريي ، أوكتاف

أوكتاف : (يتمالك نفسه في عناء) زوجتي قادرة على احراق المجلدات . . (ينتظر احتجاجا لا يأتي على الفور .)

ميريي : (التي مازالت تمسك بالزهور وقد شرد فكرها) كلا . . . كلا . . . بكل تأكيد .

أوكتاف : أتعتقدين ذلك ؟ (مندفعا) يا صغيرتي ، لو كنت تعرفين . . (يتوقف) ولكن ، ابقي هنا ، مع زهورك سأقول لهم أن يضعوها في الآنية .

ميريي : (بغتة ، وبضرب من الانفعال) كلا ، كلا ، بل ينبغي رميها .

الفصل الثانى

نفس الديكور . بعد انقضاء عشرة أيام

المنظر الاول

ميـــريى ، أوكتـــاف

(ميريى تهم بالكتابة ، وهى ترجع من حين إلى آخر إلى مفكـــرة مفتوحة أمامها ، تنتفض حين تسمع صوت انفتاح الباب القائم عـــلى اليسار ، ولكنها تلتقط أنفاسها حين ترى أوكتاف .)

ميـــريى : (بصوت خافت نوعا ما) كنت أكتب تلك الخطابات الأربعة من أجلك ولو أردت أن تراجعها . . . فربما كان ذلك من المستحسن ، أولا ، لأن خطى . . .

أوكتـــاف : (الذى لم يسمع) هيه ؟

ميـــريى : أقول إنك تحسن صنعا لو أعدت قراءة هذه الخطابات

أوكتـــاف : لاجدوى من ذلك على الاطلاق ، فأنا واثق من أنهـــا جيدة جـــدا .

ميـــريى : كتبت إذن الى مخزن أمانات « درو » ، كما طلبت منى

أوكتـــاف : جميل .

مـــيريى : ولكننى أكاد أكون متأكدة من أننى أوضحت قضية « ديبون » ، فلا بد أن هناك شخصين باسم « ديبـــون جاستون » في الفرقة رقم ٨ ، وواحد منهمـــا لم يَرِد إسمهُ في سجلات المخزن . فلو أنه أتى مباشرة مـــن مخزن الفرقة . . .

أوكتـــاف : انت رائعة يا ميريى . يريحنى جداً انك توليت مشكورة هذه المراســـلة .

مـــيريى : هذا شيء طبيعى لايستدعى الكلام .

أوكتـــاف : حين أكتب فترة طويلة متواصلة ، يستولى علىَّ نوع من التشنج هنا (يشير إلى مقدمة ذراعه .) وأنا لاأدرى إن كان ذلك من الروماتزم أو من شيء آخر . . .

مـــيريى : (شاردة) هذا شيء يبعث على الضجر .

أوكتـــاف : (يلاحظها) أنت شاحبة . . .

مـــيريى : لا شيء .

أوكتـــاف : وعيناك متعبتان قليلا .

مـــيريى : لم أنم جيدا هذه الأيام الأخيرة .

أوكتـــاف : كنت أظن ذلك ، سمعتك تمشين في الليلة الماضيـــة . لا داعى لارهاق نفسك بكتابة هذه الرسائل . . .

مـــيريى : كنت فيغاية من السعادة لأن لدىّ شيئا يشغلنى تلك الليلة ، وحين لا يأتينا النوم . . . .

أوكتـــاف : أجل، أجل . . . ولكن ليس هذا من العقل في شيء، ولو أن زوجتى ارتابت في شيء من هذا . . .

مـــيريى : لن تذهب لتخبرها . . . من المستحسن انتزاع هـــذه الاوراق جميعا ، فمن الممكن أن تدخل حماتى . . .

أوكتـــاف : كنت أعتقد أنك تقولين لها « ماما » في الوقتالحاضر.

مـــيريى : ولكن حين أتحدث عنها . .

أوكتـــاف : أأنت متضايقة نوعاً ؟ . . .

مـــيريى : كيـــف ؟

أوكتـــاف : أن يكون لك هذا السر الصغير إزاءها ؟

مـــيريى : أوثر ألا يكون لدىّ ما أخفيه عن أحد ، هذا مؤكد مادمت لا أفعل إلا ما هو طبيعى . ولكنها لو علمـــت بهذا الأمر ، فسوف تتألم .

أوكتـــاف : أتعتقدين أنها ستحقد عليك حينذاك ؟

ميريي : (في حيوية) بل كلا . أولا ، لأن في هذا شيئا من الصَّغَار .. ثم إنني في نهاية الأمر حرة التصرف كما يروق لى .

أوكتاف: بالتأكيد .

ميريي : كلا ، هذا من أجل مراعاة صحتها .. تألمتْ بما فيه الكفاية .

أوكتاف: ليست وحدها التي تتعذب هنا .

ميريي : لم أعرف أحدا له قدرتها على العذاب . وحين أقارنها بالآخرين .. أرى كأنها مُنِحتْ موهبة .

أوكتاف: الاينقصها بصفة خاصة – شيء من الاتزان (حركة من ميريي) لاأريد أن أقول إنها تتباهى بالألم ، ولكنها بالأحرى كأنما تُشْهِرُه لتحطيمك .

ميريي : إنك تجرحني .

أوكتاف: أنا «أجرحك» ؟

ميريي : كل مايقال ضدها ، إنما يقال ضدى أنا .

أوكتاف : ولكن ، يا صغيرتى ميريي . . .

ميريي : أوه ! أظن أن إيفون يمكن أن تتحدث مثلك .

أوكتـــاف :(بلهجة متغيرة) كلا ، إيفون ... هذا ..هذا
لاعلاقة له على الاطلاق .. ولكن ، أترين ، حين
يتذكر المرء ماكانت عليه زوجتى في الماضى ...حتى
الحرب ، لم يحدث قط أننا ... ثم حلت التعاسة ،
وكأنما سممتها ... أجل ، إنها سم .

مـــيريى : (في غلظة) ليس مرضا أن يكون الأنسان شقيا ...
أتراك تجد المنزل شديد الكآبة ، مثل إيفون ؟(حركة
من أوكتاف) ألاتسير فيه الحياة بسرعة كافية ؟
أتتمنى شيئا من الاستجمام ؟

أوكتـــاف :(في حنان) لست أنت التى تتحدثين في هذه اللحظة
ياصغيرتى ...

مـــيريى : (تزداد حماسة) فليكن ، أنا ، معجبة بذلك
أتسمعنى ، بكل روحى ... ربما كان رهيبا
ولكى ،ولاوجود لشيء جميل سوى. ذلك .. أما الباقى ،
فتافه .. تافه ..

(نشعر أنها على وشك الانخراط في البكاء .)

أوكتـــاف :(الذى تأملها بإمعان) لاأحب أن أراك منفعلة على
هذا النحو .

مـــيريى : ليس ذلك انفعالا ، وانما هو جوهر ما أعانيه ، وإن كانت هناك لحظا ت يبدو عليّ فيها . . أو لا ، — الأمر في غاية من البساطة . . هذه اللحظا ت ،أمقتها

أوكتـــاف :(في وقار) ولكن ، إذا كنت عـــلى هـــذا النحو الاتفاق العميق مع زوجتى ، فلماذا اقترحت على مساعدتى في هذا العمل . . الذى لاترضى هى عنه ؟ أكان ذلك من أجلى فحسب ؟

مـــيريى : (خافضة العينين) لاينبغى أن تظن أننى معدومة — الشخصية ، بل أكررّ عليك ، إننى لاأفعل إلاماأريد.

المنظر الثاني

نفس الاشخـــاص ، مدام فرديه

(التى تدخل من البا ب الزجاجى)

مدام فرديه : (تخاطب لويز التى قادتها) شكرا ، يالويز . . . صباح الخير ، ياأوكتاف .

أوكتـــاف : مرحبا ، يامارت !

مـــيريى : أرجو المعذرة — ياخالتى مارت — لأننى لم أحضر بعد لرؤيتك . . فى كل يوم يحدث مايعوقنى .

مدام فرديه : (بصوت متهدج) أهلا وسهلا بك دائما .

أوكتـــاف : إجلسى . (تجلس) كان آندريه يحضر كثيرا فى هذه الأيام الأخيرة ، وبدالى أحسن من الشتاء الماضى

مدام فرديه : (وهى تكتم عبرآتها) أصغى إلىّ ، ياصغيرتى — ميريى ، ينبغى ألا تضيقى بى ولكن عندى كلمة أريد أن أقولها لأخى . . وقد يستطيع أن يعيدها عليك فيما بعد . . ولكن من الصعب . . . إننى لا . . .

مـــيريى : هذا شيء طبيعى .

(تخرج في رفـــق)

المنظر الثالث

مدام فرديه ،أوكتـــاف

أوكتـــاف : أهذا بخصوص آندريـــه ؟

مدام فرديه : أجـــل .

أوكتـــاف : الا يتعلق بصحته ؟

مدام فرديه : بـــلى .

أوكتـــاف : كنت اعتقد أنك مطمئنة تماما .

مدام فرديه : (بصوت لاتلوين فيه) آندريه ها لك .

أوكتـــاف : ماذا تقولين ؟

مدام فرديه : (التى لم تعد تستطيع مغالبة دموعها) محكوم عليه بالموت.

أوكتـــاف : ما هذا ، هذا محال ، أنت التى . . .

مدام فرديه : بعد زيارة آندريه ، كتب إلىّ الطبيب رسالةً تثـير القلق يقول فيها إنه لم يستطيع أن يفضى إلى آندريـه بالحقيقة كلها . فذهبت إليه ، طبعا .

أوكتـــاف : وقال لك . . .

مدام فرديه : لم أر في الحال . . . سوى وجهه أثناء حديثه إلىّ . . لم يكن يبتسم ، وكان يتحدث بصوت خفيص ، وكأنما . . .

أوكتـــاف : ولكن ، يا مارتاى المسكينة ، هذا كلّه محض خيال .

مدام فرديه : آندريه تحت رحمة حادث يمكن أن يقع غدا . . . أو خلال ستة أشهر . . أو . . لا يدرى أحد ، أخـيرا ، لايدرى أحد . . .

أوكتـــاف : ماذا يعنى هذا كله ؟ ولكننا جميعا تحت رحمة حادث !

مدام فرديه : كلا ، لقد شرح لى ، هذا عيب في القلب !

أوكتـــاف : ثم ماذا ؟ أنا أيضا ، عندى عيب في القلب ، وخاصة

منذ أن تركتُ الجيش ، لا حظته بقسوة . ولكنني لا أظن أنني مت بعد بسبب هذا .

مدام فرديه : (بصوت مرتعش) أصغ إليّ ، يا أوكتاف ، لا جدوى من هذا الكلام ، أكرّر عليك أنه شرح لي ، إنه صمام في القلب ممكن أن يتوقف فجأة عن أداء وظيفته ، لمجرد ارهاق . او انفعال أقوى من اللازم..

أوكتاف : ولكن، لماذا إذن لم يلحظه أحد مبكرا ؟ ليست هذه أول مرة يستشير فيها . . ياللشيطان ! وخلال الحرب ، كل تلك الزيارات . .

مدام فرديه : اعتقد أن هذا كله قد تفاقم كثيرا خلال الشهور الأخيرة . . . أوكتاف ،إني نادمة الآن لأنه لم يذهب إلى الجبهة كما كان يريد ، فحتّى لو أنه . . قُتِل في الحال ، لكان على الأقل . . . على الأقل . . .

(لا تستطيع إتمام جملتها .)

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ، آلين

آلين : ماذا حدث ؟

أوكتاف : مارت تحمل لنا . . . أنباءً سيئة عن آندريه.فالطبيب

المختص الذى ذَهَبَتْ لرؤيته أمـــس . . ليس — باختصار — متفائلا .

آلـــين : كيف ؟ (تذهب إلى مدام فرديه) مارتاى المسكينة، ولكن هذا فظيع . (تعانقها طويلا) إذن ،ماهـــذا الذى شرحه لنا آندريه في ذلك اليوم ؟

مدام فرديه : لم يستطيعوا أن يخبروه بالحقيقـــة ، فهذا يمكن أن يقتله . . .

آلـــين : (تظل ملتصقة بها) أوه !

مدام فرديه : إنه لا يعرف حتى أننى ذهبت لرؤية الطبيب وحتى إذا تصادف حضوره، فلا تظهروا له شيئا ....

آلـــين : مارت ، تستطيعين الاعتماد على . ياإلهى ! ياللّصغير المسكين !

مدام فرديه : آه ، لو كنت أستطيع أن أفكر على الأقل في أنه كان سعيدا ! ولكنـــه لم ينل من الحياة سوى المرارة.. سوى خيبة الآمال .. وليس في وسع إنسان أن يعرف ماعاناه اثناء الحرب .

آلـــين : (في عذوبة) ولكن لو ...

مدام فرديه : كان لديه دائما انطباع بأن الناس يحتقرونه لأنه لم

يحارب ... وكان يتحاشى أولاد خاله حين يأتـون في اجازة .. أوه ! إلا ريمون ، الذى كان معه دائما في غاية الطيبة !

آلـين : (متفكرة) كان ريمون يحبه كثيرا .

مدام فرديه : وكان آندريه يحدثنى عنه في كثير من الأحيان .

آلـين : صحيح ؟

مدام فرديه : تذكرى يا آلين .. فترة الشباب التى اجتازها هذا الطفل ! لم تَعْبُرْها فرحة واحدة !

آلـين : أنت تبالغين .

مدام فرديه : طالما كان أبوه حيا ، لم يكن عندى من الوقت ما أهتم فيه بآندريـه .. وفضلا عن ذلك ليس في وسعنا أن نفعل شيئا للآخرين .. الانسان وحيد .

آلـين : (بجدية) : كلا ، يا مارت ، ليس الانسان وحيدا .

مدام فرديه : شكرا ! آه ! أنت طيبة .. ولا بد أن يكون المرء تعسا مثلى ليقدرك . (حركة من أوكتاف) في لحظة وفاة عزيزى شارل ، كان الأمر مماثلا ، وإنى لأذكر ذلك جيدا .

آلـين : أجل ، في وقت الشدة يظهر الأصدقاء .

مدام فرديه : أين أوكتاف ؟

(كان قد ذهب إلى النافذة ، وأخذ ينظر إلى الخارج :

أوكتـــاف : (دون أن يستدير) أنا هنا ..

آلـــين : (بصوت مكتوم) الشقاء هو وحده الشيء الحقيقي

مدام فرديه : يقول آندريه دائما إن لك طبيعة غاية في العمق . ومن العبث أن أردد عليك هذا القول ، ولكنه هو أيضا يشعر على نحو شديد العمق ، أحيانا ، يفزعني ذلك ... وأيا كانت سيطرته على نفسه ، فإنه لا يستطيع أن يُخْفِى عني ما يعانيه ..

آلـــين : انكما متحدان اتحادا وثيقا .

أوكتـــاف : (إلى شخص لانراه) صباح الخير ، صباح الخير .

مدام فرديه : إلى من يقول صباح الخير ؟

آلـــين : (التي تشرئب للنظر) إلى الصغير ، إنه يلعب مع ميريي . أما إيفون فقد ذهبت إلى « فيلينوف » .

مدام فرديه : ميريي تحب الأطفال حبا جمّا ، أليس كذلك ؟

آلـــين : أجل .

مدام فرديه : يالها من سعادة بالنسبة لك ، أن تكون هنا .. آه !

يستطيع المرء أن يقول إن ريمون قد عرف كيف يختار .

آلـــين : إنه لم يقم بالاختيار .

مدام فرديه : (خافضة صوتها) آلين . . أعتقد أن آندريه يحبها ، هو أيضا .

آلـــين : آندريـــه !

مدام فرديه : (بحرارة) ينبغى ألا تحقدى عليه . ناضل ، ويكادــ لايجروُ على الاعتراف بذلك لنفسه .

آلـــين : (في رقـــة) ولماذا أحقد عليه ؟

مدام فرديه : بوسعك أن تفعلى ذلك . . . إنها عاطفة انسانية جدا. . واعتقد أن من الممكن أن أشعر بها لو كنتُ في مكانك

آلـــين : لا يستطيع انسان أن يضع نفسه في مكانى ، يامارت ، وفضلا عن ذلك . . . كلا، أنا لا أشعر بشىء مماثل. . يا للطفل المسكين !

مدام فرديه : شكرا ، يا آلين، هذا شيء في غاية الكرم ، في غاية.: كنت أخشى أن يفرق ذلك بيننا ، فاهمة ، ومع ذلك كنت كالمرغمة على قوله لك .

آلـــين : مرغمـــة ؟

مدام فرديه : لايستطيع الانسان معك أن يقول مايريد ، لاحظت ذلك في كثير من الأحيان .

أوكتاف : (الذى مابرح واقفا عند الباب الزجاجى) ياله من رجل صغير مضحك ! (يعود صوب المرأتين اللتين تخلدان الى الصمت) . لماذا سكتما ؟

مدام فرديه : آه ، لوعلمت ، يا أوكتاف ! !

آلين : (في لهجة غريزية) انتبهى .

مدام فرديه : أفضيتُ إلى آلين منذ لحظة . . (إلى آلين) لماذا لايعرف هو أيضا ؟ آندريه . . . إنه يحب زوجةابنك

أوكتاف : (بنوع من الانتفاضة) لماذا تقولين « زوجة ابنك »؟ ميريى ليست زوجة ابنى .

مدام فرديه : ولكن بلى . . . بل إنها في حقيقة الأمر ابنتك . . (صمت) انه يحبها بما في وسعه ، بكل قلبه ، فيضرب من إنكار الذات . . .

أوكتاف :(في جفوة) أتجدين من المستحسن افشاء سر هذاالابن التعس ؟

مدام فرديه : ماذا تقصد ؟

أوكتاف : في مثل هذه اللحظة ، حين تعلمين . . . أو على الأقل

حين تتخيّلين . . لا أخفى عليك أن هذا يثيرنى .

مدام فرديه : أوكتـــاف !

آلـــين : نحن لسنا غرباء !

أوكتـــاف : هذا هو أخطر ما في الأمر !

آلـــين : وفضلا عن ذلك ، كنت أشك في هذا .

أوكتـــاف : فلنغير هذا الموضوع ، أرجوك ؟

مدام فرديه : كأنك شخص آخر لا أستطيع التعرف عليه .

أوكتـــاف : (إلى مدام فرديه) على كل حال ، اذا كان من الحق أن مخاوفنا . . أجل ، فلنقل إن لهـــا أساساً . . فـــانك لاتقدّرين ما يمكن أن تنطوى عليه مثل هذه العاطفـــة من سخرية ، ومن شجن ؟

آلـــين : ربما كانت — على العكس من ذلك — خلاصاً لآندريه المسكين . .

مدام فرديه : خلاصاً ؟

آلـــين : هذا الحب ، يستطيع أن يلوّن ، يستطيع أن يحوّل . . .

أوكتـــاف : أو قد يكون خاليا من المعنى ، أو بشعا . أنا لا أسمح لك أن تجعلى بريق الأمل يلمع أمام عينىْ مارت . .

مدام فرديه : آلين ، أتحتقدين حقا أنه من الممكن . . .

آلـــين : أي أمل ؟ كلا ، كلا ، إنك لا تفهم ... فليس من حقى أن افترض .. ولكن ، بالنســبة لانسان مثل آندريه ، فان عاطفة على هذا العمق تحمل معهـــا ما يشبه العزاء .

مدام فرديه : أخشى أن تكونى مخدوعة ...

أوكتـــاف : ليس هذا ما تعنيه بقولها ، إنها تتراجع .

مدام فرديه : عندما عاد من زيارتكم ، لم يستطع أن يأكل شيئا . ولم يفتح فمه بكلمة ، وكأنما أصابته الحمى ، وعانى ضروبا من الأرق .

أوكتـــاف : (إلى آلين) حاولت منذ لحظة أن توحى بأن ميرلي يمكن على سبيل الشفقة أو على سبيل ... أرجو معذرتك يا مارت ، ولكن ، هذه مسألة خطيرة جدا ، وينبغى ألا يحدث بيننا أى سوء تفاهم ...

مدام فرديه : (وقد اختلج وجهها) ولكن ، يا أوكتاف .....

أوكتـــاف : أنت يامارتاى المسكينة امرأة شجاعة ، ولا تشكين في أن ... أجل .. أستطيع أن أسمى ذلك عذابا .. فيما يمكن أن يصنعه بانسانة مثل آلين ...

مدام فرديه : يا إلهـــى !

آ لــين : (بابتسامة) دعها .....

أوكتـــاف : أما أنا ، فانى لحسن الحظ ، أرى بوضوح ، من أجل الصغير ... وأنا ....

مدام فردية : أريد الانصراف ... آلين رافقيني حتى العربة

آ لــين : (إلى أوكتاف في صوت مكتوم) إذن فأنت تتصور .. أيها البائس !

(تخرج مع مدام فرديه)

المنظر الخامس

أوكتـــاف . ميريـــى

(يثوب أوكتاف إلى هدوئه رويدا رويدا ، ثم يذهب إلى البا ب الزجاجى ، وينادى .)

أوكتـــاف : ميريى !

مـــيريى : (داخله) ماذا هناك ، يا أبتى ؟

أوكتـــاف : تعالى معى ياصغيرتى ، ينبغى أن تتحدثى إلى أخيرا بقلب مكتوح . فلنبتعد عن هنا ، يمكن أن تدخل زوجتى بين لحظة وأخرى .

ميريل : كلا ، بالتأكيد ، فهذه الأسرار .....

أوكتاف : ولكن هذا من أجلك ياميريل ، لأنني أخشى ...

ميريل : ماذا ؟

أوكتاف : أعتقد أنني لاحظت .. ثم ، إني أعلم أخيرا أنك تحادثت صباح أول أمس مع ذلك الـ « شانتاى » على انفراد .

ميريل : تبادلنا الكُوَر في ملعب التنس .

أوكتاف : رأتك إيفون .

ميريل : وبعد ؟

أوكتاف : لو حدث على سبيل المصادفة .. ، من المؤكد انك تعجبينه ، تلك الزهور التي أرسلها إليك ، الطريقة التي تحدث بها عنك عند آل « موريل » ... لا سبيل إلى الشك في ذلك ، حسن ، إذا كان الأمر من جانبك...ياصغيرتي ، فلا ينبغي أن يمنعك أيّ وسواس.. الفكرة ، أنه لن يكون على قدر علمي محبّب بالنسبة إلينا : أنا ... أو زوجتي . (حركة من ميريل) شاءت الظروف أن ندعوك إلى العيش هنا كأنك ابنتنا ، ولكن ، ليس هذا سببا يدعوك ألا

تحتفظى بكامـل حريتك . أقول هذا كله بطريقة سيئة جدا ، لأن ...

ميريى : (في خشونة) أنت تقول ما قلته ضدها . إن حريتى ، لا يهددها أحد هنا ، وليس عليك أن تدافع عنها . وذلك الفتى الذى تتحدث عنه والذى كانت عشيقته ما زالت في هذه الضواحى منذ بضعة أسابيع ......

أوكتاف : من تحدث إليك عن هذه المرأة ؟

ميريى : علمتُ ذلك . . عرَضاً .

أوكتاف : أما أنا ، فقد أكدوا لى أنه قطع صلته بها منذ حوالى سنة . . أنت لم تعودى طفلة ، ياميريى ، وتعلمين جيدا أن الرجال حين يتزوجون . . . وعلى قدْر علمى ، لا مأخذ على « روبير شانتاى » . . .

ميريى : هل تقصيت الأمر ؟

أوكتاف : انى تحريت الموضوع .

ميريى : بأى دافع ؟ وما الجانب الذى تدافع عنه ؟ اعترف إذن بأنك تفعل ذلك ضدها ، ومن أجل الاساءة إليها . . . آه ! يالها من لُعْبة بشعة !

أوكتاف : هذا الأنى أريد سعادتك .

ميريى : أتعرف إذن نوع السعادة التى أقدر على احتمالها ؟

أوكتـــاف : هذه ليست من تعبيراتك .

مـــيريى : إنك تعذبنى ، إنك ت . . . آه ! ليتنى أستطيع الرحيل !

أوكتـــاف : الرحيل ؟

مـــيريى : ولكن ، لن أجد لدىّ القوة على ذلك .

المنظر السادس

نفس الاشخاص ، آلين ، آندريه

آنـــدريه : (داخلا مع آلـــين) لم تقل لى ماما إنهـــا حضرت لزيارتكم . . .

آلـــين : لقد دخلت أثناء مرورها على المنزل .

أوكتـــاف : أهذا أنت ؟ صباح الخير .

مـــيريى : صباح الخير ، يا آندريه .

أوكتـــاف : كيف حالك ؟

آنـــدريه : أكان لدى أمى شىء خاص تود أن تقوله لكم ؟

أوكتـــاف : ولكن . . . كلا . . .

(حركة من ميريى)

آنـــدريه : ربما كان شيئا تطلبه منكم ؟ . . . إنها تخبرنى دائمـــا

بالمكان الذى تذهب إليه ، ولهذا دهشت ، كما أن هيئتها منذ لحظة . .

آلين : (بسرعة شديدة) لقد أصابها صداع .

آندريه : هذا شيء لا يحدث لها كثيرا . هل رأيت أمى ، ياميرى

ميري : (في شيء من الارتباك) أجل . . . كلا . . . لحظة واحدة فحسب .

آندريه : ولماذا لحظة واحدة فحسب .

ميري : (مترددة) أنا . . لأن إيفون في « فيلينوف » ، وكان على أن أهتم بالطفل بعد الظهر .

آندريه : يبدو عليكم الارتباك ، أنتم الثلاثة ؟

ميري : الارتباك ؟

آلين : أنت مضحك ، يا آندريه !

أوكتاف : يا لها من فكرة !

آندريه : (ذاهبا إلى آلين ، وبصوت هامس) لو عرفت ماما بأمرها . . ما كان يجب أن تفعل ذلك . . . .

آلين : (مشيرة الى ميرى) هيا ، يا آندريه .

ميري : ماذا تقول ؟

آنـــدريه : (إلى آلين) انها تعرف بمن تتمسك .

أوكتـــاف : يا صغيرى ، أحترس .

آنـــدريه : لا أريد أن نعتقد . . . وخاصة الآن بعد ان ذهب، أن لدى نصيبا كبيرا من الشجاعة .

مـــيريى : (بنبرة ضارعة) آندريه ، أرجوك . . .

آنـــدريه : (إلى أوكتاف وإلى آلين) أليس كذلك لقد خمنت ؟ هذا هو ما أتت أمى تتحدث عنه ؟ وهيئتها حـــين انصرفت ! رباه ! ولكنى أقسم لكما . . . إنها فكرة طَرَدْتُها مرةً واحدة وإلى الأبد . . . (إلى ميريى) أنت لا تصدقيننى ، وتتصورين أنها تحدثت بايعـــاز منى . . والقليل الذى حصلتُ عليه ، سيُسْحَبُ منى . آه ! لماذا فَعَلَتْ ذلك ؟ لمـــاذا ؟

مـــيريى : (ذاهبة إليه) آندريه ، أنا ، لم أكن أعلم . . .

أوكتـــاف : إن ماقُلْتَه لاينطوى على كلمة واحدة من الحقيقة. . .

آلـــين : (إلى أوكتاف) ولم الانكار ؟

مـــيريى : (إلى آندريه) ولكنى أعدك بأن شيئا لن يتغير . . . وأننى ، أولا واثقة من أنك تقول الحقيقـــة .

آندريه : (سعيدا) إننى قليل المطالب... حين عرفت أنه سيغادر البلاد .

أوكتاف : عمن تتحدث . ؟

ميريى : آندريه !

آندريه : اغفرى لى ان كان لدى خوف . من ذلك .

ميريى : (متألمة وبصوت خافت) أنت تفتقر إلى الحياء (يحاول آندريه أن يأخذ بيدها .) كلا ، كلا ، دعنى !

أوكتاف : من الذى سيرحل ؟ أهو «شانتاى» ، على سبيل المصادفة ؟

آندريه : أجل .

أوكتاف : ولماذا يرحل ؟ (آندريه ينظر إلى ميريى التى خفضت عينيها) وماذا يعنيك من هذا ؟ أجب ، من فضلك .

آلين : ولكن ، يا أوكتاف . . .

أوكتاف : أوه ! أنت . . .

آندريه : (يتحسس جبينه بيديه) لست أدرى لماذا تركت نفسى

تمضى على هذا النحـــو . ليس هذا جديرا برجل ، هذا . . .

(يترنح)

مـــيريى : ماذا أصابك ؟

آنـــدريه : لا شيء ، سيزول حالاً . . . .

آلـــين : لا يمكن أن نتركه يرحل وهو في هذه الحالة . . .

آنـــدريه : سأذهب لأستريح لحظة في آخر الحديقة .

آلـــين : أتريد أن نذهب لنُجْلِسك ؟

آنـــدريه : كلا ، شكرا .

(يخرج)

المنظر السابع

أوكتـــاف ، آلين ، ميريى

أوكتـــاف : (إلى ميريى) أصغى إلىّ الآن يا ميريى ، إننا لم نخبره بالحقيقة ، وأختى لم تفكر قط في . . . كلا ، لقـــد أنبأتْنا لتوها بأن الولد المسكين مصاب بداء قاتل .

مـــيريى : (مأخوذة) آه !

أوكتـــاف : وأظن أن زوجتى رأت من المستحسن — حتى لا تثير

قلقه – أن تتركه يعتقد . . . (إلى آلين) لقد كنت مخطئة ، على كل حال ، فلم تكن ثمة حاجة إلى تقديم تفسير له ، كما أنك جعلته نَهْباً للحيرة.

ميريى : (بعمق) وهكذا ، فإنه لضائع ؟

أوكتاف : هذا على الأقل ماتعتقد أمه أنها فَهِمَتْه ، ولكن ينبغى القول بأنها تضع الأشياء دائما في أسوأ موضع .

آلين : (في رزانة) أما هذه المرة فأخشى أن تكون على حق .

أوكتاف : ومن أدراك :

ميريى : وهو يتخيل . . . هذا مخيف !

أوكتاف : وهو في غاية السعادة لأنهم استطاعوا إبقاءه حتى هذه اللحظة في ذلك الوهم . فلوأنه أحس بهذا الخطر مُعلَّقا فوق رأسه . . .

ميريى : أجل ، ولكن خداع النفس على هذا النحو ، فيه إذلال ، إنه يُنْقص من قَدْر الانسان ، وأنا ، لوحدث لى شيء كهذا . . .

أوكتاف : لست أدرى إن كان آندريه يملك نفسا صلبة بحيث

يمكن أن تحتمل الحقيقة ، الواقع ، أننى أشك في ذلك .

آلـــين : (محتدة) أتجد من الكرم الحط من قيمته في مثـــل هذه اللحظة ؟

أوكتـــاف : أنا لاأحط منه ، وإنما أراه كما هو .

مـــيريى : أيستطيع قليل من الشفقة . . .

أوكتـــاف : عندى من الشفقة حظ وفير ، كل مافي الأمر ، أنها يمكن أن تـــأخذنا بعيدا (يتنبه إلى انه قد نطق كلمة خطرة ، فيسارع إلى الحديث عن موضوع آخر) أتعرفين أن هذا الـ « شانتاى » قد غادر البلاد ؟

مـــيريى : (في ارتباك) كلا .

آلـــين : كيف تريدأن تعرف ميريى ؟ . .

أوكتـــاف : ألم يقل لك شيئا عن هذه الخطة ، ذلك الصباح ؟

آلـــين : (إلى ميريى) اذن تحادثتما معا ، في هذه الأيام ــ الأخيرة ؟

مـــيريى : (بصوت خافت) لعبنا التنس صباح أول أمس .

آلـــين : لم تقصّى علىّ شيئا من هذا .

ميريى : (مازالت مرتبكة) لم يخطر حتى على بالى .. وفضلا عن ذلك، أنت تعلمين جيدا أنه يأتى كل يوم إلى ملعب التنس .

أوكتاف : هذا الرحيل المفاجئ غير مفهوم . قال للناس جميعا إنه ينوى الاستقرار هنا .

ميريى : (في جهد) ربما كان رحيله لبضعة أيام .

أوكتاف : يبدو على آندريه أنه يعتقد . . .

ميريى : (في صوت غير متميز) ماذا يعرف عن ذلك ؟

(تكون آلين قد جلست إلى المائدة ، وفتحت كتابا لاتقرؤه . ينظر إليها أوكتاف ، ويتعرف على وجهها تعبيرا مألوفا لديه .)

أوكتاف : سأذهب بنفسى لأرى ماصار اليه آندريه ,

(يخرج)

المنظر الثامن

ميريى ، آلين

(تظل ميريى حائرة في أول الأمر ، ثم لاتلبث أن تقترب من آلين وكأنها مدفوعة بقوة خفية)

ميري : ماما .. (آلين لا تجيب) ماذا تقرئين ؟

لين : لاأعرف .

ميري : كيف لاتعرفين ؟

آلين : (واضعة الكتاب) كلا (صمت) هذا أول حزن حقيقي تسببينه لى .

ميري : أنا ؟

آلين : (بصوت مرتجف) ولم أكن أعتقد أنك قادرة على هذا ...

(لاتتم جملتها)

ميري : أكلى .

آلين : لاأهمية للكلمة . ولايقتصر الأمر على أنك أخفيت عنى بعناية تلك المحادثة .. وإنما لهجتك منذ لحظة ، وتعبير وجهك حين قلت .. ولاشيء غير هذه الجملة : « لقد لعبنا التنس صباح أول أمس » في هذه الجملة حاولت أن تخدعيني .

ميري : ليس عندى حساب أؤديه لك ، ياماما .

آلين : لاتستخدمى هذه الكلمة ، إنها استهزاء .

ميريى : إذا كانت لدىّ أسبابى لالتزام الصمت حول مثل تلك المحادثة . . .

آلين : كان ينبغي أن تقولى لى بأمانة إنه لم يكن في وسعك أن تقصى علىّ شيئا .

ميريى : وهل كنت توافقين على ذلك ؟

آلين : دون صعوبة .

ميريى : لست من السيطرة على نفسى بحيث أتوقف في منتصف الطريق الخاص بإفضاء الأسرار .

آلين : (في رفق) من الأيسر أن يكذب المرء .

ميريى : إنك تهيننى !

آلين : ربما كان هذا هو الحزن الوحيد الذى أجد نفسى في حالة الشعور به .

ميريى : (مشتعلة) أريد أن أكون حرة في تصرفاتى ، — ومجرد فكرة أى . . . قهر . . .

آلين : ومن الذى يتحدث عن القهر ؟

ميريى : لن أوافق أبدا على أن أكون عبدة لأحد، كلا، كلا لن أكون عبدة لأحد على الاطلاق . . . ولو كنت قد صارحتُك بأننى رفضت أن أكون زوجته . . .

آلـــين : هل طلبـــك ؟

مـــيريى : ورحل ، لأننى قلت لا . . . فلو حكيت لك ، لبدا لى أننى رفضت لأنال رضاك ، وهذه فكرة — لاأحتملهـــا . .

آلـــين : ياصغيرتى . . .

مـــيريى : كان من الطبيعى جدا ألا أقول شيئا عن هذا الموضوع ولن تكونى امرأة ، إن لم تفهمى ذلك ولكن ، لست أدرى ، كأنك تفتقرين إلى حاسة من الحواس ! أوه ! لقد لاحظت ذلك في كثير من الأحيان ، ثم . . . أتسمعين ، إننى أريد أن أكون حرة ، وسأحتقر نفسى إن لم أكن كذلك أولا ، الأمر في غاية البساطة ، لأننى لن اكون عندئذ شيئا ، وأنتِ سأبغضك أنتِ أيضا . وحين تراودنى هذه الأفكار. أود لورحلت بلاعودة الى الأبد .

(حركة من آلين . صمت)

آلـــين : لم تكونى تبدين مكتئبة قليلا هذه الأيام الأخيرة .

آمـــيريى : أتلاحظيننا إلى هذا الحد !

لـــين : تصورى أننى كنت على وشك أن أتساءل عما إذا

كان هذا الرجل . . .

ميريى : لاأستطيع أن احتمل وضوح رؤيتك كل هذا الوضوح .

آلين : ولكن كلا ، لقد اخطأت ، على العكس ، مادمت قد خشيت لحظة ألايكون غير مكترث بك تماما .

ميريى : الواقع ، أنها كانت حماقة ، وهذا يجرحنى . . . (تحتد من جديد) ولكن ، لماذا الخوف ؟ فعلى فرص المستحيل اننى . . اجل ، حتى لو أننى أحببته . . .

آلين : على حسب ما أعرف ، أعتقد أنه كان يصبح تعاسة ؛

ميريى : ماذا تعرفين إذن ؟

آلين : ولحسن الحظ ، أمكن تجنب هذه التعاسة . . انه لا يعجبك ، مادمت قد رفضته .
(تأتى ميريى بحركات عصبية ، وكأنها تتخلص من شبكة غير مرئية)

ميريى : أنت تفهمين . . لو قلت نعم ، لما استطعت أن أحتمل أية علامة على الاستنكار .

آلـين : كنت سأبذل أقصى جهدى حتى لا أدعك تلمحين حزنى .

ميرلى : لست أدرى إن كنت تنجحين في ذلك . أنت أقل سيطرة على نفسك مماتظنين . فلو أنني عقدت عزمى ، وحاولت أنت أن تثنينى عن تنفيذه ، لما غفرت لك ذلك .

آلـين : أنت تعذّبين نفسك بلا طائل ، يا صغيرتى ، مادام لم يحدث شيء من هذا كله .

ميرلى : (بصوت خافت) إنها أفكار تجعلنى شبه مجنونة .

(صمت)

آلـين : انظرى كم كنت على صواب منذ بضعة أيام ، عنده توسلت إليك أن تضعى ثقتك فيّ .

ميرلى : لم تكن هذه غير كلمات لا يمكن أن تفيد شيئا .

آلـين : ولكن ثمة نتيجة أعتقد أنه يجب استخلاصها من كل ما قلته الآن . . . إن الحياة هنا بدأت تثقل عليك .

ميرلى : ولكن كلا ، وانما هذا اللوم الجائر هو الذى حيرّنى ، أجل ، الجائر . . . ثم هناك أيضا تلك المسألة البشعة .

آلـين : بخصوص آندريه ؟

ميريي : أجل . (صمت) أتعرفين أنه كان يحبني ؟

آلين : كنت أشك في ذلك .

ميريي : يا للولد المسكين ! ولكن لماذا بدأ منذ لحظة مبتئسا على هذا النحو ؟. وما كان ينبغي أن يفعل هذا أمامك أبدا

آلين : انه يعتقد أن والدته قد أحاطتنا علما بعواطفه نحوك .

ميريي : حتى ولو . . .

آلين : ثم انى أعتقد مخلصة أنه ليس تافها . . ربما كانت كل تلك الاذلالات التى كابدها أثناء الحرب .

ميريي : كان ينبغى أن تثير غروره .

آلين : كلا ، إنه كان يخجل من أنه لم يقاتل .

ميريي : كان في امكانه أن يرحل . . . لو أراد ؟

آلين : كان عملك يقول لى في كثير من الأحيان إنه كان ينبغى اجلاؤه في ظرف أربع وعشرين ساعة . .

ميريي : (متفكرة) هذا حق بكل تأكيد . . . ومع ذلك ، هذا الابتئاس عند رجل . .

آلين : عندما يكون مخلصا . . .

ميريي : لا أشك في أنك تحسنين به الرأى . (حركة تملص من آلين .) الواقع أن الخالة مارت لم تلمح أى تلميح إلى ؟ . . .

آلـين : صارحتني فحسب بأن آندريه يشعر نحوك . . .

ميريي : (مرتجفة) لماذا قالت لك ذلك ؟

آلـين : أعتقد أنها لم تكن ترمى إلى غاية محددة ، لابد أن ذلك لمجرد حاجتها إلى المكاشفة .

ميريي : وفضلا عن ذلك ، كيف يمكنها أن تفكر جيدا ؟.. أليس كذلك ؟

آلـين : نعم . (تتفحصها ميرى في قلق .) هذا واضح .

ميريي : (في حدة) آه ! هذا فظيع !

آلـين : ماذا تعنين ؟

ميريي : لا أستطيع أن أعرف فيم تفكرين .

آلـين : ومع ذلك ، مادمتُ على هذا القَدْر من قلة السيطرة على نفسى ...

ميريي : (في مرارة) بل إنك مسيطرة على نفسك أكثر من اللازم ...

آلـين : ثم ، ماهى الفكرة المفرضة التى تريدين أن تكون عندى ؟ تسألينني عما إذا كانت شقيقة زوجي تستطيع أن تواجه فكرة أن ... (حركة من ميريي) أنا أجيبك بأنني لا أعتقد ذلك .

ميريـــى : ولكن أنت ، أنت ...

آلــين : ياعزيزتى ، أنا لا أفهم إلام ترمى أسئلتك . أينبغى أن أستشف مافي نفسك ؟

مــيرى : (في عنف) إذن ، فأنت تتخيلين أننى فكرتُ في ارتكاب جريمة الانتحار هذه؟ إنى أُصِر على هذه الكلمة انتحار . ألا يفزعك هذا ؟ وتوافقــين في هدوء على أن في استطاعتى الزواج من هذا المحتضر ... الذى لا أشعر نحوه إلا بقليــل من الشفقة ، وربما بشىء من الاحتقار أيضا ؟

آلــين : أنت تؤلفين أشياء ، في هذه اللحظة .

مــيرى : كيف أؤلف أنا ؟

آلــين : ليس لى أن أوافق أولا أوافق . إنك لم تطلبى رأيى . وفضلا عن ذلــك ، من الواضح أشد الوضوح أنى لا أريد أن أؤثر عليك بأى ثمن .

ميري : (بصوت مكتوم) هذا شيء مفروغ منه .

آلين : كان في استطاعتى على أكثر تقدير ، محاولة افهامك نفسك .

ميري : (بصوت أكثر ارتفاعا) شكرا ...

آلين : ومن الممكن أن تخطئ لم إلى حد ما في التعبير عن عواطفك الشخصية حين قلت إنك لا تشعرين نحو آندريه . . .

ميري : إذن ، فانت تزعمين أنك تعرفيننى خيرا مما أعرف نفسى ؟ ...

آلين : جائز .

ميري : (بحرارة) آه ! لو كان والداى مازالا في هذا العالم ، لما سمحا بشيء من هذا ، ولدافعا عنى ضد نفسى .

آلين : ضد نفسك ، هذا إذن ...

ميري : لا هتما مهما بسعادتى ، هما الاثنين ! هيه !

آلين : (متألمة) ميري !

ميري : عفوا ، ولكنك أنت ، أنت إنسانة السعادة بالنسبة — إليها .. هذا شيء لا أهمية له . أوه ! أعتقد أننى لن أستطيع بعدُ أن أذوق لها طعما إلى الأبد . ولكن ، ليتنى كنت مخطئة ، أتفهمين ، ليتنى كنت مخطئة !

(صمت)

آلين : ثمة شيء مؤكد ، لو أن هذا الزواج .. (حركة من ميريل .) يقع منك موقع الانتحار ، فلا ينبغي التعرض له على الاطلاق .

ميريل : وكيف تريدين أن أعرف ؟

آلين : حين رأيت أنك أوقفت فكرك — وان لم يكن ذلك غير لحظة واحدة — عند هذه الفكرة قلت لنفسي ، ربما كانت الحقيقة تكمن هنا في واقع الأمر .

ميريل : أنت تدبرين للآخرين ، وتفكرين مكانهم .

آلين : كان يخيل إلىّ أنه بالنسبة لنفسٍ كنفسك ، نفسٍ أنضجها الألم ...

ميريل : أتسمين ذلك نضجا ؟

آلين : إن السعادة لا يمكن أن تكون سوى اسم آخر ل . نعم فلنقل للتضحية . . . (صمت) ربما كنتُ مخطئة . . . (بصوت خافت) أنت شابة . . .

ميريل : هذا الاحساس عندى أنا أيضا . . . كل ما في الأمر أنني أريد أن أكون متأكدة من انه أكثر . . لست أدرى ، أنا ، من مجرد أمينة .

آلــين : تشكّين في نفسك . . . الحياة هي العطاء ، وأنــت تعلمين ذلك جيدا .

مــيريي : أأنا جديرة بتوكيد ذلك ؟ . . . أجل ، يخطر هذا على بالى أحيانا ، ولكن ، لو أن ذلك لم يكن سوى ضرب من الحماس الكاذب لا يلبث أن يزول ، ثم . . . أمِن حقّى ذلك ؟ . . . (في رعشة) ربما لو لم أكن أعرف إلا . . قد يكون الأمر قصيرا . . . هذه الفكرة ربما لم تكن لتخطر لى . ولكن ، فكّرى إذن في هذه الخيانة. الاستغناء عن حل الأزمة . . . من يدرى ؟ أن يَنْفَد صبرى لو تأخر ، ياللبشاعة !

آلــين : (تضمها إلى صدرها) ولكن هذه كلها أشباح ، هذه الأفكار التى تراودك . . وستبدّدُها الحياة .

مــيريي : الحياة ! . . . لوكنتُ متأكدة — على الأقل — من أن هذه الفكرة هي حقا جزء من نفسى ، أجل ،. وأننى في النهاية جديرة بها ، . . .

آلــين : (بصوت هامس) لم أكن أعرف أنك على هذهالدرجة من العمق . . .

(تبتعد عنها ميريى فجأة)

ميريل : لعلها عدوى .

(صمت)

المنظر التاسع

نفس الأشخاص ، أوكتاف

أوكتاف : (داخلا) آندريه يشعر بتحسن ، وهو يريد الانصراف . ولكن لا أدرى من الفطنة أن أتركه يعود سائرا على قدميه . . . هل السيارة موجودة ؟

آلين : أنت تعرف جيدا أن إيفون قد أخذتها للذهاب إلى فيللينوف .

ميريل : وفضلا عن ذلك ، . فعندى كلمة أريد أن أقولها لآندريه ، قبل ان يذهب

(تخرج)

أوكتاف : ما هذا كله ؟ . . . أطالب بتفسير . ماذا جرى بينكما؟ أمن قبيل المصادفة ؟ ياللشيطان ، إن لها من الصحة النفسية ومن الحس السليم مايفوق الحد . . . يا آلين !

آلين : ليس من حقى أن أجيبك ، فليس هذا سرّى أنا .

أوكتاف : ها أنذا مُثَبّت في مكانى ، ولكننى لن أسمح بهذا ،

آه ! كلا ، على كل حال .

(يهم بالخروج)

آلـــين : (في هدوء تام) احذر .

أوكتـــاف : ما معنى هذا !

آلـــين : لا يبدو أن لديك أقل فكرة كم تغار ميريى عـــلى استقلالها .

أوكتـــاف : وبعـــد ؟

آلـــين : من الممكن أن تكفى كلمة طائشة تصدر عنك للتعجيل بالحدث الذى تخشاه .

أوكتـــاف : ألم تَعقَـد عزمها بعد ؟

آلـــين : لست أدرى شيئا .

أوكتـــاف : هذه مناورة لمنعى من الحديث إليها .

آلـــين : مناورة ! . . ولكن ، من تظننى في النهاية ؟

أوكتـــاف : لن أتركك تفعلين ذلك .

آلـــين : وهكذا ، تدعى ؟ . . .

أوكتـــاف : لقد استعبدتـِها . . أجل ، استأنستـِها .

آلـــين : آه لو سمعتك !

أوكتـــاف :إنها تحس بذلك إحساسا غامضا . . وسأتكفل بتنويرها.

آلـــين : أشك في أنها ستعترف بجميلك عن هذه التنويرات فضلا عن . . أن هذا زائف . فما من شخص يحترم حرية الآخرين أكثر مني .

أوكتـــاف : هذه ، ثالثة الأثافي ! . . كلا ، ولكن أتقولين ذلك على محمل الجد ؟

آلـــين : أتعرف أنك تصرخ ؟

أوكتـــاف : سيـــان عنـــدى ... إذا اعتقدت أنى لا أرى لعبتك بوضوح .

آلـــين : أوكتـــاف !

أوكتـــاف : هذا الحجر المعنوى لمصلحة ...

آلـــين : حذار !

أوكتـــاف : لمصلحة طفل مسكين لم يعد موجودا للحيلولة دونه ، ولاستنكار ما تفعلين !

آلـــين : كفى !

أوكتـــاف : هذا النوع من الكلاّبة التى تضغطين فيها على تلك الصغيرة التعسة ... هذا الاستبداد الذى يختفى تحت مظاهر الحنان ... ماما .. إنها تدعوك ماما !

آلـــين : كفاك ، يا أوكتـــاف !

أوكتـــاف : ثم ماذا ... أوه ! هذا أسوأ من كل شيء.. هذا الباب الذى تواربينـــه ، لأن الأمر يتعلق بشخص مشرف على الموت !

آلـــين : أيها البائس !

أوكتـــاف : (بقوة) لأن الأمر يتعلق بمحتضر ... أخذت ألاحظك منذ لحظـــة ، وأنت مع مارت . أنت التى لم تستطيعى أن تشعرى بها قط ... تلك الشفقة التى خـُدِعـَت بها ... هذا التهالك على الشقاء والموت . . (بصوت مكتوم) هذا ،إنه لفظيع ،لو لم تجدى شخصا سيّىء الحظ ، محتضرا تضعينه في طريق ميريى ، لـَمـَا سَمَحْتِ لها بأن تصنع حياتها من جديد .

آلـــين : هذا باطل ، لقد قلتُ لها ذلك عشرين مرة ...

أوكتـــاف : ليست الأقوال هى التى يُعْتَد بها ، وأنت تعلمين ذلك جيدا .

آلـــين : لقد وعدتُها ...

أوكتـــاف : بتسامحك ؟ مامن وسيلة أضمن لتقييدها من ذلك . كان ينبغى المطالبة بأن تتزوج فتى سليما ، قويا ..

إنها خُلِقَتْ لتعيش ، لتحب . .

آلـين : وهكذا ، ريمون ...

أوكتـاف : كلا ، كلا لاتقولى إن هـذا من أجـل ابنك ، إنه من أجلك أنت ، انه على سبيل ... لا وجود لكلمة يمكن أن تصف هذا ، لا وجود لكلمة . قمت باستغلال حزنها ، وهواجسها ، وإعجابها بك ... استخدمتِها جميعا لاحكام تقييدها والآن عندما راودها الوهم بالافلات ، ها أنت أيضا . . .

آلـين : أنت فصيح ، ولسوء الحظ ، لديك من الأسباب ما يدفعك إلى النسيان ، ولأن تريد أن ينسى كل من حولك . أما أنا ، فأتذكر كل شيء ، هذه هي جريمتى الكبرى ، ومن الطبيعى أن تمقتنى ، إنك تمقتنى في هذه اللحظة ، يا أوكتاف ....
والا لما الصقت بى هذه الصفة ..... أنا ، خائنـة !

أوكتـاف : ربما لم يكن هذا من الخيانة ، ربما كنت لا تدرين أنت نفسك ...

آلـين : (في نوع من الاحتقار) كلا ، اذهب ، الأمر لا يستحق هذا العناء ، انى أعفيك ... لم تبق إلا كلمة أريد أن أقولها .. ميريى . . الظمأ إلى التضحيـة ،

إلى المطلق ، ذلك الظمأ الذى يستولى عليها ، إنسان مثلك لا يستطيع حتّى أن يفطن إلى وجوده .

أوكتـاف : ميريى ؟ إنها تحب « شانتاى » ، هذه هى الحقيقة »

آلـين : هذا خطأ .

أوكتـاف : إنى أؤكده لك أنا .

آلـين : لو كان ذلك حقا ، فلتخبرنى به في وجهى »

أوكتـاف : لن تحصلى منها إلا على الأجوبة التى تتمنينها ، إنى أكرر عليك ، لقـد استعبدتيها .

آلـين : ليس هذا ممكنا .

أوكتـاف : فكرها الحقيقى ،لن تعرفيه أبدا، هذه هى عقوبة المستبدين . بل ، إنها هى نفسها ستكف عن معرفة هذا الفكر حالما تكون معك تكون معك ... والآ ن ، أصغى إلىّ ، ما دامت الأمـور قـد وصلت إلى هذا الحد ... حسن ، لم يعد لى سوى دور ينبغى أن أقوم به . هذا المساء ، سأكون قد غادرت فرانكليو ، لكيلا أعود إليها أبداً .

(نراه وقد رفع يده فجأة إلى صدره . يمكث لحظة بلا حراك ، وعلى وجهـه تعبير عن الألم . يبدو وكأنه ينتظر كلمة ولكنها لا تأتى ، ثم يخرج مهرولا)

المنظر العاشر

آلــين ، ثم ميريــى

(تبقى آلين في بداية الأمر صامته دون حراك ، ولكن من الواضح أنها تناضل الكلمات التى تفوّه بها أوكتاف لتوّه . تغمغم وقد استولى عليها ضرب مــن الدهشة الخانقة .

آلــين : أنا يصمنى بالخيانة ليس هذا حقاً ، ليس هــذا حقاً (ومع ذلك يشتد قلقها ، فتتهاوى أخيرا على ركبتيها يائسة . وفي هــذه اللحظة تدخل ميريى ، وهى شديدة الشحوب ، وتقول بصوت هامس

مــيريى : كان ينبغى أن أقول له إنى أحببتــــه ...

« ســـتار »

الفصل الثالث

(بعد عام . في بيت آندريه وميريي . صالون حسن الاضاءة ينفتح بواسطة نافذتين على شرفة . يوم من أيام نوفمبر . والساعة الرابعة .)

المنظر الاول

ميريي ، أوكتاف

(ميريي جالسة على مقعد وثير ، تشتغل التريكو ، يجلس على اليمين أوكتاف الذى لم يخلع معطفه بعد ، ويمسك بيده لفافة .)

ميريي : ولكن ينبغى أن تخلع معطفك ، اذ أخشى أن تُصاب بالبرد عند خروجك .

أوكتاف : شكرا ، لن أمكث غير لحظة واحدة .

خادمة : (داخلة) هل دقّت سيدتى الجرس ؟

ميريي : آنا" ، ينبغى أن تعدى مدفأة القدمين للسيد . فانا متأكدة من أنه سيعود بقدمين مثلجتين . وتستطيعين أن تغلقى مصاريع النوافذ البرانية (الشيش) فقد هبط الليل تقريبا .

الخـــادمة : سمعا وطاعة يا سيدتى .

(تخرج)

أوكتـــاف : ما هذا التريكو الذى تشتغلينه بهذا الحماس ؟

مـــيرِيِى : جوارب للأطفال الذين تحت رعايتى .

أوكتـــاف : (بلهجة عدائية) آه ! أجل ، تحت رعايتك .

مـــيرِيِى : الواقع أننا ننظم حفلا للبيع في الشهر القادم ، وأنـــا أعتمد على كرمك .

أوكتـــاف : تعلمين أننى لا أقدّر أبدا أعمال البر والاحسان التى تقوم بها الشابات . إنها فضيلة العجائز . ان المترمتات، وراهبات الاحسان اللواتى تلتقى بهن في تلك المؤسسة..

مـــيرِيِى : (في رزانة) انى أحب الراهبات حبا جمًّا .

أوكتـــاف : تبا لهن ! عندما يرى المرء الحياة التى ساقتك إلى هنا. .

مـــيرِيِى : أتُراك حريصا على أن تجعلنى أتألم ؟

أوكتـــاف : إطلاقـــا .

مـــيرِيِى : على كل حال ، ربما لم يكن ذلك يسيرا جدا عليـــك. في الماضى ، أتَذْكُر؟ ، كنتُ نفوراً ، وكنـــتُ أُثار بسهولة . والآن ، لم يعد هذا يحدث لى اطلاقاً .

أوكتاف : الحمد لله .

ميريى : هذه علامة على أننى وجدتُ طريقى .

أوكتاف : (بلهجة متباعدة) نعم ، نعم . . .

ميريى : السلام الجوانى .

أوكتاف : يا صغيرتى ، إنى أحمل إليك الكتاب . . . لقد صدر صباح اليوم .

ميريى : (بانفعال) آه ! كتابنا ! . . .

أوكتاف : أوه ! كلا ، ينبغى ألا تقولى بعدُ كتابنا . كان ذلك جميلا في حينه . (ميريى تهم بفض اللفافة .) كلا ، كلا ، اطّلعى عليه فيما بعد ، كل ما أطلبه منك هو ألا تطّلعيه عليه .

ميريى : أتقصد آندريه ؟

أوكتاف : أجل فهذا لا يعنيه في شيء . أولا ، لأنه لم يكن موجودا هناك ، ولهذا لا يمكن أن يهمه هذا الأمر . ثم ، إنه قد يبدى ملاحظات . . . وأخيرا ، أنالاأدرى شيئا . اتفقنا ، أليس كذلك ؟

ميريى : كما تشاء . ومع ذلك . . .

أوكتاف : انى حريص على ذلك . اذن ، هاهوذا ، والآن أستطيع أن استعد للرحيل دون نية سيئة .

مـــيريي : أبي !

أوكتـــاف : آه ! كلا ! لا ينبغي أن تخلعي عليّ بعدُ هذا الاسم . هي ، أما زلتِ تنادينها بماما ؟ الحقيقة ، إن هذا لم يعد يعنيني .

مـــيريي : لا أستطيع احتمال الشعور بانك يائس .. إلى هذا الحد.

أوكتـــاف : لا داعي لاستخدام الكلمات الضخمة ، أرجوك . لماذا تريدين ان أظـــل على تمسكي بالحياة ؟

مـــيريي : (متلعثمة) إيفون ... (يهز أوكتاف كتفه .) الصغير ...

أوكتـــاف : جاكو . أجل ، في الايام الأولى ، حاولت ، ، واعتقدت ... ولكنه لا يشبه ابننا .. لا يشبه ابني . انه سيبيع سيارات كأبيه ، وسترين . كان ينبغي اتخاذ عـــادات جديدة . كل ما في الأمر ، أن المسألة صعبة ، كما تعرفين ، في سني . لا يمكن أن يتخيل المرء كم هو صعب . خذى مثلا ، القراءة . لا مجرد كتيب من حين إلى آخر ، بل القراءة طيلة أيام ...

ـــيريي : (في رفق) هذا يرهق العينين .

أوكتـــاف : بعد بضع دقائق ، ألاحظ أنـــني لست منتبها . هذا مضحك جدا ... ربمـــا لو كان لديك ابن ،

أنت ربما جعلنى ذلك .. ؟ تصورى أننى منذ ستة أسابيع ، تخيلت أن ثمة شيئا في الطريق . (حركة من ميريى) لست ادرى بالضبط لِمَ تَوَارَدَ علىّ هذا الخاطر . (صمت) وهو ، كيف حاله ؟

ميريى : (فى مرح مصطنع إلى حد ما) في المرة الأخيرة التى تحدثت فيها إلى طبيبه ، كان مشجعا بشكل قاطع . وقال إنه بشىء من الحيطة والحذر يمكن أن نأمل في الكثير . وفضلا عن ذلك ، يبدو على آندريه التحسن منذ مدة .

أوكتاف : آه !

ميريى : وكان من الممكن أن تلاحظ ذلك ، دون هذا الموقف المُسبَق .

أوكتاف : ليس عندى أدنى موقف مسبق .

ميريى : (متهيجة) انت تريد على نحو مطلق ، أن يسير كل شىء هنا إلى الأسوأ ، لأنك تحلم من أجلى بسعادة مستحيلة لا أدرى لها كنها ، أجل ، أجل ، مستحيلة ، أنت لا تستطيع أن ترضخ لفكرة أننى قد وجدت ما أرْضِى به روحى .

أوكتاف : دائما روحك !......

ميريي : ومع ذلك ، فهذه هى الحقيقة . أنا موجودة ، طالما هناك آخر يحتاج إلىّ . انى أتذكر عبارة استرعت نظرى في هذه الأيام الأخيرة .. لا أدرى في أىّ كتاب : « لا نبلغ الحياة الحقة إلا إذا سمونا فوق أنفسُنا . » هذه الجملة ، ألا تشعر بما فيها من جمال ، ومن حق ؟

أوكتاف : (في جفاء) أنا لا أحب الاستشهادات .

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ، آندريه

(الذى يدخل لاهثا إلى حدما ، وممسكا بيده برقية)

ميريي : (في شيء من العتاب) لِم لَمْ تأخذ المصعد !

آندريه : صباح الخير ، يا خالى أوكتاف

وكتاف : (في برود) صباح الخير .

ميريي : ما هذه البرقية ؟

آندريه : (يناولها إياها) لقد سلموها لى الآن . (يخفض صوته قليلا .) إنها من الخالة آلين .

أوكتاف : (مرهفا سمعه) ماذا ؟

آنــدريه : (مرتبكا ، وبصوت أكثر ارتفاعا) إنها من .. الخالة آلــين .

أوكتــاف : (في برود) أهى عادت؟

آنــدريه : منذ هذا الصباح .

أوكتــاف : وهل هى على مايرام ؟

مــيريل : (بلهجة مترفعة) هذا ما نفترضه .

أنــدريه : ستأتى للغــداء .

أوكتــاف : (ناهضا) أما أنا ، فسأرحل .

آنــدريه : (في خجل) أصْغ إلىّ ، ياعماه . . .

أوكتــاف : ماذا هناك ؟

آنــدريه : من المؤلم لنا غاية الألم . . .

مــيريل : آندريه ، انتبــه . . .

آنــدريه : ان نسمع بان بين الخالة آلين وبينك . . .

أوكتــاف : مــاذا ؟

آنــدريه : يوجد هذا . . . يوجد سوء تفاهم .

أوكتــاف : لا وجود لأى سوء تفاهم . لم يوجد قط سوء تفاهم

آنــدريه : ألا تعتقد أنه بالارادة الطيبة من هذا الجانب وذاك؟ . .

أوكتـــاف : حقـــاً !

نـــدريه : الرغبة المخلصة في التفاهم . . .

أوكتـــاف : ولكن كيف إذن !

آنـــدريه : في سنك ،يكون من البشاعة . . . .

أوكتـــاف : (منفجرا) اهتم بشئونك ، أليس كذلك ؟

آنـــدريه : إذا استطعنا أن نُسْهم . . . ميريى، ألستُ على صواب

مـــيريى : (بصوت لا تعبير فيه) بلاشك .

أوكتـــاف : إلى اللقـــاء .

مـــيريى : متى تعـــود ؟

أوكتـــاف : ســـأمرُّ ، في يوم من الأيام . . آه ! ولكن كـــلا الواقع ، أنها الآن بعد أن عادت . . .

مـــيريى : ابْعَثْ الينا رسالة ،إشارة تليفونية . . .

أوكتـــاف : هيه ! التليفون وأنا . . . على كل حـــال ، سنرى . ولكن ، كل ما في الأمر ، يا آندريه ، لا كلمة عـــن هذا الموضوع . والمسألة في غاية البساطـــة . عند أول تلميح ، سأرحل ، وإلى الأبد .

آنـــدريه : يا خالى ، يالك من عنيد !

ميريى : آندريه !

أوكتاف : (متمالكا نفسه بصعوبة) إلى اللقاء.

(يخرج)

المنظر الثالث

ميريى ، آندريه

آندريه : إنى مندهش من أنك لم تسانديني .

ميريى : (دون أن ترد عليه) قلتُ لهم أن يجهزو لك مقْدما(١) دافئا . لا بد دائما من تكرار كل ما أقول .

آندريه : المسألة لا تستحق كل هذا العناء . لماذا لم تجيبى علىّ ؟

ميريى : إذا أردتَ أن أقول لك كل ما جال بخاطرى ، فانى لا أرى أنك كنتَ شديد اللباقة .

آندريه : وهل كانت المسألة مسألة لباقة

ميريى : ليس علينا أن نقوم بينهما بدور المُحَكمين ...

آندريه : ومن الذى تحدث عن هذا ؟

ميريى : ولا حتى أن نتدخل بأية صورة من الصور .

(١) المقدم : خشبة توضع عليها القدم عند الجلوس ، وهى ترجمة كلمة Talouret

آنـــدريه : أمّا أنا فلى رأى آخر . حين أفكر في الوحدة التى تعانيها الخالـــة آلين ... على كل حال ، ضعى نفسك مكانها .

مـــيريى : هذا شيء في غاية الصعوبة . (صمت) أنا سعيدة لأننا سننعم بلحظــــة هدوء صغيرة قبل وصولها.

آنـــدريه : أتريدين أن أطالع لك ؟

مـــيريى : كلا ، كلا ... اجلس بجوارى فحسب ، واضعا يديـْك بين يدىّ .

آنـــدريه : شاهدت في شارع فيكتور هوجو بيانو من طراز جافو معروضا للبيع بثمن معقول . . ألا تحبين الذهاب لتجربته ؟

مـــيريى : (في حنان) شكر ا ، ياعزيزى . أنت تعرف ما قلتـُه لك ... الموسيقى لا تنقصنى .

(صمت)

آنـــدريه : ألســـــتِ حزينة ؟

مـــيريى : (بلا حماس) كلا .

آنـــدريه : كنت أخشى دائما ان تحقدى علىّ لما حدث .

مـــيريى : هذا شيء صبيانى .

آنـــدريه : هل أخبرت العم أوكتـــاف ؟

مـــيريى : كلا .

آنـــدريه : (بحرارة) هذا أفضل . أنا لا أحرص على أن يعرف مالا يسير على ما يرام .

مـــيريى : وأنا مثلك .

آنـــدريه : والخالة آلين ؟

مـــيريى : ماذا ؟

آنـــدريه : ألم تشركيها في خيبة أملنا ؟

مـــيريى : ولكنها لم تكن تعرف أن لدينا اسبابا للأمل .

آنـــدريه : (بصوت خفيض) أنا ، كتبتُ إليها !

مـــيريى : دون علمى ؟

آنـــدريه : لماذا كل هذا الاستسرار حول شيء بهذه البساطة وهذا الجمال ؟ أنا أعرف ما سيبعثه من سرور في نفسها . . ولا أجد من نفسى الشجاعة بعـــد لا خبارها ... يبدو كأنها ترصد كل ما يمكن أن يحدث لنا من أمور سعيدة .

مـــيريى : إنه حق تماما ، هذا الذى تقوله . ولكننى لا أحب كثيرا – على وجه التحديد أن يتخذوا هذا الموقف .

أندريه : (عاتبا) تقولين « يتخذوا » عند الحديث عن الحالة آلين ؟

ميريي : عجبا ، إنك لمضحك .

آندريه : (بمرارة) هذا عجيب ، أحيانا ، يكون عندى الانطباع بأن مشاعرك نحوها ليست كما كانت في الماضى تماما .

ميريي : هذا قول ينقصه الدقة ، ولكن ، إذا حدث على سبيل المصادفة أن ...

آندريه : سيكون هذا مصدر حزن عظيم لى .

ميريي : وما تأثير هذا عليك ؟

اندريه : أرأيتِ ، أنت لم تعودى تُنْكرينه . . بين الحالة آلين وبينى ، ثمة شىء كالرابطة .

ميريي : (في عمق) هذا صحيح في جوهره .

آندريه : آه ... ياللطريقة التى قلت بها ذلك !

ميريي : ولكن ، أتعرف أنك تفزعنى ؟

آندريه : الحالة آلين ــ في حياتنا ــ شيء مهم !

ميريي : أوه ! أنا أعرف ذلك جيدا .

آنـــدريه : قد يبدو لك هذا غريبا ، ولكننى أذهب إلى القول بأنها شخص أهم من أمى .

مـــيريى : (تتنهد) من الجائز أنك على صواب .

آنـــدريه : أولا ، إنها في حاجة شديدة الينا ... لا شيء في حياتها سوانا .

مـــيريى : يمكن أن يقال مثل هذا القول أيضا عن زوجها .

آنـــدريه : كلا ، أولا ، لأنه أقل حساسية بكثير . وهو يفتقر إلى الرقة ... ألا ترين ذلك ؟ ... أنا الذى اعتقدت أنك ستكونين في غاية من السرور لرؤيتها مرة أخرى..

مـــيريى : ولكن ، أنا مسرورة ، كل ما في الأمر ..

آنـــدريه : ماذا ؟

مـــيريى : كأننى أشعر بقليل من الخوف . لا يعرف المرء أبدا ما تحمله الخالـــة آلين ، معها بالضبط .

آنـــدريه : لم أعرف شخصا أكثر منها وفاءً .

مـــيريى : حين تكون حاضرة ، أو منذ أن يشعر المرء أنها قريبة منه ، لا يعود كمـــا كان ... وكأنما يرى كل شيء في ضوء آخر .

آنـــدريه : (في قلق) ماذا تقصدين ؟

ميريى : هذا شيء لا أهمية له .

آندريه : أنا — كما لعلك تفهمين — أحب أن أكون لها ... شيئا كابنها الذى فقدته . أليس كذلك ؟ لقد شعرت شعورا قويا بأنها تبنتنى . وأنت ؟

ميريى : (بسخرية خفية) أجل ، أجل : أنا مثلك ، لقد احسست فورا بهذا الانطباع .

(طرقات على الباب)

آندريه : ما هذا ؟ (يذهب ليفتح الباب .) كيف ، أهذا أنت ، ياخالتى آلين ؟

لم نسمعك تدقين الجرس .

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ، آلين

آلين : ياطِفْلَيَّ !

(تعانقهما .)

ميريى : (في لهجة آلية) ماما !

آلين : يبدو لى أن الوقت الذى فات منذ أن التقينا كان طويلا جدا .

آنـدريه : ولنا نحن أيضا . !

آلـين : أولا ، أى صحة تلك الذى تبدو عليك ؟ (إلى آندريه) يكاد المرء يقول إنك أقل نحافة مما كنت منذ ثلاثة شهور ؟

آنـدريه : إن صحتى على ما يرام تماما .

آلـين : (في اندفاعة) ما أشد غبطتى !

(حركة من ميريى)

مـيريى : هِمْ ! على ما يرام تماما ! لا تبالغ في شيء ومع ذلك ، فان صحته أحسن من الشهر الماضى .

آلـين : وأنت ، يا عزيزتى ؟ (تتفحصها بعناية .) أنت لم. . .

مـيريى : يبدو أن آندريه قد كتب إليك ؟ . . .

آلـين : (في انفعال مفرط) أتُرَاها كانت غلطة ؟

آنـدريه : (وكأنما في شيء من الابتئاس) منبئا بخيبة أمل .

آلـين : أهو حادث ؟

مـيريى : هذه كلمة كبيرة جدا .

آلـين : (بصوت يخنقه الانفعال) ماذا جرى ؟

مـيريى : (بعصبية متزايدة) لا ينبغى أن يؤخذ هذا الأمـــــر مأخذاً مأساويا .

آنـدريه : ذهبنا للعشاء عند أولاد عم يقطنون شارع «لاسومسيون

آلـين : (في لهجة استنكار) تخرجان في المساء !

ميـريل : وعند عودتنا ، اشتكى آندريه من أنه متعب قليـلا ، وفي ذلك الحي يصعب على المرء أن يجد سيارات في المساء . ومرت سيارة أجرة خالية ، فعدوتُ قليـلا لكي ألحق بهـا .

آنـدريه : حاولت أن أمنعها من الجرى .

آلـين : كان الخطأ في الذهاب إلى هناك .

ميـريل : وليس في الامكان أن نترهب أيضا . . . ومن جهـة أخرى . لا أحب أن يخرج آندريه بدونى ، إذ لاأشعر بالاطمئنان حين يكون بعيدا . فى أحد الأيام ، كاد يقع مغشيا عليه . . . ولم يكن هو الذى قص على ذلك

آلـين : أنا يائسة . . . (إلى آندريه) حين تلقيت خطابـك ، أحسست بابتهاج ليتك تعرف مقداره !

آنـدريه : طبعـا !

ميـريل : كل هذا يُثْبِت أنه لا ينبغى التصريح بمثل هذه الأخبار قبل أوانها كثيرا .

آلـين : وكنتُ قد كوّنتُ كثيرا من المشروعات فعلا !

ميريي : هذا شيء يفتقر دائما إلى الحيطة .

آندريه : وبعد كل شيء ، إذا مضت بضعة أشهر من الآن . . .

آلين : فلنأمل . . . ولكن ، أتوسل إليك يا عزيزتي ، أن تكوني عاقلة .

آندريه : إنها تريد أن تعود غدا إلى جمعيتها الخيرية ، وهذا مبكر قليلا .

آلين : أأنت مشغولة بجمعية خيرية ؟

ميريي : ينبغي أن أملأ حياتي قليلا .

آندريه : لاشك أن خالتي آلين ترى مثلي . . .

ميريي : (بجفاء) ماذا تريد ؟ إني آسفة .

(صمت)

آلين : تعلمان أنني لم أر شيئا بعد في شقتكما .

ميريي : إننا لم نستقر بعد .

آندريه : سترين مع ذلك أنها لائقة جدا .

آلين : لم أكن أتصور حجرة الجلوس بهذه الرحابة . ومن الحق أنكم حين تحصلان على بيانو . . .

ميريي : لن يكون لنا .

آلين : لماذا ؟

ميريى : آندريه لا يحب الموسيقى . وأنا – فضلا عن ذلك ، قد علانى من الصدأ . . .

آلين : يبدو لى من الخسارة أن تهجرى . . . . .

ميريى : (في مرارة) خسارة ! لمن ؟ أعزف لنفسى وحدها . . وفضلا عن ذلك ، متى أجد الوقت للدراسة ؟

آلين : ها أنت تجدين الوسيلة للذهاب إلى جمعية خيرية .

ميريى : (في حيوية) هذا شيء مختلف ، فهناك، أكون نافعة .

آلين : (إلى آندريه) في الواقع ، أنا أفهمها قليلا .

آندريه : أجل ، إن هذا من رأيك . (حركة من ميريى) ترى الخالة (مخاطبا ميريى) آلين انه من الطبيعى جدا أن يُكرس المرء نفسَه لأمر ما . وأنا أتذكر أن ريمون كان يقول أحيانا : « هذا عجيب ، إن أمى إنسانة تحب التعساء » وأضاف : « أما أنا ، فانهم يثيرون خوفي . »

(صمت)

ميريى : (متمالكة نفسها) وما الأنباء التى تحملينها إلينا من هناك ؟

آلين : لا أرى شيئا مثيرا يستحق أن أقصه عليكما .

آندريه : أكلهم على ما يرام ، عند آل موريل ؟

آلين : على ما أظن . قلت لك إن علاقتنا انقطعت .

آندريه : وذلك الولد الذى كنت أراه مزعجا إلى أبعد حد ؟

آلين : (مرتبكة) لا أدرى إلى من تشير .

آندريه : شانتاى . إلام صار أمره ؟

آلين : (مذهولة) ولكن ...

آندريه : ماذا ؟

آلين : أنا ...

آندريه : أحدث له شيء ؟

آلين : أنتما لا تقرآن الصحف إذن ؟

ميرى : وهل تهتم به الصحف ؟

آلين : (بصوت شديد الخفوت) حادث سيارة .

آندريه : كيف ؟

آلين : وقع له حادث سيارة .

آنـدريه : ثم ماذا ؟ (حركة من آلين) هل مات ؟

آلـين : أجل .

آنـدريه : يااللفتى المسكين ! (يلتفت صوب ميريى التى لم يتحرك وجهها .) أتسمعين ؟

مـيريى : إنه لشىء محزن .

آنـدريه : لابد أنه كان يقـود سيارته كالمجنون .

مـيريى : (على الرغم منها) من أدراك ؟

آنـدريه : كانت تبدو عليه هيئة المغامر .

آلـين : (متحفظة) لا أعتقد أنه هو الذى كان يتولى القيادة .

آنـدريه : أكان هناك ضحايا آخرون ؟

آلـين : وهى جُرِحت جرحا خطيرا .

آنـدريه : هى ؟

آلـين : الانسانة .. التى كانت معه .

آنـدريه : آه ، عشيقته .

(صمـت)

مـيريى : (مسيطرة على نفسها) ولم تحدثينى بشىء عنك، عن

مشروعاتك ؟ (تمرر يديها على جبينها .) إن لدى دائما صداعا غامضا ، هذه الأيام الأخيرة .

آندريه : أتريدين قرصا ؟

ميريي : كلا ، شكرا .

آندريه : (الى آلين) ذهبت لمشاهدة الشقة الصغيرة في شارع أودينو .

آلين : لن آخذها .

آندريه : أحسن ، فقد بدت لى كئيبة .

آلين : سأبحث عن بنسيون عائلى .

آندريه : هم ! أنت التى تمقتين الضجة ، حركة الغدوّ والرواح . . .

آلين : لن أنزل إلا لتناول الوجبات .

آندريه : يالها من حياة !

ميريي : كثير من الأشخاص خُلِقوا لمثلها .

آندريه : وفي الانتظار ؟

آلين : لوتيسيا .

آندريه : (في حماس) آه كلا ، فهذا – مثلا – مالن نقبله .

هنا حجرة لانفيد منها . . كلا ، كلا ، لاتحتجى .
لا نفيد منها . . كلا كلا ، لا تحتجى . سأقول لهم أن يضعوا المناشف ، والملايات ، وسيذهبون لاحضار حقائبك من لوتيسيا .

(يخرج)

المنظر الخامس

ميريـــى ، آلـــين

آلـــين : (الى آندريه الذى يخرج) عجبا لآندريه ، عجبا ، ولكن هذا مضحك . (يغلق الباب مرة أخرى .) ميريى ، عزيزتى ، اخبرينى عن هذه الحادثة التى وقعت لك . . . هذا جد فظيع ، لا استطيع احتمال فكرة أنك كدت ... وهو ، كيف حاله ؟ إنه شديد الشحوب .

مـــيريى : على شـــرط أن يتصرف بحكمـــــــة ...

آلـــين : أجل ، أجل ، ياإلهى ، على شرط ...

(تتوقف)

مـــيريى : (في سخرية قاتمة) أن يتسع لنا الوقت ليكون لدينا آخر ....

(صمت . تنظر إليها ميريى وعلى وجهها تعبير عن البغض ، آلين لا تلحظه .)

آلــين : عندما قرعت الجرس منذ لحظة ، لا يخطر على بالك مدى القلق . .

مــيريى : بلى ، بلى ، إنى أعرف . .

آلــين : يساورنى الخوف أحيانا من ألا تكونى سعيدة ...

مــيريى : (في جفاء) آندريه طيب جدا ... وهو يحبنى حبا مفعما بالحنان . وأنا أحيا الحياة التى اخترتُها ... (في عنف مباغت .) التى اخترتُها أنا .

آلــين : (على الرغم منها) أأنت واثقة من ذلك كل الثقة ؟

مــيريى : لا أسمح لك بالشــك في ذلك .

آلــين : (وكأنها تلقتْ ضربة) يامغيث !

مــيريى : (بصوت أخذ البكاء يطغى عليه شيئا فشيئا إذا كنتُ قد قررتُ أن أتزوج من آندريه ، فذلك لأنى أعرف أنني لن أجــد عــند غيره ســوى خيبــة الأمل . . سوى المرارة ، ولم تكن عندى لا القوة ، ولا الرغبة ، أتسمعين ، ولا الرغبة للبحث عن ضروب معينة من .. الاشباع . وكان ما ينقصنى هو راحة

البال ، وسكينة القلب . وقد أنت ... وإنى لأ ...

(تنخرط في البكاء)

آلين : ولكنك تبكين ! أنت تبكين ! إنك تكذبين على نفسك . (حركة من ميريى) ياصغيرتى ! إذن ، ، فهذا حق ! إنها غلطتى ! وهذا التعس « شانتاى » ، كان يمكن ...

ميريى : (في نوع من الهياج) ولكن ماذا تحاولين دفعى إلى قوله ؟ إن ضروب ندمك تصنع من الشر بقدر ما يصنعه استبدادك ! آه ! إنى أمقتك !

المنظر السادس

نفس الأشخاص ، آندريه

آندريه : هاهى ذى الأوامر قد أُعْطِيَتْ. وبعد ، ماذا حدث ؟

آلين : هذا بمناسبة ما أصابكم من خيبة أمل .

آندريه : (في قلق متزايد) ولكن المسألة على كل حال ليست نكبة حقيقية

آلين : بالطبع .

آندريه : انها ليست كما لو كنا فقدنا طفلا. ثم إن الحياة مازالت كلها أمامنا .

آلـين : (بانطلاق مصطنع) أجل . بكل تأكيد ، الحياة كلها ! (ينظر إليها آندريه ، فتبدر منه حركة تراجع .) ياعزيزتى ، ألا تعتقدين ذلك ؟ ..

ميريى : كلا ، كلا ، كفانا أقوالاً . . تكونان لطيفين جدا لو تركتمانى . . فلم أعد أستطيع ، لم أعد أستطيع . . (تجلس على مقربة من المدفأة ، وتستغرق في تأمل ألسنة اللهب . حوار صامت بين آندريه وآلين ، تخرج هذه الأخيرة في رفق بعد أن تشير إلى آندريه بالبقاء)

المنظر السابع

آندريه ، ميريى :

آندريه : (مخاطباً نفسه في قلق) الحياة كلها !
(صمت . يقترب من ميريى ، يركع إلى جوارها ، ويسدد إليها بصره .)

ميريى : طلبتُ أن تتركانى وحدى . .

آندريه : ثمة شىء لا أفهمه . أنت لاتتحدثين كالمعتاد .

ميريى : لقد حذرتُك .

آندريه : ليست هذه غلطة الخالة آلين . إنها لم تتغير .

ميريى : (في حدة) هذا صحيح . (فجأة) أصغ إلى ، انت

عَرَضْتَ عليها منذ لحظة أن تقيم معنا ...

آندريه : موقتا .

ميري : حتى موقتا .. الأمر غاية في البساطة : أنا ، لا أريد

آندريه : لماذا ؟ (صمت .) لماذا ياميري ؟

ميري : هذا شيء لا جدوى منه فلن تفهم ..

آندريه : (بقوة) إنى أريد أن أفهم . لن تنكرى على كل حال أنّ علينا واجبات كبيرة نحوها .

ميري : (في عنف) ليس هذا صحيحا ، فنحن لا نلتزم بأية واجبات نحوها .. ثمة حقيقة واقعة ، هى أن الحياة لا تُحتَمَل إلا إذا كانت بعيدة !

آندريه : (بصوت مرتجف) كيف ! إذن .. فأنت تأخذين عليها مأخذا ؟

ميري : (تعود إلى تمالك نفسها) مامن مأخذ خاص . ولكنها إنسانة لا تنمحى أبدا ... انسانة تحول بينك وبين الوجود .

آندريه : أتأخذين عليها أن لها شخصية قوية جدا ؟

ميري : فليكن

آنـدريه : أقوى من شخصيتك ؟

ميـري : هذا جائـز .

آنـدريه : ليس هذا من الامتياز في شـيء .

ميـري : اتفقنا ، أنا تافهة .

آنـدريه : ولماذا تتبدلين عندما تكون موجودة ؟ أؤكد لك أنه منذ لحظة ، كان يمكن أن يقال عنك إنك تعسـة . . وأنك لا تحبينني . أو لعلها الحقيقة ؟

ميـري : آنـدريه !

آنـدريه : قولي : أهذه هي الحقيقة ؟

ميـري : أنت مجنون : كلا . . كل ما في الأمر ، انها في شدة الخوف – أفاهم أنت – من ألا تسير كل الأمـور إلى الأحسن .

آنـدريه : لأنها تحبنا !

ميـري : إنها تتمنى – في الظاهر – سعادتنا .

آنـدريه : أنت تلومينها ؟ هذا شيء بشع .

ميـري : إن لها أسباباً قوية للغاية لتمنى تلك السعادة .

آنـدريه : ما معنى هذا ؟

ميريي : (متمالكة لزمام نفسها) انظر : هذا شيء فريد ، لم يمض على مجيئها إلى هنا غير ساعة ، وها نحن أولاء — لاول مرة منذ زواجنا نتكلم بلهجة . . كأنها لاتستطيع أن تمنع نفسها من التحطيم . . لا بأفعال تأتيها ، وإنما بمجرد وجودها . أترى ، أعتقد انها قد تعذبت كثيرا ، ومن ثم . . .

آندريه : أنت لم تُجيبي عليّ . لماذا كانت لديها أسباب قوية للغاية للتمني ؟

ميريي : ينبغي ألا تعلّق أهميةً كبيرة على كلمة في الهواء .

آندريه : (في رفق) هذه المرة ، أنت تكذبين .

ميريي : ولكن ، إفهم اذن في نهاية الامر ، لو اننا لم . . . لو لم تتحول الأمور إلى الأحسن في صالحنا ، ألعلها كانت توجه هي المؤاخذات ؟

آندريه : لماذا ؟ وأين خطؤها في ذلك ؟

ميريي : أنا لا أقول إن هذه تكون غلطتها ، ولكنها كانت خليقةً بأن تفكّر في مثل هذا .

آندريه : لا أفهم .

ميريي : للأسف .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ، آلـين

آلـين : (من الخارج ، وبرفق) أأستطيع الدخول ؟

آنـدريه : تعالى ! يا خالتي ، نحن في حاجة إليك .

مـيريي : يا مغيث !

آلـين : (تدخل . من الواضح أنها قد بكت ، تتحدث بصوت مكتوم) يا طفليّ ، استمعا إليّ دون مقاطعتي ، من فضلكما . لقد أمعنت الفكر . إذا أنا تركتُ نفسي تقتنع بالبقاء إلى جواركما ، حتى لو كان ذلك لبضعة أيام ، فمن المحتمل أن نندم على ذلك فيما بعد . وربما كان ذلك نهاية شيء بيننا نحن الثلاثة .

آنـدريه : (في وحشية) لمـاذا ؟

آلـين : (مذهولة) ولكن . . .

نـدريه : وعلى هذا ، لم يكن موقف ميريي مفاجأة لك ؟

آلـين : (في إعياء) أي موقف ؟

آنـدريه : أوه ! يا لها من مواجهة بينكما !

آلـين : (متلعثمة) أتفهم ، إنني أذكرها بكثير من الذكريات الأليمة ، إنها في حاجة إلى أن تحيا بنجوة من الماضي .

آنـــدريه : هاهوذا شيء آخر !

مـــيريى : (بصوت متهدج) كأنك تريدين أن ترغمينا على إلحاق الأذى بأنفسنا .

آنـــدريه : (في قلق) لديك إذن ما يمكن أن تؤذى به نفسك كل هذا الأذى؟ ومع ذلك ، في الماضى... وكأنما وقع شيء لا تستطيع ميريى أن تغتفره لك . وأنت نفسك ، كأنك غير واثقة من ... (فجأة) جاخالتى آلين ، هل ألححت كثيرا لكى تتزوجنى ؟

مـــيريى : (خافضـــة العينين) كلا .

آلـــين : أعتقدت أنكما ستسعدان .

آنـــدريه : وإننا لكذلك . (تأتى ميريى بحركة معناها نعم .) إذن ! (بنبرة مصطنعة .) ثمة حياة من السعادة تمتد أمامنا ... باستثناء سوء الحظ طبعا . فهناك الحوادث مثلما جرى لشانتاى .

آلـــين : (على الرغم منها) لماذا تتحدث عن شانتاى ؟

آنـــدريه : ولماذا لا أتحدث عن شانتاى ؟

مـــيريى : (في حدة مباغتة) ماما ، قولى ، ألأنك تستطيعين من هنا إحداث أكبر قدر من التحطيم دخلت هذه

الحجرة ؟ أتراك تخشين ألا تبقى هنا أية إثارة من حياة ؟ كلا ، كلا ، لاتصطنعى عينىّ الضحية هاتين ... آه ! أنتِ مخيفة ، بعد أن حطمتِ قلبينا أنت تأتين لإرغامنا على أن نطلب صفْحَك !

آنـدريه : (في يأس) ميريى ، أكنتِ تحبين إذن هذا الشانتاى كل هذا الحب ؟

مـيريى : ولكن ، لست أدرى ... ولكن ، لست أدرى .

آلـين : وداعا ؟

مـيريى : اذهبي ، انى أقرأ ما في قلبـك . لقد أسقطتِ ضحى ، وندمى ...

آلـين : وداعا . إنى لسـت حاقدة عليك .

(تخرج)

المنظر التاسع

آندريـه ، ميريـى

(آندريه غارق في تأمل حزين . ميريى تُقْبِل عليه في رفق ، وتضع راحتيهـا على جبينـه .)

مـيريى : (بصوت يرتعش) والخلاصـة .. أن الحال سيكون كما كان من قبل . . لم يتغير شيء بالنسبة لنا ..

آنـــدريه : (في سخرية ملموســـة) في الواقع .

مـــيريي : سترى ، مع مرور الوقت .

آنـــدريه : الوقت . يلزمنا وقت ، وكان يلزمنا وقت . (حركة من ميريي . بغتة .) لو لـــم أكن مريضا ، أكنت تتزوجينني ؟

مـــيريي : ما أعجب شأنك ، يا آندريه .

آنـــدريه : لقد أَجَبْتِ عليّ . شكرا .

مـــيريي : أنت لا تفهم .

آنـــدريه : بل لقد بدأت أفهم ، بالضبط . إني هالك ، أليس كذلك ؟

مـــيريي : (في اندفاع) ستعيش ، وسأرعاك ، وحتى لو ... (تهمس كلمة في أذنه)

آنـــدريه : (في حزن) فلنأمل ... آه ! قلت ذلك مثلها ... ميريي ، أتعتقدين حقا أنها شريرة ؟

مـــيريي : كلا . إنها امرأة مسكينة .

(صمت)

آنـــدريه : قالت وداعا .

مـــيريي : (في قلق) أأنت متأكد من أنها قالت وداعا ؟ إنها

لا يمكن مع ذلك أن تفكّر في ... أليس كذلك ؟
ليس هذا ممكنا ؟

آنـــدريه : ولكن ...

مـــيريي : لقد تعذبت كثيرا ... وباختصار ، ماذا يمسكها ؟..؛
إنها ليست مؤمنة ... ثم ، إذا هي – ياآندريه –
إذا هي قتلتْ نفسها . . . (فـــي حيرة .) لن تعود
الحياةممكنة . ينبغي بأي ثمن ...
(صمت – تذهب ميريي إلى منضدة – المكتب ،
وتبحث عن شيء ما .)

آنـــدريه : عَمّ تبحثين ؟

مـــيريي : (في نوع من الاستسلام المضـــنى) عن رقم لوتيسيا ؛

– ستار –

★★★

فهرست

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل چاليتش	سمك عسير الهضم
٢	چان آنوى	القبّرة (چان دارك)
٣	هال پورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الأزياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تيرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
١٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الاب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعـود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجـولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦	موليير	من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩	اوجست سترندبرج	(من الأعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦	سوفوكل	نساء تراخيس
٢٧	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل پونثيلا	ليلة ساهرة من ليالي الربيع
٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١	جورج شحادة	١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان	انتصار حورس
٣٣	جورج برنادر شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة
٣٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ أوديب الملك ٢ ـ أوديب في كولون ٣ ـ اليكترا
٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة
٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك أو الامتثال (٤) المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسي
٣٨	كوبر ـ تشيرشـل ـ شارب ـ بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ روما لم تعد في روما ٢ ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

*** شيطان الغابة**

*** الخال فانيا** **تأليف : انطون تشيخوف**

نقـدم فى هـذه السلسلة لأول مرة مسرحيتين من المسرح الروسى للكاتب الكبير أنطون تشيخوف الذى يعد بحق من أصدق كتاب عصره وأكثرهم واقعية فى معالجة مشاكل روسيا القيصرية ــ قبل الثورة ــ من ظلم وارهاب وتعسف .

ونحن هنا نقدم لقراء هذه السلسلة مسرحيتين تمثلان حقبتين مختلفتين من تطور أعمال تشيخوف وفنه المسرحى . فالمسرحية الاولى « شيطان الغابة » تمثل الحقبة الاولى من تطوره والتى كتبها تحت تأثير القوانين المسرحية التقليدية والتى أطلقنا عليها اسـم «مسرحيات الحركة المباشرة أو الظاهرة » . أما مسرحية «الخال فانيا» فتعتبر من أروع مسرحيات « الحركة غير المباشرة » الناضجة ، كما أنها تبرز ما يتمتع به هذا الكاتب المسرحى الخلاق من فن وعمق وأصالة .

فى هذا العدد

من الاعمال المختارة

جبرييل مارسل ـ ٢

يضم هذا المجلد مسرحيتين للكاتب الوجودى الفرنسى جبرييل مارسل فالمسرحية الاولى **روما لم تعد فى روما** عرضت لاول مرة عام ١٩٥١ وقد أثارت ضجة كبيرة بين المثقفين بوجه عام ، اذ هى تتعرض لازمة الضمير التى كان يعانيها المثقفون الفرنسيون فى مرحلة من ادق مراحل التاريخ الفرنسى . بعد ان ترك الكثير منهم موطنهم ابان الحرب العالمية الثانية .وفىهذا الاطار يعالج مارسل توترات العلاقات الفردية وما يغشاها من محن تحت ضغط الصراعات السياسية والايديولوجية فى العالم .

اما مسرحية **المحراب المضىء** فهى من اوائل ماكتب مارسل وكان عرضها على المسرح لأول مرة عام ١٩٢٥ . ومع ذلك فانها تحتل مكانة خاصة بين مؤلفاته المسرحية ، نظرا لان التضمينات الفلسفية فيها أقل وضوحا بحيث لا تطغى على الجانب الفنى البحت . ويرجع ذلك الى ان مارسل كتب هذه المسرحية مرتين،وحاول فى المرة الثانية ان يزيد فى صقلها ، معمقا الصلات الجوهرية بين الشخصيات ، ومصورا العلاقات الظاهرة والخفية التى يمكن ان تقوم بينها فى آن واحد .